تاريخ

قبائل البيضان

عرب الصحراء الكبرى

تأليف

الشيخ موسى كمرا

المتوفى ١٩٤٥م

تحقيق

الدكتور حماه الله ولد السالم

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة نواكشوط (موريتانيا)



دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

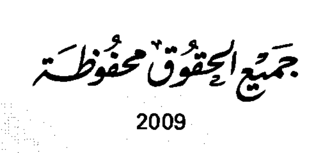
DKI

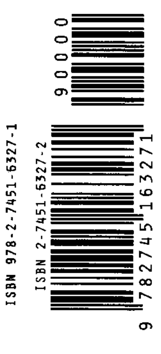
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title: HISTORY OF AL-BIDAN TRIBES	الكتاب: تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى
Classification: History	التصنيف : تاريخ
Author : Al-šayḫ Mūsā Kamra	المؤلف : الشيخ موسى كمرا
Editor : Dr.Ḥamāhullah wild al-Sālim	المحقق : د.حماه الله ولد السالم
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	الناشر : دار الكتب العلميـــة ـ بـيروت
Pages : 160	عدد الصفحات: 160
Year : 2009	سنة الطباعة : 2009
Printed in : Lebanon	بلد الطباعة : لبنان
Edition : 1st	الطبعة : الأولى




ISBN 978-2-7451-6327-1
ISBN 2-7451-6327-2

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

التعريف بالمؤلف[1]

وجد في بلدة ماتم السنغالية وثيقة مؤرخة بالسابع من شهر شباط سنة 1930م وجاء مكتوبا فيها ما يلي: "إن الذي سمي بالشيخ موسى كمرا بن أحمد الحبيب المرحوم ومريم داده المغفور لها قد ولد حوالي 1864 في كريكه صمبه جم في مقاطعة دمكه بدائرة ماتم بالسنغال". وتحت هذا المستخرج من شهادة ميلاده إمضاء المدير الفرنسي دوبن *Du Pont* ومن حسن الحظ لنا أيضا قد كتب بخط يده ترجمته الموسومة بـ: "تبشير الخائف الحيران وتذكيره بسعة رحمة الله الكريم المنان" ولقد حفظنا جميع ما ألفه الشيخ من كتب تقريبا في خزائن المعهد الأساسي لإفريقيا السودان *IFAN* بدكار.

ولد موسى كمرا من الشيخ أحمد والسيدة مريم كُرِيكي صمْبَهْ جم حوالي

(1) راجع: الدكتور عامر صمب: **الأدب السنغالي العربي**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1398هـ/1978م، ج1، صص149-160. وهي ترجمة وافية منقولة عن مصادر شفوية موثوقة وأصول مكتوبة صحيحة. ثم إن ترجمة المؤلف المتداولة هي نفسها لدى أغلب الكتاب، لأنها منقولة عن المصادر عينها، ولذلك آثرنا هذه الترجمة لكونها الأوفى والأكثر دقة.

1863م إلا أنه لم يعرف سنة ميلاده حق المعرفة إذ قال مترددا: " قد ولدت . . . في عام شرف 1280 وقيل 1272 من الهجرة النبوية" في قرية صغيرة واقعة في جنوب الشرق لمدينة (ماتم).

وقال إن أول من علمه حروف الهجاء رجل يسكن في كوريك اسمه سارن مالك وكان يعلمه القرآن. قال: "ثم علمني رجل آخر في (فولل جاوب) اسمه سارن محمود القرآن أيضا ثم قرأت أيضا في أرض البياضين الصحراوية (موريتانيا) في حين (من قبيلة) لمتونة (من بطن) دكابمبرة على حافظ مجاز عبد ولد سفاف ثم ذهبت عنه إلى حافظ آخر مجاز أيضا اسمه محمد فال ولد طلب في حي ديلب الكحل".

ثم ذهب إلى سانغلل حيث قرأ الرسالة لابن أبي زيد على سارن عبدل المان وقرأ هنا أيضا مقصورة ابن أبي دريد وقرة الأبصار وفي أثناء ذلك توفيت أمه، وأنه بلغ مبلغ الرجال ثم ذهب إلى جل قرية في ماتم وكان فيها فقيه يعرف بألفا صمب جام فتعلم منه نصف تحفة الحكام للفقيه المالكي ابن عاصم الأندلسي (1359-1425م) قاضي القضاة بغرناطة ثم تعلم نصفه الآخر على فقيه من أهل رنجو في ناحية بوسى اسمه سارن محمد صم بل ثم توجه إلى واللد فتعلم على ألفا محمد آو مسائل من باب ميراث الرسالة لابن أبي زيد بشرح إبراهيم فلكنك ثم قصد فقهيا فوتجليا كان يسكن في كلير يسمى مود حامد يمبرن فتعلم منه شيئا من الجزء الأول من مختصر خليل ثم جاء فقيها فوتجلونيا آخر كان يقطن بكجو اسمه مود ممد عالم فقرأ عليه شيئا من الجزء الثاني من مختصر خليل وشيئا من المقامات الحريرية وكان يأمره بإقراء تلاميذه الذين يقرؤون عليه التحفة الحكامية.

إلى غيرها من الرحلات التي اكتسب منها موسى علما وافرا وثقافة جمة.

ويمكن القول أن الشيخ موسى قد تعلم مدة ثلاثين عاما ما يجب أن يتعلم

من القرآن والفقه والأدب والنحو والعروض قبل لقائه الشيخ سعد أبيه في سان لوي ثم في موريتانيا.

فالشيخ سعد أبيه هو الذي لقبه بالشيخ موسى فأخذ عن هذا (الولي الكامل) الورد القادري.

وأول سفر قام به الشيخ موسى كان حوالي 1886م وحينئذ كان ابن ثلاث أو اثنتين وعشرين سنة وقال في بعض مواضع من ترجمته انه قد هم بالحج إلى مكة ولكنه لم يتجاوز فوت جلو.

كانت صلات بمعاصريه ومهم أصدقاؤه الخلص من كل الشعوب والأقاليم، في موريتانيا وفي فوت جلو وفي فرنسا. وكان يضع مكانة خاصة للصداقة ويعتبرها قطب الفضائل.

مؤلفاته:

ترك الشيخ موسى إنتاجا أدبيا ودينيا متنوعا، منه 12 مؤلفا محفوظة في معهد (إيفان):

1. تاريخ دارة في زغاوة.
2. تبشير الخائف الحيران في 64 ورقة وهو مخطوط إيفان رقم 10 من مؤلفات موسى.
3. أكثر الراغبين في الجهاد بعد نبينا من يختار الظهور. . 36 ورقة مخ 15.
4. أشهى الخبر في حياة الحاج عمر 97ر، مخ 9.
5. المجموع النفيس سرا وعلانية في ذكر بعض السادات البيضانية والفلانية في نسختين احداهما في 183ر والأخرى في 134ر وهما مخ 5و6 وهو المخطوط موضع هذا التحقيق.
6. زهور البساتين في تاريخ السوادين أو انتصار الموتور في ذكر قبائل فوت تور

أو إحياء ما عفا وما اندرس من علوم تاريخ السودان وانطمس، في مجلدين ضخمين أحدهما في 451ر والآخر في 450ر وهما المخطوطتان 2و3.

7. وهناك تسع مجموعات دينية منها: كاد أن يكون الاتفاق بين دين النصارى ودين الإسلام، والعز الأسمى (في الأوراد)، حصول القرب والوصول (أدعية)، وغيرها.

8. مجموعات الفقه: تقاييد في الفقه وهي ثلاث.

9. كتاب في الطب.

10. خمس مجموعات أدبية: دليل السالك على ألفية ابن مالك، شرح دواوين الشعراء الستة، كتاب في علم العروض، عقود الجمان، تأليف في أمر الشرف.

عملنا في التحقيق

رجعنا إلى نسختين بخط المؤلف احداهما في 183ر والأخرى في 134ر وهما المخطوطتان 5و6 من خزانة معهد "إيفان" بداكار.

وقد اعتمدنا على النسخة الأوضح، وتأتي بعض نماذجها، وغيرنا بعض صيغ رسم الأعلام لدى المؤلف بما لا يغير من المضمون: أولاد بدل: وولاد، ابن: بدل من: ولّـ (ـد). وهاء السكت في: بابه بدل من: باب، وفي سيديه: بدل: سيدي. وألف القطع في : أعمر، أعلي، بدل: عمر، علي. .

وأعطينا عناوين فرعية لبعض فصول الكتاب، لكن جعلناها بين قوسين.

وقد اخترنا عنْونة الكتاب بـ: **تاريخ قبائل البيضان، عرب الصحراء الكبرى**، بدل: المجموع النفيس سرا وعلانية .... إلى آخر العنوان التقليدي والطويل وغير المعبر الذي رسمه المؤلف.

وكان عملنا في التعليق على المتن، هو التقليل ما أمكن من الشروح والحواشي التي تثقل على القارئ، إلا ما كان من إشارات غامضة أو غير دقيقة يجب تبيينها وتوضيحها واستجلاؤها.

نماذج من صور المخطوط

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

حسبي الله

95

في انبساطها نصيحة العامة والخاصة في نحو محاربة قرابته ولكن
بعد ما في السهم ولم يخف عندهم حكومة الاولى ولم يلتحق من تبعة
الشيخ سيدي عندهم الى الآن رحمة الله تعالى علينا وعليهما ورضي
عنا وعنهما وارضانا وارضاهما وجعل الجنة مأوانا ومأواهما
ومثوانا ومثواهما آمين آمين آمين بجاه النبي الأمي صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين قال الجامع لهذه
الورقات موسى بن احمد المعروف بشيخ موسى
وفاه الله من كل شدة وبوسى هذه ابطال توارق فوت
جلو هبي شها بواسكيني كوز نور كرن وهي من جمع العلامة
سري على بوبادين ونصها هذه توارق قبائل العلانيين وهي
كثيرة واولها اربع قبائل قبيلة عورت وتسمى قبيلة به
وقبيلة جرب وتسمى قبيلة سود وقبيلة جلب وتسمى
قبيلة جد وقبيلة ببيب وتسمى قبيلة برلان منشأ
العلانيين في زمن سيدنا عمر بن الخطاب ارسل جيشا من مصر
واركبهم في السفينة وأمر عليهم عمرو بن العاص وأمر دار بساقي
مع الجيش في البحر شهرين ثم خرجوا الى أهل البر فاذا وجدوا أهل
أهل البلد الذي خرجوا اليه مسلمين جلسوا عندهم وعلموهم
القرآن والدين وإن وجدوهم كفارا دعوهم الى دين الاسلام
او الجزية فان ابوا عن الاسلام فاذا ابوا عن الاسلام والجزية حاربوهم
فسار عمرو بن العاص مع الجيش كما امره عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فخرجوا الى ارض تادمكة فوجدوهم كفارا ولم يسمعوا الاسلام
فلما دعوا ملكها ما سبق الى الاسلام فاسلم الملك واسلم معه
كثير من اهل ذلك البلد ومنهم من ابى عن الاسلام فاخذوا

صورة من المخطوط

أسلوب المؤلف ومضمون كتابه

تميز الشيخ موسى الكاتب بالأصالة ووفرة الإنشاء وبراعته في النحو واللغة ودقة النقد والعزو.

وكان الشيخ موسى مؤرخا جيدا وقد أجلى ذلك بوضوح في عمله: أشهى الخبر في حياة الحاج عمر، واعتمد على شهادات مادية شفاهية كانت أو كتابية. فألف الشيخ موسى هذا الكتاب مسلحا بحس النقد قل ما نجده عند أقرانه ليعرف الصحيح من الزائف أو العلة الطبيعية من الأسطورة أو الأمور الواقعية المقبولة عقلا من المعجزات.

وأما مصادره فأغلبها معروف كابن خلدون والناصري صاحب كتاب الاستقصا والشيخ سيديه بابه في نبذته عن تاريخ الإمارات الصنهاجية وكالروايات التي نقلها عن شهود العيان لاواريخ من عهد الاستعمار الفرنسي.

ويعتبر كتابه هذا من الكتب القليلة التي تتحدث بإنصاف وتاريخية عن شعب البيضان، لأن الشيخ موسى كان على مسافة نسبية ممن يتحدث عنهم.

ولذلك نجده يسخر ضمنيا من تنكّر بعض القبائل لأصولها الصنهاجية، رغبة عن أصلها الأمازيغي وتمسكا بـ "النسب العربي"، ويتحدث عن كون ذلك ظاهرة شائعة بين الشعوب الإسلامية المجاورة لهم كالفولان "الفولبى" وغيرهم.

كما تمتاز كتابته بدقة العزو في كثير من الأحيان وبسلاسلة الأسلوب قياسا بأصله "الأعجمي".

مضمون الكتاب

موضوع الكتاب هو بعض تواريخ وأخبار قبائل غرب الصحراء، من قبائل صنهاجة وهي من شعب الملثمين، *وقبائل بني حسّان العربية المعقلية ذات الأصل القرشي والتي تنحدر من بني جعفر بن أبي طالب الذين نزلوا مصر واختلطوا*

بهلال، وتميزوا عنهم، دائما، ولم يقبلوا الاندماج فيهم، حسب ابن خلدون الذي كان له موقف مريب من عرب المعقل والمغافرة خصوصا، وبعض القبائل الأخرى التي تنحدر من عرب الفتوحات وأعيان المدن التي هاجر منها العلماء صوب الصحراء، مثل القيروان وفاس وواحات توات وغيرها.

وقد عرض المؤلف لبعض الأقوال حول عروبة صنهاجة وحميريتهم، وتحدث عن بعض القبائل الموريتانية ذات الأصل اللمتوني مثل: تندغة، تجكانت، إدوعيش، ولمتونة التي تسمى على لمتونة القديمة، ثم تحدث عن تراجم ومناقب بعض القبائل اللمتونية وأعيان علمائها، واستطراداً بعض تواريخ الفتح الإسلامي، وبعض أصول الأسر السودانية ذات الأصل الصنهاجي، ثم تحدث عن تقسيم وفروع قبائل بني حسّان العربية، وفي الختام عرض لرسائل وفتاوى تتعلق بالاستعمار الفرنسي والنقاشات التي دارت بشأنه بين بعض العلماء والأعيان.

وقد اقتصر المؤلف على غرب الصحراء لأنه المجال القديم لبلاد الملثمين الذين ينتمي لهم شعب صنهاجة الذي ينتشر معظمه هناك، ولأن نفس المجال سيعرف امتزاج صنهاجة بالوافدين الجدد من عرب الهجرة الهلالية من قبائل بني حسّان.

وفيما يلي وصف أولي لبلاد الصحراء الكبرى، بغية فهم أوضح لجزئها الغربي وبلاد البيضان منه خصوصا.

يقدم الباحث البولوني تاديوز ليفسكي تصورا منسجما حول الصحراء الكبرى[1] ، حيث يراها بحرا واسعا من الرمال، ليست له حدود واضحة المعالم، لكنها بالتقريب: من الشرق يتمثل الحد الطبيعي للصحراء الكبرى في نهر النيل، وفي الغرب في المحيط الأطلسي. وفي الشمال تمتد الصحراء إلى الهضبة الليبية

(1) راجع: ت.ليفسكي: "دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب"، ضمن: تاريخ افريقيا العام، منشورات اليونسكو، باريس، 1994، ج3، (309-348)، صص 309-313.

وصحراء سرت وجبل نفوسة وجبال أطلس الصحراوية ووادي درعة، فتضم بذلك المراكز التجارية القديمة في شمال الصحراء: مثل فزان واغدامس وورغلة وسجلماسة التي ازدهرت بفضل التجارة مع بلاد السودان. أما الحدود الجنوبية للصحراء فتمر تقريبا بمصب نهر السنيغال وأعلى منعطف نهر النيجر وتشاد ضامّة هضبة إنيدي لتصل ثانية إلى نهر النيل عند خط عرض 16 شمالا.

ويؤدي الجفاف ونقص الماء إلى قسوة المناخ الصحراوي وكون مساحات شاسعة من الصحراء غير مأهولة مثل المجابة الكبرى في غربي الصحراء والصحراء الليبية غير مأهولة بالمرة، لكن رغم ذلك ظلت الصحراء ممرا للتجارة والبشر بين بلدان افريقيا الشمالية وبلاد السودان جنوبا.

كان سكان الصحراء منذ القرن الثاني الهجري (8م) إلى ق(6هـ/12م) يتألفون من عناصر شديدة الاختلاف. فكان يقطن الصحراء الغربية والوسطى أقوام من أصل بربري مختلطون أحيانا بدم أفريقي من السود. أما الصحراء الشرقية، بما فيها الصحراء الليبية، فكان يقطن جزءها الشمالي سكان من أصل بربري أيضا بينما يقطن جزءها الجنوبي أقوام اشبه بالزنوج ينتمون إلى جماعات من التوبو، مثل الزغاوة والتيدة والدزة.

كان سكان الصحراء البربر الذين لعبوا دورا مهما للغاية في إقامة العلاقات بين شمال افريقيا ومصر من ناحية والسودان من ناحية أخرى ينتمون إلى فرعين من البربر، وهما فرعا صنهاجة وزناتة. وكان الصنهاجيون على الأخص رحلا يربون الأغنام والإبل. أما الزناتة فكانوا قسمين أحدهما رحل والآخر من المستقرين.

وقد أسلم الفرعان البربريان على نحو مختلف تبعا لمسار الفتوحات وخبارات المذتهب، فكان الأباضية مذهبا مرغوبا لدى الزناتيين بينما اختار صنهاجة الإسلام السني منذ القرن الهجري الثاني لكن لم يتعمق إسلامهم إلا مع المرابطين.

وإلى صنهاجة ينتمي شعب التوارگ (ويسمى خطأ: الطوارق)، وكذا قبائل كثيرة انتشرت في غرب الصحراء التي تشمل ما بين واحات توات الجزائرية الحالية

شرقا ووادي نون من بلاد قبائل تكْنة في المغرب غربا ومن مصب نهر السنغال غربا إلى عقفة نهر النيجر شرقا. وفي هذا المجال الواسع انتشرت هجرات بربرية قديمة وحديثة وجاءت موجات عربية هلالية واختلط الجميع بفعل الحروب والتدين والهجرات، لكن بصورة أوضح في المجال الموريتاني وأحوازه من مالي. وهو النطاق الذي ركز عليه مؤلف تاريخ قبائل البيضان لوجود أكثرية هذه القبائل ضمن هذا النطاق الصحراوي.

ملامح تاريخ قبائل البيضان[1]

تَكَوّنَ مجتمع البيضان من انصهار قبائل صنهاجة وقبائل بني حسّان من عرب المعقل، مع تأثير متفاوت للأسر العربية القرشية والأنصارية والشريفية التي انضافت إلى هؤلاء أو أولئك او شكلت حولها حلفا من المجموعات البربرية أو العربية، فضلا عن خضور لعناصر مهمة من الأحباش الكوشيين والبربر اللوبيين من الجرمنت أسلاف "الحراطين"، وكذا عناصر قليلة من الترك والغز والأرمن والقوط واليهود. . وقد توالى قدوم تلك الأعراق في كل حقبة زمنية لينصهر ضمن بنية سكانية قديمة صاغتها تحولات تاريخية معقدة من عهد المرابطين إلى بني حسّان[2].

ومن أوضح المجموعات الأمازيغية أصولا في الصحراء نجد قبائل صنهاجة التي قدمت إلى المنطقة ضمن هجرة قبائل الأمازيغ (البربر) التي غادرت إفريقيا الشمالية خلال القرن الثالث المسيحي وتوجهت نحو الغرب، وبدأت احتلال الصحراء من الشمال. مع أن بدايات هذه الهجرة كانت موغلة في القدم أي قبل الميلاد. وقد دفع هؤلاء أمامهم مجموعات أخرى لها صلة قربى بأهل العصر الحجري الحديث، وكان الجفاف التدريجي للبحيرات دفعهم فيما بعد إلى اللجوء لضفاف البرك المائية وأودية الظهر، العليا والسفلى منها، ثم قادهم القحط إلى الانتظام في قرى أخذت نشاطاتها في التزايد مع توافد الجماعات الجديدة.

واختلط صنهاجة بشعوب بربرية - لوبية قديمة كالگرامانت "الجرمنت"

---

(1) راجع عملينا: د.حماه الله ولد السالم: تحقيق الرسالة الغلاوية للشيخ الكنتي، منشورات مربيه ربه، الرباط، 2006، ود.حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، الرباط، 2007.

(2) راجع: د.حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا من العصور القديمة حتى الإستقلال، مرقون.

والبافور وغيرهم.

وفي عهد متأخر نسبيا، أي في حدود 2800 إلى 2000 سنة قبل الآن أصبح البربر حاضرين في عموم المنطقة وانضافت نقوشهم الصخرية إلى نقوش (سابقيهم). وهؤلاء البربر كانوا أكثر تكيفا مع ظروف القحط الجديدة في الصحراء الكبرى من سكان القرى، وذلك بفضل النحاس ثم الحديد، وعاشوا في القرى التي بدأ سكانها في التناقص "وقد ساهم البربر في هذا التناقص لما لهم من دور في تغيير الأوضاع ثقافيا وديمغرافيا وفي إرغام السكان الأوائل على الهرب، مع أن هذه المسألة الأخيرة تحتاج إلى برهان ". وقد جرى نقاش مطول [دكار 1976] حول حقيقة عنصر الأثيوبيين الذين ذكرهم هيرودت وأشار إلى أنهم ينتشرون في الصحراء الكبرى.

ولم يتم التوصل لحد الآن، إلى معنى عبارة "أصحاب الوجوه المحروقة" التي وصف بها المؤرخ اليوناني سكان الصحراء.

بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد جابت الصحراء عربات ذات عجَلَتيْن أو أربع أحيانا، تجرها الخيول غالبا والثيران نادرا.

وتطرح هذه العربات مشكلا دقيقا يناقشه المختصون منذ زمن طويل. وبالفعل فإننا لا نعرف عن هذه العربات غير تمثيلها على الصخور في 800 مكان في عموم الصحراء، ولاشيئ غير ذلك، اللهم إلا الإطار الصخري. ولا تزال شواهدها في كهوف بلاد الحوض من شرقي من موريتانيا، وفي غيرها من المواقع.

ومع ذلك فإن أصلها واضح، فالعربة ذات العجلتين المربوطة بحصانين أو أربعة، آلة حربية تقليدية معروفة حول شرقي الأبيض المتوسط منذ منتصف الألف الرابع قبل الآن، وقد استخدمها جل شعوب هذه المنطقة، والرومان بشكل مكثف وكذلك "الليبيون والكرامانت والجتول" حين تمرسوا على الخيول منذ نهاية الألف

الثاني قبل الميلاد، ويشير إليها كل من هيرودوت وديودور واسترابون[1] .

أسلاف البربر: ر. موني *MAUNY(R)* يعتقد أن اللوبيين - البربر هم أجداد الصنهاجيين الذين تواجدوا في هذه المنطقة منذ القدم[2] . الفاروسي، الكيتول، الناسامونيين، الكرامنت.

الگرامانت "الجرمنت": السكان الأقدمون لفزان، كانت لهم - على مايبدو - دولة تسيطر على الطرق التجارية الصحراوية، وكانت عاصمتهم تسمى جرمة. وهيردوت هو أول من أشار إليهم في الكتاب الرابع: " ويعيش هنا قوم كثيروا العدد يدعون الكرامانت، وعند الكرامانت توجد الثيران، ويمضي هؤلاء الكرامانت في عرباتهم ذات الخيول الأربعة. . "

وقد كان الكرامانت، الشعب الوحيد الذي يستطيع اختراق الصحراء جنوبا قصد التبادل التجاري، أو خلال مطارداتهم للحيوانات مثل الفيلة والنعام. ويرجّح البعض أنّ التوارق الموجودين حاليا بالصحراء، هم نسل أولئك الكرامانت الأقدمين. ثم انفصل الفرس عن العربة وأصبح مطيّة للجتول والكرامنت في غزوهم للصحراء، ذلك الغزو الذي استقر وتوطد مع الميلاد بفضل الجمل.

وهكذا يحدد هذا الإطار التاريخي بدقة أصل العربات الصحراوية إذ أدخلها البربر الأوائل إلى الصحراء أثناء توغلهم جنوبا. وحضور البربر الأوائل في الصحراء يصادف الألف الثالث قبل الآن، لسبب بسيط هو انعدام الخيل فيها قبل ذلك التاريخ، وقحطها بعده بحيث لم يعد للفرس بها مقام.

لقد نزل أصحاب العربات على رعاة الأبقار قبل أن يرغم المناخ هؤلاء الرعاة على النزوح صوب أطراف الصحراء، وبقي أصحاب العربات سادة الميدان وأثبتوا وجودهم بواسطة نقش العربات على جدران الكهوف والصخور بينما أخذ

---

(1) راجع: بوبه بن محمد نافع وآخرون: موريتانيا القديمة، نواكشوط: جامعة نواكشوط، 2000 صص80-81.

(2) أحمد مولود ولد أيده: مدن موريتانيا الوسيطة، رسالة دراسات عليا،تونس، ص145.

عنصر جديد في الظهور وهو كتابة "تيفناغ" وتبقى العلاقة بين الثقافتين مجهولة. كانت العربات رمزا للشأن لدى سادة البربر القدمى، ولم تلعب دورا كبيرا في التجارة نظرا لضعفها التقني أمام المناطق صعبة المرور. [1] .

رغم العداء الذي استحكم بين الرومان والجرمنتيين، فقد انبثق تحالف مدهش بين الطرفين، تأسست عليه حملتان بارزتان قام بهما الرومان عبر فزان باتجاه البلدان في الجنوب. وتمت هاتان الحملتان في عهد تراجان حوالي سنة 100 بعد الميلاد. وتوغلت الحملة الأولى إلى بلاد السودان، ووصلت الحملة الثانية إلى "أرض أجيسما وهي بلاد الأثيوبيين" أي بلاد السودان جنوب الصحراء[2].

وربما كان السبب في تقرب الجرمنتيين للرومان هو ظهور الجمل الذي كان سلاحا فتاكا جعل الجرمنتيين لم يعودوا بمأمن في الصحراء التي يلجؤون إليها، على نحو ما كان للقنبلة الذرية على النفسية اليابانية.

كان يسكن وسط الصحراء وشمال الصحراء - أساسا- عناصر بيضاء" طوال القامة ، لهم ملامح البحر المتوسط . . تتصف جمجمتهم بالضخامة . . . الوجه طويل نوعا ما وضيق . . . الأطراف نحيلة"، وهي الصفات التركيبية "المورفولوجية" ذاتها "للطوارق" المحدثين. . . كان الحراطين في الواحات الصحراوية، رغم وجود خلاسيين بينهم، مجموعة منحدرة من "الأثيوبيين" المقيمين، كما جاء في هيرودوت. وأصل كلمة حراطين من "أحرْ ضان" البربرية ومعناه: المهجن، الخلاسي، من أب بربري وأم زنجية، والكثير منهم من أصول كرامانتية "غرمانية".

يظهر الكيان الإقليمي العظيم لما يسمى بمملكة الجرمانتيين في المؤلفات اليونانية - اللاتينية، باعتباره الدولة المنظمة الوحيدة في داخل إفريقيا، جنوب

---

(1) الأستاذ محمد حمام: المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، الرباط: 2004، ج1، ص48.

(2) جيهان "د": البربر الأصليون، صص 436-438.

الأراضي التي كانت مملوكة أولا لقرطاجة ثم لروما. وقد تصدى الجرمانتيون - كما ذكر هيرودوت مبكرا في القرن الخامس قبل الميلاد - للتقدم الروماني على الحدود الجنوبية للمغرب، لكنهم هزموا على يدي البروقنصل كورنيليوس بالبوس "الأصغر" في سنة 19قم . ثم نهائيا أمام قائد الفرقة الإفريقية فاليريوس فستوس في سنة 69 بعد الميلاد. ويبدو أن المملكة تحولت إلى دولة على شاكلة الدول التابعة للإمبراطورية[1] .

هؤلاء الكرامانت "الجرمنت" هم من سلالة اللوبيين الذين كانوا أسلاف صنهاجة الصحراء بأطيافهم المختلفة، ويسمون محليا في موريتانيا "أغْ رمان" واحدهم "أغ رُماني": كلمة بربرية معناها: عبيد الرومان: الرومان الصغار؟ تعبيرا عن صلتهم بالرومان.

وكانوا يسكنون "آدرار" موريتانيا، وبقيتهم ذابت *ولوف* السنغال، أو بقيت في النيجر الحالي.

اليهود: لاوجود لليهود كمجموعات مستقرة في الصحراء عموما وموريتانيا خصوصا، لكنهم كانوا يجوبون الصحراء كتجار، منذ الفترة الوسيطة إلى اليوم. ذكر الجغرافيون العرب في العهد الوسيط وجود جاليات تجارية يهودية في حواضر الصحراء، وذكر البرتغالي فرنندش بعد سنة 1506م جالية يهودية ثرية في مدينة ولاتة، وتقول الروايات المحلية إن وادان كان به ملاّح "حي يهودي"! وجاء في كتاب *فتح الشكور* ذكر لبعض تجار يهود يمرون بمدينة ولاتة في خفارة كبار علمائها. وقد حاولت الروايات المحلية الساذجة ربط الحرف بالصاغة اليهود، وهو ربط لا تاريخي يفتقر لأبسط الأدلة والقرائن، بل إن الكثير من الحرفيين الصحراويين "الصناع" هم من ذراري الجماعات العربية أو الصنهاجية التي اختارت الحرف اليدوية لهذا السبب أو ذاك طوعا أو كرها!

---

(1) نفسه.

والحق إن الوجود اليهودي في موريتانيا كان حضورا تجاريا بالأساس، ولم يحدث أن اعتدى أي من سكان البلاد على التجار اليهود، حتى أن سكان شرقي موريتانيا كانوا يعتبرون المساس باليهود خطأ غير مبرر، وكانوا يسمون اليهود المقيمين بينهم "أصفر دم" وهي تحريف لـ "سافار ديم": وهم اليهود القاطنون بين العرب والمسلمين.

البافور: لا يوجد ذكر للبافور في المصادر العربية الوسيطة، وهم على ما يبدو سكان أسطوريون تعزو إليهم الروايات المتعلقة بتأسيس حواضر آدرار موريتانيا: تينيگي، آبير، شنقيط، وادان، إعمار هذه الحواضر قبل انتشار الإسلام؟ تُرجع إليهم الروايات الشفاهية المتداولة إعمار أزوكي قبل قضاء الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر عليهم وعلى كلابهم المفترسة!

وقد حاول الباحث البولوني ت. لفيسكي LEWICKI (T) البحث عن أصول البافور، فأرجعهم إلى إحدى القبائل اللوبية "libyque" بموريتانيا القيصرية تدعى بافار " Bavare " اضطلعت في القرن الثاني للميلاد بأدوار هامة في شمال إفريقيا[1] . ويرجح أنهم دخلوا إلى آدرار موريتانيا في القرن الخامس الميلادي، وأزاحوا أغرمان جنوبا. وكانت قبيلة البافار المذكورة قدمت من الشمال الإفريقي في القرن 5 م وجاءت بخليط من بقايا اليهودية وتدين الإسلام الخوارجي، ولذلك شاعت بين البافور عادة اصطحاب الكلاب وقرم لحمها" *Cinophagie* بينما كان المرابطون "يكرهون الكلاب ولايستصْحبون منها شيئا" حسب كلام البكري المعاصر لهم، وربما كان ذلك مصدر الأسطورة التي تقول إن فتح آدرار كان على يد أبي بكر بن عمر اللمتوني صحبة قاضيه "الإمام الحضرمي" الذي أخضع كلاب "الطاوريس" التي كانت تحمي "مدينة الكلاب" وهي "أزوگي" ؟[2] وهو خلط بين

---

(1) مرجع سابق، ص144.

(2) ملخص هذه الأسطورة التي تحوي أصلا تاريخيا، موجود في : عبد الودود ابن انْتهاهْ الشمْسدي ت1920م: نيْل الأوْطار، مخطوط.

تواريخ الحملة المرابطية على سجلماسة حيث الخوارج الصفرية وعادة أكل لحم الكلاب معروفة لديهم، ومع ذلك كان التدين الأباضي.

الأمازيغ(البربر): هم أهم الشعوب التي استوطنت غرب الصحراء وحافظت على كيانها البشري والحضاري.

وكانوا عشرات القبائل المختلفة الأسماء والأمكنة، أشهرها اتحادات لها نفس العصبية والمصلحة ونمط العيش: قبائل مسّوفة (إمسّوفنْ) في الشرق، قبائل لمتونة (إلمْتنْ) في الوسط، وقبائل كدالة (إكْدلنْ) في الغرب. إلى جانب قبائل أخرى كثيرة.

وقد ظلت هذه القبائل الصحراوية تتكتل في اتحادات قوية تقيم دولة تبسط سلطانها على الصحراء والسودان، ثم تتفكك، لتعود مرة أخرى للوحدة، وأشهر تلك الأحْلاف ذلك الذي تم على يد عبد الله بن تيفاوت الملقب تارْشنّى ت 426هـ وهو الحلف الذي تحول إلى حركة فدولة على يد الداعية ابن ياسين الذي استطاع أن يجعل العصبيات القبلية تخضع للعامل الديني، على نحو ما فسره ابن خلدون في أطروحته الشهيرة: "إن العرب ومن في معناهم [= نمط العيش والنظام القبلي] لا يحصل لهم الملك إلا بنبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة. . ".

I) من مملكة آوداغست (بلاد آوكار في الحوض حاليا) إلى الفتح العربي:

عُرف صنهاجة الصحراء بالْمُلَثَّمين، تمييزًا لهم عن بني عمومتهم من حاسري الرؤوس والقاطنين آنذاك في التخوم الشمالية للصحراء الكبرى. ولا يُعْرف الشيء الكثير عن أوّلِيَّةِ اللثام ودلالاته، أكثر من أنه صار شعارا للقوم ومواطنهم الصحراوية.

البكري (قرطبة 1060) يقول بهذا الشأن:

". . . . . جميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه إلا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميه إلا إذا تنقب وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع، وصار ذلك ألزم لهم من جلودهم وهم يسمون من

خالف زيهم هذا من جميع الناس أفواه الذبان بلغتهم ".

أما *ابن خلدون* (المتوفى 808 هـ) فقد كان أكثر دقة في التعريف بالقوم ومجالاتهم، برغم تأخره في الزمان عن عهد أهل اللثام ودولتهم، ولكنه وصفهم بما نصه:

". . . هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المُوَطّنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد، وهجرو التلول وجفوها واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الجهة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزا واتخذوا اللثام خطاما تمايزوا بشعاره بين الأمم. . ".

واسم صنهاجة تعريب للفظ " الأمازيغي": إِزْنَاگنْ، [بكاف معقودة] وهم مع مصمودة: إِمَصْمُودَنْ، زناتة: إزْنَاتنْ، يكوِّنون المجموعات القبلية الكبرى في المغرب الكبير.

ويذهب الباحث صدقي على أزايكو ضمن بحوثه حول أصول البربر إلى رفض الأصل الأنْسابي لأسماء المجموعات المذكورة، ويقترح تفسير أسمائها بما ينسجم مع نِحْلَةِ العيْش الغالبة على حياة القوم. فيرى بخصوص صنهاجة أنها تعريب للفظ البربري إزناكن*، وهو مركب من: إهن (=إزن)، ومعناه: الخيام المصنوعة من الجلد، وإگن (= المغاورون أو الذين يمارسون الغارات). يقع التركيب إذن على هذا النحو: إژن +إگن = إزنگن، وبما أن التفخيم يعتبر من مَيِّزَات اللهجات الصنهاجية، يمكن أن نفترض أن الزاي (العادية) يمكن أن تنطق مفخمة، قد تعني كلمة إزنگن، إژن: خيام القوم الذين يقومون بالغارات، ومعلوم أن هذا النوع من الأنشطة يمارس بكثرة عند رحل الصحراء.

* - الكاف معقودة وتنطق جيما مصرية.

وفي فرضية أخرى (ب): أزن: بعث، أرسل، إگن:"فرقة غير نظامية من الرجال تجتمع للقيام بحركة حربية بقصد النهب".

ويبدو أن نمط العيش ذاك كان غالبا على حياة الظواعن الصنهاجيين في الصحراء مع اهتمامهم بالتجارة وخفارة القوافل، والسيطرة على الممالح المهمة لدى جيرانهم السودانيين. .

ومن أشهر القبائل الصنهاجية لهذا العهد (ق1 هـ /7 م) قبائل لمتونة، ومسوفة، وگدالة. وهي في الحقيقة اتحادات قبلية تضم كل منها تجمعا من القبائل المختلفة الأصول ولكن يجمعها نمط عيش ومجال ترابي وقيادة واحدة. واسم كل اتحاد ينطق بالعربية بصيغة مختلفة عن الصيغة الصنهاجية: اسم لمتونة هو الصيغة العربية لـ "إلمتن = إلمظن" وقس على ذلك.

وكان *لمتونة [إلمظن]* يتمركزون في الوسط مع اقترابهم من النطاق الجنوبي المحاذي للسودان، قبل أن ينتقلوا في عهد الفتوحات المرابطية إلى جبل آدرار الذي سيصبح جبل لمتونة.

أما *مسوفة [إيمسوفن]* فقد انتشروا على طول مسالك المحور الرابط بين سجلماسة وغانة، ولم تكن لهم أي مدينة باستثناء مدينة وادي درعة أو تيومتين الواقعة على مسيرة خمسة أيام من سجلماسة.

گدالة [إگدالن] فقد انزووا نحو الغرب منتشرين على طول الساحل الأطلسي، مُحْكِمين سيطرتهم على مَمْلحة *آوليل*، التي كانت تمون السودان في بعض العهود. والظاهر أن اسم اگدالة ربما كان مشتقا من لفظ أكْدَلْ [أگذلْ: والنطق بالذال معروف لدى صنهاجة] ومعناه الحامي أو الحارس ومنه : أكدل: غطى، انتشر، ويكون ذلك دالا على حمايتهم للقوافل. أو يكون اسمها مشتقا من اسم آكدال: الحصن، فتكون كْدالة: الحصينة أو: المحروسة، أو: الممتنعة.

ولعل گدالة وتنطق أيضا جدالة فرع من جماعات الجيتول "الكيتول" التي كانت من الشعوب الأمازيغية القديمة في الشمال الإفريقي، ولربما كان ذلك مبعث

تميّز كدالة على قبائل صنهاجة الأخرى من مسوفة ولمتونة، وكذا سبب الصراع الدائم بين الطرفين حتى في العهد المرابطي الآتي ذكره.

وقد تكتلت هذه القبائل، في اتحادات سياسية وصل بعضها إلى مستوى كبير من النفوذ، ومن أشهر هذه الإتحادات، مملكة آوداغست* التي ازدهرت قبل المرابطين بكثير، ومن أقدم من ذكر هذه المملكة الرحالة اليعقوبي، في حديثه عن "بلاد أَنْبِيَّةَ وقاعدتهم غُسْتْ (= آوداغست) وأنّ لهم ملكا لا دين له يغزو بلاد السودان. . . ". ، وبعده أشار المسعودي (ت 345 هـ/956م) ناقلا عن الفزاري (نحو عام 172 هـ/788م) إلى اسم أَنْبِيَّة (أَنْبِيَّتَا) للإشارة إلى الأراضي الواقعة بين سجلماسة ومملكة غانة، أي تقريبا، النطاق الغربي من الصحراء بأكمله.

وتدلُّ أوْصاف الرّحّالين على أن هذا الإسم "الغامض" كان يكمن وراءه أقدم اتحاد لبربر الصحراء الغربية، ويقول ابن خلدون أن هذا الاتحاد كان يتألف من مسوفة ولمتونة واكدالة، ويرجع تاريخ انهياره، حسبما يقول هذا المؤرخ إلى عام 306 هـ/919م.

وكان أول رئيس صنهاجي يتولى الحكم في غرب الصحراء هو تيولتان بن تيكلان (أو: إتلوتان بن تلاگگين) الذي ينتمي إلى قبيلة لمتونة، وترفع المصادر نسبه إلى مصالة بن منصور(ينْصر= أنصر) بن ويسنو بن نزار(إنْ زار= المطر)، وإن

*- آوْداغُسْت: مدينة تقع أطلالها شمال شرقي حاضرة تامشكط، في ولاية الحوض الغربي من جنوب شرقي موريتانيا الحالية.
ازدهرت منذ القرن 2هـ /8م كمحطة للقوافل ومركز للتبادل بين بلاد السودان والصحراء والمتوسط، وسكنتها جاليات من بربر نفوسة وجربة (تونس) ووَارْجَلان [ورجلة] (بالجزائر).
وخضعت لسلطان ملك غانة ثم سيطر عليها صنهاجة ثم عاد سلطان غانة عليها قبل أن يفتحها المرابطون في أواسط القرن 5هـ/11م.
وصف ازدهارها التجاري وغناها الأسطورب بالذهب كثير من الرحالة العرب مثل اليعقوبي والبكري والإدريسي وغيرهم.
أنجزت الحكومة الموريتانية بمساعدة آثاريين فرنسيين حملة تنقيب عنها منذ الإستقلال ونشرت نتائج الأبحاث في مجلة المعهد الموريتاني للبحث.

مركز مملكته كان في مدينة آوداغست، وأنه حكم الصحراء كلها، ودان له أكثر من عشرين من ملوك السودان، حيث كانوا يدفعون له الضرائب، وكان يستطيع تجهيز مائة ألف من الجمال الأصيلة ، وقد طال ملكه وتوفي في الثمانين من عمره وخلفه حفيده الأثير بن باتن، الذي تولى الملك حتى توفي عام 277 هـ/900م. وكان آخر ملك لصنهاجة هو ولده تميم الذي تولى حكم هذه القبائل حتى عام 306 هـ/918م وقد قتل على أيدي أعيان صنهاجة الذين ثاروا عليه لأسباب نجهلها.

وعلى إثر ذلك حدث انشقاق بين قبائل صنهاجة، ولم تعد إلى الوحدة من جديد إلا بعد 120 عاما تحت قيادة الأمير أبي عبد الله بن تيفاوت المعروف باسم (تارشينا) وهو أحد رؤساء لمتونة وقد توفي عام (426 هـ/ 1035م) ولم يدم حكمه سوى ثلاث سنوات. وجاء بعد ذلك صهره يحيى ابن إبراهيم الكدالي*، وأصبح رئيس صنهاجة، وبفضله تحولت هذه القبائل من إسلامها السطحي إلى مذهب أهل السنة على يد الداعية عبد الله بن ياسين.

وقد ترددت أصداء الفتح العربي لشمال إفريقية في الصحراء الصنهاجية، ثم لم تلبث هذه الاتحادات القبلية أنْ تعرضت لتأثير الفتوح مباشرة. ويرى ابن خلدون أن جماعات لمتونة وقبائل صنهاجة الأخرى، لم تعتنق الإسلام إلا بعد فترة من دخول العرب للأندلس، أي في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

وبغض النظر عن هذا الرأي ما ذكره الزهري (نحو عام 546 هـ/ 1150م) في كتاب الجغْرافية، (بالعين) من أن المرابطين، وجماعة لمتونة على الخصوص، تحولوا إلى الإسلام إبان عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105 هـ _ 125 هـ/ 724 - 743م) في الوقت الذي اعتنق فيه سكان واحة ورغلة الإسلام.

ومن أقدم الإشارات عن الفتوح وعلاقتها بالصحراء، ما يذكر عن حملات

---

* - الكاف معقودة.

عقبة ابن نافع في السوس الأقصى عام 62 هـ/682م.

وتسرد المصادر العربية، بكل ثقة، مراحل حملات عقبة ووصولها إلى التخوم الشمالية لصنهاجة اللثام، لكنها تتحاشى أن تنسب إليه اجتياز الصحراء جنوبا.

ابن عبد الحكم يذكر أن عقبة غزى إلى " السوس وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبية فجول في بلادهم لا يعرض له أحد ولا يقاتله ".

أما ابن خلدون فذكر أن هذا الفاتح "أجاز إلى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام وهم يومئذ على دين المجوسية ولم يدينوا بالنصرانية فاثخن فيهم وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر وقاتل مسوفة من وراء السوس وسباهم وقفل راجعا ...".

ولا تقدم المصادر الأخرى، بوجه عام، أي جديد بهذا الشأن، ولا يزال الفتح العقبي للمغرب نفسه محل إشكال برغم اكتشاف مصادر جديدة، مثل رواية صالح بن عبد الحليم في كتاب الأنساب عن دخول عقبة إلى المغرب وجولاته في بلاد هسكورة ووصوله إلى السوس وقفوله منه، في تفاصيل لا تخلو من دقة " وقد سبق أن نشر ابروفانصال هذه الرواية [العدد الأول من *مجلة آرابيكا Arabica* سنة 1954] واعتبرها أقرب روايات الفتح إلى الواقع وأبعدها عن الأسطورة، نظرا لاعتمادها على روايات شفهية لذكرى أحداث محلية. . .

وقد أوْرد البحاثة القدير أحمد التوفيق جانبا من هذا النقاش في أطروحته الشهيرة (المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: ص 58 - 59 و86) ونبّه إلى أن "*التصديق بمثل هذه الجولة عبر اَلْمَمَرّات والخوانق الجبلية الوعرة، وخلال كُتَلٍ بشرية هائلة متنافرة متلاحمة ومن أجل نشر دين جديد، من الأمور التي تستدعي غاية الحرص والتردد*".

ومن المنطلق نفسه يقرالأستاذ محمد بن مولود ابن داداه الشنافي "أن المجموعة المسوفية، كانت تنتجع إلى أطراف السوس، مما يعني أن جيوش الفتح

قد خضدت شوكة قبائل اللثام في تلك التخوم ولم تتوغل نحو الجنوب حيث مجالات صنهاجة المسماة "أنبية"والتي كانت تعني آنذاك صحراء الملثمين نسبة لمملكة آوداغست سالفة الذكر". كما أن اسم أنبية (أنبيتا) هذه، سيتردد في أخبار حملات أخرى انطلقت من السوس صوب الصحراء، ولعلها بلغت مصب نهر السنيغال في أقصى الجنوب الغربي الموريتاني!؟.

ومن أشهر هذه الحملات ما تحدث عنه أبو الخطاب الأزدي (أو: الأسدي) [ت: 145 هـ/762م]، من رواية نقلها ابن الفقيه، منها العبارة التالية عن القائد العربي المشترى ابن الأسود" غزوْتُ بلاد أنْبِيَّةَ عشرين غزوة من السوس الأقصى فرأيت النيل [= نهر السينغال] بينه وبين الأجو الأجاج كثيب". ونحن نعتبر حملات المشترى بن الأسود أهم مراحل الفتح الإسلامي لبلاد الملثمين "موريتانيا"، ولعلها تمت في عهد والي السوس اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب سنوات قبل 123هـ.

وبغض النظر عن حملات المشتري هذا وأسباب ذكر اسم أبي الخطاب فيها، فإن حملات أحفاد عقبة قد وصلت إلى المنطقة. من ذلك حملة حبيب بن عبيدة بن عقبة التي وصلت إلى مشارف آوداغست، وقد عاد منها هذا الفاتح مُحَمَّلًا بالذهب والأسرى. وتلفت الانتباه إشارة المصادر إلى أن من تلك الغنائم جاريتان من جنس تسميه البربر "أجّان" وهو على ما يبدو تحريف للتسمية التي يطلقها الصنهاجيون على مجاوريهم من السودان، وأصل التسمية يرجع إلى صيغة: أجان، جناوة، [بجيم مصرية]، وينطق أيضا بالكاف المعقودة الشائعة في النطق الصنهاجي: *أكان، كناوة*، وكذا الأمر في الصيغ الأخرى مثل: *أكني*، جني، *تكانت: تجانت*، [الكاف معقودة والجيم مصرية]. وهي اصطلاحات تحيل إلى الغابة، أوالمناطق الكثيفة الأشجار، كما تطلق على سكان تلك الأماكن من السودان، ومنها: غانة، غينيا. والأمثلة كثيرة في هذا الباب وأشهر من أن نقف عندها.

ويُذْكر أن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة قد حفر سلسلة من

الآبار "من تامدلت إلى مدينة آوداغست" وكان لهذا الإجراء نتائج طيّبة على حركة القوافل ونشاط الدعاة المُسْلِمين.

والمفهوم أن مختلف الحملات المتأخرة، كانت موجهة ضد الاتحاد الصنهاجي الذي كان يقود نبلاء لمتونة المعروفين الأنبيتا (الأنباط)، ذلك أنه بعد انفراط عقد هذا التحالف لم تشر المصادر إلى حملات أخرى على المنطقة. فهل يتعلق الأمر بحصول سكان الصحراء، آنذاك، على درجة من الأسلمة كافية لحمايتهم من بطش الفاتحين العرب؟

نحسب أن الأمر كذلك وإلا لما ذكر الإخباريون أن صنهاجة في تلك الفترة، أنهم كانوا "على السنة مجاهدين للسودان" وأن رئيس حلفهم عبد الله بن تفاوت كان "من أهل الفضل والدين والحج والجهاد". إلا أن هذا الإسلام "السني"و "الجهاد" ضد مشركي السودان قد لا يعني تعمُّق الأسْلَمَةِ بيين الصنهاجيين، بدليل سطحية إسلامهم التي كشف عنها بدء أمر المرابطين، بل قصارى ما يمكن فهمه من تلك "السُّنِّيَّةِ" هو تَمَيُّزُ الإسلام الصنهاجي على ما يجاوره من الدوائر الدينية والمذهبية المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم يُنْسَبْ الصنهاجيون إلى أيٍّ من تلك الفرق والمذاهب، كما لم يُصَنَّفُوا، في الكتابات التي أشارت إليهم، إلا في عداد "أهل السنة".

وتسرد المصادر العربية، بكل ثقة، مراحل حملات عقبة ووصولها إلى التخوم الشمالية لصنهاجة اللثام، لكنها تتحاشى أن تنسب إليه اجتياز الصحراء جنوبا.

ابن عبد الحكم يذكر أن عقبة غزى إلى " السوس (. . .) وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أَنْبِيَّةَ فَجَوّل في بلادهم لا يعرض له أحد ولا يقاتله ".

وقد هز الفتح العقبي رتابة الحياة الصنهاجية وعرّفهم على الدين الجديد ونرى أن موسى بن نصير هو من نشر الدين بالدعوة ويرى حسن أحمد محمود أن الصحراء كانت تابعة لموسى وأنه ولى زعماء الملثمين أعمالا في ديارهم كما أقبلوا

للمشاركة في الغنائم وكان منهم من شارك في الفتوح مثل جماعة شاركت في فتح الأندلس.

آ) أوّلِيَّةُ حركة المرابطين:

تقص الرواية شبه المجمع عليها، أنّ أَوَّلِيَّةَ المرابطين تعود إلى حجة زعيم صنهاجة يحيى بن إبراهيم بن ترجوت اللمتوني[1] ، حيث عرج في مقفله من حجه، على القيروان، وفيها لقيّ شيخ المالكية أباعمران الفاسي (ت 430 هـ/1039م) وقد طلب اللمتوني من الفاسي أن يرسل معه أحد تلاميذه، ليعلم قومه في الصحراء واجباتهم الدينية التي كانوا يجهلونها، ولما لم يجد الفاسي تلميذا يقبل تحمل مشاق الرحلة وصعوبة العيش في الصحراء، فقد نصح اللمتونيَّ بأن يمر بتلميذ آخر للفاسي هو واجاج بن زلوي اللمطي المقيم في ملكوس في السوس، وقد وجد اللمتوني بغيته هناك، حيث أصْحبه واجاج تلميذه عبد الله ابن ياسين والذي أبدى حماسا للرحلة وأهدافها.

وبالرغم من بعض المصاعب التي لقيها الداعية الجديد، وهو أمر مفهوم، فإن مسار الدعوة أفضى إلى تطور الدعوة بسرعة من دعوة إصلاحية إلى حركة جهادية، اندفعت شمالا محطمة سيطرة زناتة ومنهية سيطرة "الجيوب البدعية" (من مختلف أصحاب الفرق والدعوات المنحرفة)، ثم كرت جنوبا لتدك آودغست على سكانها دكا، عقابا لهم على قبولهم سلطان ملك غانة الوثني، ثم استمر مسار الحركة لتصبح دولة قائمة بين مراكش والصحراء في سياق معروف.

ويمكن، تلخيص كرونولوجيا الحركة في التواريخ التقريبية التالية:

1. مرحلة الدعوة الأولى لابن ياسين بين صفوف *كدالة* (أو: لمتونة) 430-445هـ وانتهت بطرده. وفي هذه المرحلة أسس مدينة "أَرْتَنَنِّي" في شمالي بلاد الحوض الحالية من الشرق الموريتاني وكان بناؤها تجسيدا لروح الدعوة الجديدة

---

(1) ورد هذا الإسم في الأنوار الجلية للصيرفي، وهو أهم مصدر عن تاريخ المرابطين.

القائمة على المساواة حيث أمر ابن ياسين أصحابه "أنْ لايشفَّ بناؤها على بعض" بحيث تكون بيوتها متساوية في الشكل والمضمون.

1. غزو كدالة وإخضاع القبائل الصحراوية 443-444هـ.
2. غزو وادي درعة وما والاه حدود سنة 445 هـ.
3. الهجوم على سجلماسة 445هـ.
4. الهجوم على أوداغست وتخريبها سنة 446هـ.
5. حصار گدالة لآزوقي واستشهاد يحيى بن عمر و"لابَى ابن وارجابي" أمير تكرور 448هـ/1056م.
6. غزو أغمات وبلاد المصامدة سنة 449هـ.
7. إخضاع بلاد الصحراء والمغرب كليا 450-451هـ.
8. وفاة عبد الله بن ياسين سنة 451هـ.
9. بناء مراكش 463هـ.
10. تخلي أبو بكر بن عمر عن حكم المغرب ليوسف سنة 465هـ.
11. فتح فاس على يد يوسف سنة 468هـ.
12. استشهاد أبي بكر بن عمر آخر 67 أو بداية 468هـ.
13. فتح وهران وتلمسان في 475هـ.
14. استشهاد ابراهيم بن أبي بكر اللمتوني 480هـ.
15. وفاة أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي قاضي قضاة المرابطين في صحراء الملثمين"موريتانيا" سنة 489هـ.

واستمرت الحملات المرابطية حسب التطور المعروف في المصادر الوسيطة حتى انهيار الدولة في المغرب والأندلس.

لكن المعارك المرابطية الكبرى في صحراء الملثمين لم تحظ بمعالجة كافية بل لعلها أُهملت تماما.

ومن أشهرها معركة الجبل سنة، وهو جبل آدرار الحالي [شمال غربي

موريتانيا] وقد دارت فيه معارك طاحنة استمرت عدة أيام انتصرت فيها قبائل صنهاجة فسماهم الداعية عبد الله ابن ياسين بالمرابطين، وكان ذلك أول تلك التسمية التي لا علاقة لها برباط قائم في مكان بعينه. وأصل تسمية المرابطين متأتٍ من المرابطة في سبيل الله كما في الذكر الحكيم: "وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومنْ رِباط الخيل. . "، لكن قبائل صنهاجة أقامت عدة مواطن متفرقة أشهرها مدينة "أرْتنَنّى" في شرقي موريتانيا ضمن بلاد لمتونة، أما حكاية الرباط في جزيرة فلم يذكرها *ابن الصُيرفي* صاحب أهم كتاب وأوثقه عن المرابطين، كما لم يشر إليها مطلقا معاصروهم كالبكري وغيره.

وقد استأصل الفتح المرابطي مجموعة تسمى القامنورية أو القامنوري التي كانت متمركزة هناك منذ منتصف الألف الثاني على الأقل، ومعنى اسمها: البكم أو العجم، لأنهم كانوا يتحدثون لغة غريبة لايعرفها صنهاجة؟ وهي مجموعة نعتقد أنها ما يسمى محليًّا *أغْرَّمانْ* [= أقرمان: جارمان والتاء ملحقة في الأمازيغية] وهي تسمية متأتية من صيغة التصغير البربرية: أغْ رومان: أي الرومان الصغار أو الرومان الممسوخون لأن هذه القبائل كانت وثيقة الصلة بالرومان لاسيما بشأن تجارة القوافل بحثا عن الذهب. وهي بالتحديد من قبائل الجارمنت [الغارمنت] الليبية الشهيرة ولاتزال نفس التسميات مستعملة في البلاد الليبية الحالية، التي غزت البلاد الموريتانية بواسطة عربات تجرها الخيول تركت آثارها شاخصة على جدران الكهوف من جنوب المغرب إلى آدرار نحو تكانت ثم إلى كهوف بلاد الحوض ومنها نحو مالي فالنيجر.

وكانت قبائل الجتول أو: الكتول وهي أصل گدالة، والقارمانت أو: القارمانت، قد غزت الصحراء على العربات في الألف الثانية وتوطد سلطانهم بعد ذلك باستخدام الجمل حين تصحرت المنطقة ولم يعد من الممكن استخدام العربات التي تجرها الخيول.

أما *الباُفور* فهم في الحقيقة مجموعة من البافار من القبائل الليبية التي

قدمت في القرن 5م وعمرت آدرار وأعطت اسمها للجبل فسُمّي: آدْرَارْ أنْ بافُور، أي: جبل البافور، وظلت التسمية مستخدمة إلى أيام البرتغاليين! لكن اسم البافور بقي في أتباع القبيلة التي أخضعها الفتح المرابطي وهي المجموعات التي تشتت بعضها في الصحراء وصار أصل النمادي واتجه البعض الآخر نحو الساحل واشتغل بمهنة الصيد فصار نواة "إيمراكن"، ودخل البعض الآخر في كثير من القبائل الموريتانية الحالية، ومنه من يصرح بأصله البافوري ومنه من لايصرح. أما الفئات التي بقيت في الجبل فصارت من أتباع السادة الجدد. ولم يكن البافور أبدا برتغاليين بل كانوا قبيلة بربرية عريقة تعيش على الإبل ووغيرها من الأنعام وكان مجال تحركها يصل إلى الحوض ولا زالت فيه مواطن البافور مثل أضاة تسمى"البافورية"، فتأمل! وما ذكره ابن حامد من أن تيزگة من البافور، ليس قادحا في تاريخهم، لأن تيْزَگّهْ كانت إحدى القبائل القوية التي تتقدم الجيش المرابطي وتقاتل بالدرق اللمطية "تروس من جلود اللمط " وهو حيوان المها الكبير.

وقد ذهبت الذاكرة المحلية المشوشة والمولعة بالأسطورة إلى أن جماعات البافور والجارمنت هم من البرتغاليين والإسبان الذين جاؤوا للمنطقة في النصف الثاني من القرن 15م.

والحق أن سبب تلك الأسطورة هو ما علق في الذاكرة المحلية من شيوع التديُّن اليهودي والمسيحي البسيط مع الدين الإسلامي الخوارجي بين تلك القبائل، ووجود ظاهرة أكل لحوم الكلاب بينها، مما جعل السكان المحليين يتحدثون عن" مدينة الكلاب" وأسطورة " الفتح الحضرمي" للمدينة. . . وكله خليط متنافر متناقض تاريخيا.

والحق أن مدينة الكلاب الواردة في الأسطورة المحلية هي مدينة سجلماسة التي كن يعمرها الخوارج الصفرية وتشتهر بينهم عادة أكل لحوم الكلاب، فتأمل! وقد اعتقد السكان أنها مدينة"آزوكي" التي دفن قربها أبوبكر بن محمد بن الحسن الحضرمي قاضي المرابطين (ت489هـ) وكان قاضيا لقضاة المرابطين في عهد أبي

بكر بن عمر الذي فتح سجلماسة.

أما ما بقي من البافور فهي جماعات أسلاف الفئات الخاضعة من السكان القدماء في تلك المنطقة. وكان بعضها لايزال يعرف بنفس التسمية في عهد فتنة "شَرُّ بَبَّهْ" بين المغافرة والزوايا في منطقة القبلة، حيث يذكر الفقيه اليدالي: بئر أندب فور، وفلان البافوري في عداد جيوش المغافرة.

ب) مسألة الرباط:

نهتم بهذه التسمية لارتباطها بجذور الاصطلاحات التي تؤسس اسم الزوايا ومرادفاته ودلالاته في البلاد بعد ذاك.

ولم يَبْن المرابطون في صحرائهم مكانا محددا سوى "أرْتنني" الموجودة في بلاد الحوض من شرقي موريتانيا، فيكون الرباط هو تلك الحاضرة، لأن المواصفات التي ذكرها البكري تدل على أن العمارة كانت وفق مواصفات دينية شديدة الصرامة:"أمرهم ببناء مدينة سموها أرْتَنَنّى وأمرهم أنْ لايشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا ذلك. . ". ومع ذلك فنحن لانولي عناية لوجود رباط بعينه جريا على سنن الدراسات المختصة الحديثة.

ومع ذلك يمكن الحديث عن نموذجين للمرابطة: شرقي في "أرْتَنَنْ" وغربي في تيذْرة، وقد تكون هناك رباطات أخرى حسب مواقع الجهاد ألمرابطي ضد القبائل في العهود الأولى للحركة.

كان التفسير الرائج لاشتقاق كلمة *مرابطين* أنها مشتقة من رباط أو من رابطة كانت في شكل موقع محصّن يقع على الساحل أو قرب التخوم، يكرس للعبادات والتربية الزهدية، أو لهذا بأجمعه ، وليس لهذا التفسير من أساس سوى عبارة لابن أبي زرع(ت. بعد عام 733 هـ/ 1325م) في سياق حديثه عن اعتزال ابن ياسين مع جماعة في مكان منعزل قرب البحر أو النهر، وقد تابعه ابن خلدون بأسلوبه المميز، مما أعطى للرواية مصداقية عجيبة، مع أنه لا أساس لها. وقد تخلت المدرسة الحديثة عن هذا الرأي القائل أن كلمة المرابطين تعني "أصحاب الرباط". وقد جاء

الدليل القاطع على يد علماء الآثار في حملتهم في جزيرة تيدرة (شمال انواكشوط على الساحل)، حيث لم يجدوا ما يسمح بقبول فكرة ابن أبي زرع.

وقد خصص الباحث القدير "موريا‌س فرياس" دراسة ضافية وجامعة لمسألة الرباط وأصولها المختلفة وقرر بناء على رأي البكري، أن كلمة رباط، في كل ما يتعلق بالمرابطين ، كانت لها معنى مرتبط مباشرة بالجهاد والقوات التي تخوض الجهاد.

من خلال مناقشات بارعة، توصل فارياس إلى أن الافتراض المأمون هو أن كلمة رباط، متأتية من المعنى القرآني الأصلي، الذي لا علاقة له بالمنشئات العمرانية الحصينة التي ظهرت لاحقا بنفس الإسم، ولقد كان هذا المعنى الأصلي متصلا بالجهاد، إما عبر فكرة حبْس الخيل جمعا وإعدادا للجهاد أو عبر فكرة ترتيب المحاربين صفوفا لأجل القتال، وفي نفس الاتجاه، نعتقد أن تقاليد المرابطة، على هذا النحو، قد تلقاها ابن ياسين عن شيوخه الأول ولا سيما واجاج، وقد كان واجاج بن زلوي اللمطي يؤكد صاحب كتاب القبلة إنه كان من تلاميذ ابن تَيَسيّيت بأغمات قبل قيام المرابطين، ومن طلبة هذا الشيخ الذين جاهدوا برغواطة.

إن المهم من صلة وجاج بابن التيسييت، هو أنه قد تلقى عنه تقاليد المرابطة والجهاد التي عمقتها المعارف المتلقاة عن الفقيه الفاسي ، مما جعل وجاج يؤسس رباطا أكثر أهمية سماه دار المرابطين، ولعل هذا التأسيس كان المرحلة الأكثر اكتمالا لتقاليد المرابطة في بلاد المغرب.

وبذلك فإننا نعتقد أن لفظ المرابطين تعبير عن مجموع تعاليم "دعوة الحق" التي كانت شعارا للمنضوين خلف لواء الحركة، أكثر منه تجسيدا لرباط أو رباطة حصنا كان أو مدرسة، ونحن نقول برأينا هذا لكونه الأَنْسب لتاريخيَّة المفهوم والأكثر انسجاما مع "النظر الْحَفْرِيّ" الذي أضْحى يشكك في إجرائية مباحث البدايات والأصول وما إليها.

كذلك فإن اللفظ قد فشى في المصادر الوسيطة وفي الروايات المحلية، عَلَمًا على القبائل التي قامت بأمر الدعوة تمييزًا لها على القبائل "المغضوب عليها" التي ناوأت الحركة في مهدها الأول أو في الشمال.

لا نعرف بالتدقيق ظروف نهاية سلطة المرابطين الموحدة في الصحراء، لكننا نملك بعض الإشارات المفيدة.

بعد الخلاف بين أبي بكر ويوسف بشأن ملك المغرب، انقسم جيش الدولة إلى شطرين: شمالي يسيّره يوسف، وجنوبي يقوده أبوبكر. وظل أبوبكر بن عمر اللمتوني هو الأمير الفعلي لدولة المرابطين من المغرب إلى الصحراء فالسودان، وظلت نقود الدولة تسك باسمه، حتى وفاته، حيث عادت الملك إلى يوسف واستمر في أبنائه.

ولم يبق في ذاكرة أهل الصحراء من سكان موريتانيا اليوم إلا حدث رجوع هذا الأمير المرابطي نحو الصحراء، بل إن الرواية الشفهية غلب عليها عنصر المبالغة كالعادة واعتبرت أبابكر بن عمر اللمتوني فاتحا للصحراء قادما من الشمال، وقد يكون لذلك التصور مسوغه لأهمية فتوحات الرجل مقفله من المغرب.

كما ظل عالقا بالذاكرة المحلية حدث رجوع "محلّة بوبكر بن عامر" في الإصطلاح الشعبي وكونها أصل كل الإمارات اللمتونية التي نشأت في الصحراء بعد نهاية الدولة المرابطية. وهو استحضار له أهميته في تاريخ تلك الحقبة وما تلاها، لأن "المحلّة" هي تعريب لـ "تَاگَرَارَتْ" وهي أيضا "المعسكر" وقد سمّى به المرابطون جل الأمكنة التي نزلوها وكل الأحياء التي احدثوها ابتداءا.

ذكر ابن خلدون[1] أن يوسف بن تاشفين لما فتح تلمسان "أنْزل بها محمد ابن تيغمر المسوفي فصارت ثغر المملكة واختط بها مدينة تَاكْرَارَتْ . . وهو اسم المحلة بلسان البربر. وورود اسم تَاگَرَارَتْ هذه في تاريخ المرابطين كثير ومشهور،

(1) العبر..، ج186/6.

حتى تمهد لنا أنه جزء من نظام قائم في حياة القوم[1] .

وكان ذلك بداية تشتت قوة لمتونة وقبائل صنهاجة الأخرى. يقول البكري المعاصر لهم[2] : " *وأمير المرابطين إلى اليوم وذلك سنة ستين وأربعمائة أبو بكر بن عمر وأمرهم منتشر غير ملتئم . .* " لقد توفي أبو بكر بن عمر اللمتوني 468هـ / 1075م أو 480هـ/1087م بعد معركة ضد وثنيي السودان ولايزال قبره معروفا في بلدة "أم العويتقات" في بلاد تگانت من شرقي موريتانيا الحالية. وقد شكلت حملة الجهاد الطويلة التي خاضها أبوبكر بعد رجوعه تأسيسا للطريق التجاري الذي سلكه وظل يعرف بـ"طريق اللمتوني"[3] . وقد تولى السلطة بعده أبنه ابراهيم بن أبي بكر بن عمر وكان تولى ولاية سجلماسة في عهد أبيه بدليل النقود التي ضربت في عهده سنتي 463 هـ و465 هـ. لكن يبدو أن ملكه لم يُعمّر، إذ سرعان ما سيطر يوسف بن تاشفين على مقاليد الأمور من مراكش. وقد حاول ابراهيم استرداد الملك من يوسف، فنفر في جمع كثير من لمتونة ونزل أغمات لكن الأمير مزدلي بن تيلكان أو تيچكان نصحه بالعدول عن الفكرة وحصل له على هدايا عاد بها ابراهيم إلى الصحراء. ويبدو أن محمد بن يحيى بن عمر كرر المحاولة لكن في اتجاه إحياء الجناح الصحراوي للدولة، حيث أعاد تنصيب المرادي في نفس الخطة التي تولاها في عهد أبي بكر. يقول ابن بسام الشنتريني: ". . " ويذكر ابن حامد نقلا عن الغرناطي مانصه: " بقيت إفريقية في أيدي الملثمين إلى أن استردها الملك

---

(1) راجع مثلا: أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنّى بـ"البيذق": أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة المُوّحدين، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971، ص62،85،92. وفي تلمسان: حي المرابطين الذي بنوه: تاكرارت.

وفي الصحراء الموريتانية: تاكرارت قرب ولاتة [= ولاتا]، وكرارت ابن دهموش البوفائدي التي آلت إليه من حروبه مع صنهاجة الصحراء قبل أن ينتزعها منه أمراء أولاد أمبارك.

(2) المغرب: 170.

(3) طريق اللمتوني: ينطلق من بلاد السودان صاعدا عبر شرقي موريتانيا (ظهر النعمة – ولاتة [= ولاتا]) إلى تكانت نحو آدرار منحرفا نحو الشمال الشرقي ثم نحو الشمال الغربي عبر جبل الجل نحو الساقية الحمراء فوادي درعة.

محمد بن يعقوب الموحدي منهم في سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وطردهم إلى البر وأكلهم الدهر. ولم يبق من هذه الطائفة من يلي الملك بعدهم إلا طائفة بالتكرور أولهم ابراهيم بن عمر التكروري وهو أول من ملك من آل بيتهم بالتكرور. ثم ملك بعده ابنه داود ثم ملك بعده ادريس بن إدريس بن إبراهيم ثم ملك بعده عثمان بن إدريس بن إبراهيم. وكان عثمان هذا ملكا مرابطا مجاهدا. "

وهؤلاء إما في جزء بلاد التكرور من برنو وكانم لوجود هذه الأسماء في ملوكهم، أو في ممالك مالي وسنغاي لإشارة ليون الإفريقي إلى ذلك.

ويذكر ابن عذاري[1] أن لأبي بكر ابنين هما: إبراهيم ويحيى. وأن إبراهيم "لم تُعْرف أمه وكان أسود الجلدة" فلعله عُرف بالتكروري نسبة لأمه. وجاء في راوية مهمة أوردها ليون الإفريقي[2] أن أسلاف مملكة مالي أسلموافي عهد أبي بكر بن عمر ويسميه ليون خطأ عم ليوسف ملك مراكش، وجاء في صفحة أخرى ذكر تزويج أبي بكر ابنته من عاهل المندانغ "كانجابا" الذي أسلم على يديه.

ومن اللافت إشارة ليون إلى إن الإمارة المؤسسة لمالي هي من ذرية أمراء المرابطين لكنها ضعفت حتى صارت ذريتها خاضعة لسونغاي وليس لها سلطان ولا مال.

ويقول ابن خلدون[3] :" وبقي من أقام بالصحراء منهم على حالهم الأول من افتراق الكلمة واختلاف البين وهم الآن يعطون طاعة لملوك السودان يجبون إليهم خراجهم وينفرون في معسكرهم . . ".

والظاهر أن من يقصدهم ابن خلدون هم قبائل مسوفة وإخوانهم من التوارق الذين دخلوا في ظل مملكة مالي فوريثتها جزئيا مملكة سنغاي، وصارت

---

(1) ابن عذاري: البيان المغرب..، ج4، ص17.

(2) حسن الوزان "ليون الإفريقي": وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية د.محمد حجي و د. محمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، طبعة ثانية، 1983، ج2، 164.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى: العبر.. (بيروت: دار الفكر، 1399هـ/ 1979م)، ص 198.

تلك القبائل تقوم بدور يشاكل دور قبائل المخزن في المغرب.

والدليل على ذلك أن ابن خلدون كان على اطلاع على أحوال الجانب الشرقي من بلاد اللثام المصاقب لبلاد السودان وكان بمكنته الحصول على أخبار تلك الجهة لوجوده في بلاطات الدويلات المرينية والحفصية في المغرب والتي اتصلت بينها السفارت مع ممالك السودان فضلا عن نهضة الطريق الشرقي الرابط بين السوادن والمغرب الأدني "إفريقية" والأوسط عبر اتوات التي تصعد منها فروع الطرق نحو تلمسان وإفريقية وغيرها من أمصار الشمال.

أما الطريق الغربية المارة من شرقي موريتانيا صاعدة عبر آدرار في اتجاه وادي درعة فقد تدهورت لصالح الطرق الشرقية الأنفة، بعد انهيار دولة المرابطين وظهور عرب المعقل على محور تافيلالت - السوس ولذلك فقد صمتت المصادر عن القطاع الغربي من بلاد صنهاجة الصحراء الذي يشمل ما بين درعة والساقية الحمراء إلى تخوم آدرار.

ويقول محمد امبارك اللمتوني ت1290هـ أنه بعد موت أبي بكرِ بويع ابنه محمد(يحيى، أو إبراهيم؟ أو محمد بن يحيى بن عمر؟) ثم عزل فبويع الخظير بن يوسف لمدة أربعين سنة وبعد موت الخظير بويع ابن ابنه عتبة فحكم الصحراء ستين سنة ثم خلفه ابنه بشار فحكم لمدة ثلاثين سنة ثم خلف هذا ابنه الملقب أَنَهْ وبعده بويع محمد البنبري اللمتوني فملك عشرين سنة ولكنه تنازل بعد فشله في حروب داخلية، فانقسمت الدولة بين أربعة رجال هم: بيلكه، أحمد بن محمد، أعمر بن بادي البنبري، المرابط أشفغا الهاشمي العلوي الحسني حفيد لمتونة، وهذه الأسماء الأخيرة موجودة في أسماء أسلاف قبيلة لمتونة الحالية".

لكن هذا الإنقسام للدولة المرابطية في الصحراء كان في سياق تشكل الإمارات اللمتونية الأربع التي سيعصف بها بنوا حسّان في القرن الثامن الهجري في سياق يأتي ذكره.

ولعل الصلة بين محمد بن يحيى بن عمر والمرادي تفسر خطاب التعليم

للأمراء الوارد في كتاب "الإشارة إلى أدب الإمارة" الذي كان الهدف منه تعليم صغار أمراء المرابطين أصول السياسة وطرق الحكم.

وفي الشمال استمرت الدولة في ظل يوسف وأبنائه لكن الصلة مع الجناح الصحراوي سرعان ما اتصلت بقوة مع وجود ولاة على الصحراء من قبل ملوك مراكش.

ويتأكد ذلك من مراجعة فتوى لابن رشد تشير إلى أن " الأموال المختلطة المشار إليها كانت تقدم منها الهدايا " لأمير المُسْلِمين ناصر الدين" وهو لقب أمراء المرابطين منذ عهد يوسف ين تاشفين (480-1087/500-1106 . ناهيك عن أنها تصرح كذلك بوجود أمير مولّي على الصحراء وقبائلها من قبل أمير المُسْلِمين نفسه، الأمر الذي يؤكد أن المنطقة ظلت على تبعيتها القوية للسلطة المرابطية في مراكش ، وجهازها الإيديولوجي المرابطي، على الأقل حتى عهد على بن يوسف بن تاشفين (500-1102/537-1142).

وتدل إشارة محمد امبارك اللمتوني على أن ذرية يوسف بن تاشفين حكمت الصحراء على النحو المشار إليه في الفتوى، أو يكون الأمر متصلا برجوع التاشفينيين ومن معهم من لمتونة ومسوفة نحو توات حسب ما مر بنا في النص الآنف.

أنزل الموحدون ضربات موجعة بالمرابطين في تلمسان ووهران، مما أدى إلى شيوع جو من التشاؤم في صفوف المرابطين جعل العديد منهم ينحاز إلى الموحدين أو يفر بجلده.

فرّ أولا عبد الله بن ونكي "الذي قصد المغرب الأقصى"؟ وبعده بيوم واحد تبعه الشيخ "أنجمار"[أصل الإسم : أنكمار بالكاف المعقودة: الصيّاد] الذي قصد الصحراء وربما أقام بـ"تنْ أنجمارة" التي نُسبت إليه. والظاهر أنه هو مؤسس الفرع المعروف بـ أنجامرة" من المجموعة اللمتونية الصحراوية "تندغ" التي تشكلت بعد سقوط دولة المرابطين في الشمال.

بدأ حصار مراكش في فاتح محرم 541هـ/13 يونيو 1146م وحاول المرابطون الصمود بقوات تصل 5500 فارس إلا أن جيش الوحدين باغتهم ساعة الفجر وطاردهم إلى أقصى المدينة واستحرّ القتل في صفوفهم ولم تفلح في مساعدتهم قوات لمطة التي وصلت وأمرها القائد المرابطي بالدخول مباشرة في المعركة، إذ نكل بها الموحدون وغنموا منها عددا من الجمال. (1)

وقد تمكن الجوع من المرابطين المُحاصرين في مراكش مع كل من التجأ إليها فرارا من المطاردة في الجهات الأخرى. ورغم ضحايا المجاعة الذين كانوا بالآلاف فقد استمر الحصار تسعة أشهر ونصف وانتهى بهجوم شامل على الأسوار وفتك مريع بالسكان من خاصة وعامة أسرا وقتلا ونهبا على مدار ثلاثة أيام وبعد ذلك صدر عفو كاملا وأطلق الأسرى بعد تسليمهم أسلحتهم لكن بيعت نساؤهم كجواري. (2)

لقد نُفذ حكم القتل في كل شيوخ المرابطين "يسميهم البيذق الموحدي بالسلاطين"، الذين ألقي عليهم القبض في القصر الملكي، بينما نجا البعض من الجهات الأخرى.

لقد أدى انهيار دولة المرابطين في الشمال إلى هجرة من بقي من لمتونة ومسوفة نحو الجنوب هربا من القتل أو لجوءا إلى الأهل.

جاء في بعض تواريخ اتوات:". . أول من نزل بها وبنى بها القصر الأول: يقال إنهم اللمتون أولاد الملك يوسف بن تجفنت [يعرب: تاشفين] حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس . . . فجاؤوها هاربين وفارين إلى أن بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجدب، فعرفوا أنها أرض أمان، لأن الجند لايطيق المقام بها ولا مطمع له فيها، فبنوا للسماء وحفروا للماء واستوطنوا وكان أول قصر بنوه بها

---

(1) هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، المترجم عبد الواحد آكمير، الرباط: دار النجاح الجديدة، 2004، ص131 ومابعدها.

(2) نفسه.

"تيلوت" قصر قديم . . "[1] .

وبعد انهيار دولة المرابطين خرج تجكانت نحو أتوات وسكنوا في أخْصاص مدة 70 سنة قبل أن ينزاحوا نحو نواحي آدرار "موريتانيا" ليستقروا في مدينتهم الشهيرة تينيگي[2] .

ويذكر الضابط المترجم مارتان في كتابه "الواحات الصحراوية" أن تجكانت كانوا يغيرون على اتوات في القرن السابع.

كان تجكانت ربع جيش المرابطين حسب ابن حامد، ولعل اسمهم حرفته المصادر إلى تيلكانت ومنهم القائد المرابطي مدرك التلكاني الذي كان يقود ربع جيش المرابطين من قبيلته![3] .

ونفس النسبة ذكرها ابن خلدون: "أغزى يوسف بن تاشفين إلى المغرب الأوسط سنة اثنتين وسبعين "وأربعمائة" قائده مزدلي بن تيلكان بن محمد بن وركوت "تركوت" من عشيرة في عساكر لمتونة"[4] . ولعل الإسمين هما لشخص واحد، فتأمل.

كانت أولى مظاهر الثورة المنظمة ضد الموحدين هي ثورة الصحراوي [سيعرف بابن الصحراوية] الذي حمل لواء المرابطين وقام باسمهم، فلم شمل العناصر المعادية للموحدين. وكان هذه المرابطي الشجاع والمزعج حفيدا ليوسف بن تاشفين وابنا لأبي بكر بن يوسف ابن تاشفين من إمرأة صحراوية، وقد حمل لقب أمه وليس أبيه جريا على عادة المرابطين، وبعد مقتل ابراهيم بن تاشفين أثناء حصار مراكش، اعتبر نفسه أحق من غيره بإمارة المُسْلِمين وبتولي العرش،

---

(1) ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم): القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص16 ملحق بـ: فرج محمود فرج: أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، الجزائر، 1977.

(2) هذه الرواية نقلها أحد أعيان تجكانت من النص المذكور.

(3) أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954، مجلد 1، ج 2، ص 23.

(4) العبر...، ج6/185-186.

لكونه الوريث الشرعي لبني تاشفين، ومن أجل ذلك ضرب أثناء وجوده في سبتة السكة باسمه. [1]

كان ابن الصحراوية ممتنعا في دكالة في موضع يسمى *أيصنول* ولما دهمت جيوش الموحدين الإقليم فرّ شيوخ الدكاليين مع الصحراوي في اتجاه السوس كما فر فرسانهم وتمكن الصحراوي من الإفلات والفرار إلى الصحراء. وبعد هزْمه لدكالة قام عبد المومن الموحدي بأسر نسائهم وبيعهن[2] .

وتوالى خروج الثوار المرابطين على الموحدين حتى بلغوا - حسب البيذق - أزيد من ثلاثين كلهم في الجنوب وتخوم الصحراء[3] .

ومن أهم هذه الثورات بالنسبة لنا ثورة جزولة بقيادة ثائر يسمى أبو بكر بن عمر خرج عام 548هـ لكنه سرعان ما قتل على يدي واليين موحديين هناك.

ثم حدثت ثورة قوية في آسرير من بلاد نول لمطة "من قبائل تكنه" الحالية بقيادة أك أنكي اللمطي ، لكنها أُخْمدت بسرعة.

واستطاع الموحدون أن يكسروا ثورة *محمد أهوكار* الذي سماه البيذق: "سلطان لمتونة" والذي كان خرج بلمطة "بلاد تكنة الحالية" لكنه قُتل على يدي قائدين موحديين ورجعا بغنائمه.

ولعل هذه الثورة الأخيرة كانت وثيقة الصلة بصنهاجة الصحراء لأن اسم الثائر يدل على أنه من الهوكار حيث توجد قبائل إيولمدن "إلمتن" التي ظلت وفيّة للتقاليد المرابطية. كما أن هناك فئة من أعيان هؤلاء تسمى "إلمطن" أو "لوميت" وهما نفس اللفظ: اللمطيون، وهو ما ينسجم مع الرواية التي ساقها البيذق.

واستمرت المقاومة المرابطية أزيد من نصف قرن على يدي ثوار عديدين أشهرهم ابن غانية وأسرته وأبناؤه.

---

(1) هويثي ميرندا: مرجع سابق، ص 142.

(2) ميرندا: نفسه.

(3) البيذق: مصدر سابق، ص 77، 79، 85.

وعن أوّليَّة بني غانية يقول ابن خلدون:" كان يحيى المسوفي من رجالاتهم وشجعانهم وكان مقدما عند يوسف بن تاشفين لمكانه في قومه واتفق أنه قتل بعض رجالات لمتونة في ملاحاة وقعت بينهما فتثاور الحيّان وفر هو إلى الصحراء ففدى يوسف بن تاشفين القتيل ووداه واسترجع عليا من مفره لسنين من مغيبه وأنكحه امرأة من أهل بيته تسمى غانية بعهد أبيها إليه في ذلك فولدت له منه محمدا ويحيى تحت ابن تاشفين وحجر كفالته. . ". ويمكن تلخيص ثورة بني غانية في الأحداث التالية[1] .

بدأت ثورة بني غانية بانتفاض بني إسحاق بن محمد بن غانية في جزر الباليار التي ظلت مستقلة بعد انهيار المرابطين.

ثم تطورت الثورة مع علي بن إسحاق بن محمد بن غانية الذي وصلته من بجاية رسالة من أنصاره يدعونه للقدوم إليهم وقد قصد بجاية على رأس أسطول قوامه 30 سفينة على ظهرها 200 فارس و4000 من المشاة.

وتم احتلال المدينة في تاريخ تقريبي 581هـ /1185م واحتل أيضا الجزائر وولى عليها ابن أخيه طلحة كما احتل مليانة وعين عليها يدر بن عائشة ولقيت قلعة بني حماد نفس المصير.

كان جيش علي بن غانية مكونا من العرب والمرابطين" لاحظ هذه المودة بين الفريقين" وقارن كلام الغلاوية عن دولة المرابطين من لمتونة وبني حسّان.

وبعد معارك طاحنة احتل استرجع الموحدون بجاية في 5 رجب 581هـ/ 6 يوليو 1185م .

وفي ربيع أو صيف 582هـ/1186م قام علي ابن غانية بنهب الواحات الواقعة جنوب الأوراس ، كما نجح في استمالة عرب جشم ورياح وخرب نخل توزر واستسلمت له قفصة ومنها توجه إلى طرابلس حيث وجد في الأرميني

---

(1) هويثي ميراندا: مرجع سابق، صص 311-320، ومواضع مختلفة أخرى.

قراقش[1] حليفا جديدا ضد سلطة الموحدين.

كما انضم إليهما كل عرب تلك البلاد وكذا من تخلف هناك من قبيلتي لمتونة ومسوفة المرابطيتين، وهو ما جعل كل بلاد الجريد تخضع لسلطتهما.

واستطاع ابن غانية السيطرة على كل إفريقية، باستثناء تونس والمهدية، وقام بأعمال السلب والنهب والقتل بالجملة.

قتل علي بن غانية سنة 584هـ وبعد ذلك اختار إخوته وشيوخ المرابطين أخاه يحيى لخلافته، وقد تمكن هذا الأخير على امتداد نصف قرن تقريبا، وبشجاعة وفعالية نادرتين من مواصلة الكفاح ضد الوحدين الذن ألحق بهم أضرارا بليغة ومتكررة. وحول الاستمرار في محاصرة مدن الشمال لكنه لم يستطع فآثر الإنكفاء نحو الجريد للالتقاء بقراقش وإقامة تحالف معه.

استطاع عامل إفريقية الجديد عبد الواحد الحفصي 24 اكتوبر 1207م/30 ربيع الأول 604هـ أن ينزل هزيمة محكمة بيحيى ابن غانية ورجاله الذين تشتتوا قرب شبروا ناحية تبسة وتعقبهم الموحدون لكن يحيى رغم إصابته بجروح استطاع النجاة بنفسه والإلتجاء إلى الصحراء.

وقد واصل الوالي الداهية تعقب يحيى بن غانية الذي يظهر أنه توغل بعيدا في الصحراء خوف المطاردة واقتنع بعدم جدوائية المقاومة لصعوبة التموين وقلة المال للإنقاف على العرب، ولذا اقترح عليهم ترك إفريقية وواليها المخيف وشأنهما.

وفي سنة 605هـ استطاع يحيى بن غانية تنظيم قواته والهجوم على تاهرت وتحويلها إلى أطلال بعد الفتك بـ 1600 من طلبة الموحدين على رأسهم والي

---

(1) قراقش: مغامر أرميني الأصل دخل إفريقية سنة 568هـ في فصيلة من الغز تنتمي أصلا إلى جيش تقي الدين (ابن أخي صلاح الدين)، واستولى على واحتي أوجلة وفزان، وأمير رياح مسعود بن سلطان، قبل أن يحتل طرابلس. وقد انضم كل العرب الرحل في إفريقية إلى التحالف الذي شكله قراقش وعلي بن غانية.

تلمسان أبوعمران بن يوسف وأسر أبناؤه وبقية أفراد عائلته.

وأثناء وجوده بالصحراء، نجح يحيى ابن غانية في جمع قوات جديدة، حيث التف حوله بقايا المرابطين وعرب الدواودة وعرب رياح وشريد وعوف ودياب ونفطة واتفق معهم على غزو إفريقية من جديد. لكنه خسرأمام قوات الوالي الجديد الشيخ عبد الواحد معركة مهمة قرب جبل نفوسة التي دارت فيها الدائرة على ابن غانية وانكسرت شوكته وتبخرت آماله في بعث الوجود المرابطي بشمال إفريقية من جديد.

وقد لقي حتفه في المعركة عدد من بني غانية ومن قادة العرب المتحالفين معهم.

لقد فضل يحيى عدم المصالحة مع الموحدين رغم قيام أخيه سير بن إسحاق بن غانية باللجوء للموحدين الذين استقبلوه بحفاوة في مراكش.

أما يحيى بن غانية فقد فضل أن يهيم على وجهه في الصحراء لمدة ثلاث سنوات وفي 609هـ ، سنة معركة العقاب، اتجه نحو ودّان، وكانت نقطة صعبة الاختراق، واستطاع بالتواطئ مع العرب اعتقال قراقش واغتياله فيما بعد. ثم انتظر يحيى عشر سنوات حتى وفاة القائد الذي لايقهر عبد الواحد الحفصي، ليستأنف حملاته في المغربين الأوسط والأدنى.

مباشرة بعد وفاة الوالي ظهر ابن غانية من جديد في تخوم افريقية سنة 619هـ وبعد خروج الجيوش ضد توغل ابن غانية بعيدا في الصحراء.

وينبع اهتمامنا بثورة بني غانية من قيمتها كعنصر مؤسس لذاكرة عشرات القبائل التي كانت تقطن مدينة "آبَيّرْ".

مدينة "آبَيّرْ" تقع قرب مدينة شنقيط وقد تأسست سنة 160هـ وقطنت بها عشرات القبائل، قبل أن تتفرق بسبب حادثة قتل "نبيلة".

يقول سيد عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي ت 1233هـ/1818م:". . لم يزل العلويون قبائل كثيرة، بآبَيّرْ. بلغنا أن كل من أول اسمه إدَ (بكسر الهمزة وفتح

الدال المهملة) من قبائل الزوايا، خرج من آبَّيْرْ. وكان العلويون فيه أربعين أو اثنتين وأربعين قبيلة، ما بين صميم وحليف، وكانوا يقتلون من قَتَلَ، حتى قتل جدنا يحيى قتيلا، فقال بعضهم: نقتله، وقال بعضهم نطرده، ثم طردوه ولم يقتلوه لشرفه فيهم وعلو منزلته. فجال في البلاد. . . "[1] .

بغض النظر عن تاريخية يحيى الآبَّيْرِي هذا وهي حقيقية، إلا أنها تشبه ما يروى عن يحيى بن غانية المسوفي.

يقول ابن خلدون:" كان يحيى المسوفي من رجالاتهم وشجعانهم وكان مُقدّما عند يوسف بن تاشفين لمكانه في قومه واتفق أنه قتل بعض رجالات لمتونة في ملاحاة وقعت بينهما فتثاور الحيّان وفرّ هو إلى الصحراء ففدى يوسف بن تاشفين القتيل ووداه واسترجع عليا من مفره لسنين من مغيبه وأنكحه امرأة من أهل بيته تسمى غانية بعهد أبيها إليه في ذلك فولدت له منه محمدا ويحيى تحت ابن تاشفين وحجر كفالته. . ".

للوهلة الأولى يتضح من النص فرار الرجل إلى الصحراء ومكثه سنين بها!

ثم إن قبائل *إدواعلي* كانت انتقلت من مقرّها الأصلي وهو مدينة "تبلبالّت" وهي مدينة مرابطية بامتياز، إلى واحات توات سنة 518هـ ، في ظرفية بداية تصدّع دولة المرابطين في الشمال.

وحتى إذا كان يحيى ابن غانية "الجد" ليس هو المقصود، فمن الوارد أن يكون الأمر متعلقا بحفيده علي ابن غانية المقتول 584هـ أو بأخيه يحيى ابن غانية الذي استمرت مقاومته الضارية للموحدين إلى 619هـ وهو تاريخ قريب من عهد قريب من تأسيس شنجيط، ومنسجم مع فترة انحطاط آبَّيْرْ.

ومهما يكن من أمر، فمن الجلي أن "أسطورة بني غانية" كانت أساس بناء حاضرة آبّير، أو لبعض أشخاصها حضور تاريخي في حادثة انهيار المدينة.

---

(1) صحيحة النقل، مخطوط، نقلا عن: الوسيط: 425.

وتبقى الفائدة التاريخية نابعة من صدى المقاومة المرابطية ضد الموحدين في الصحراء الموريتانية الحالية.

ومن وجه آخر فقد أدت سياسية *التمييز* الشهيرة التي قام بها الموحدون تجاه قبائل المغرب إلى فرار الكثير من السكان نحو الصحراء.

وقد فرّ إلى الصحراء أفراد وجماعات من عرب الأمصار كان لها ولاء للمرابطين أو هربت خوف الحروب والفتن.

وتحتفظ الرواية المحلية بتواريخ وصول بعض الأعيان مثل عبد المومن بن صالح مؤسس مدينة تيشيت سنة 536 هـ وزميله الحاج عثمان مؤسس مدينة وادان سنة 541هـ وكانا درسا على القاضي عياض السبتي ت544هـ .

كما أسست قبيلة تجكانت حاضرتها الشهيرة تينيكي في حدود النصف الأول من القرن الهجري السادس.

والملاحظ أن جلّ المدن الصحراوية "العتيقة"[1] أُسِّست في فترة انهيار الدولة المرابطية وأثناء الهجرة الواسعة من المغرب نحو الصحراء التي صاحبت ذلك الانهيار.

ويرى المؤرخ الثقة محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري ت 1271هـ أن جلّ تلك المدن إنما أسسها زوايا مسوفة لا غيرهم".

لكن ذلك لايمنع من أن يكون تأسيس تلك الحواضر تم على مراحل، وكانت نواتها من المجموعة المسوفية، وهو أمر تصرح به روايات القبائل التي أسست تلك الحواضر، مثل رواية إدوالحاج التي تميّز بين ذرية الحُجّاج وذراري المجموعات القديمة كـ: تفرلّ، تامكونة، . . وغيرهم.

ومن ذلك أيضا مدينة تِيشِيتْ التي كانت نواتها الأولى أخصاصا، وليس بها بناء، ثم أسسها **الشريف عبد المومن بن صالح بن الإمام عبد العلي بن جعفر بن**

(1) تمييزا لها عن المدن "الدارسة" مثل: كمب صالح، أوداغست، كلتاهما في شرقي موريتانيا الحالية، أزوكي في آدرار، ...

إسحاق بن يحيى بن مالك بن يوسف بن القاسم بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل إلى أعلى الدوحة الكريمة. وكان الشريف عبد المؤمن قدم من المغرب بعد انهيار الدولة المرابطية هناك وشيوع الفتن والحروب وجاء إلى الصحراء صحبة زميله في الدرس الحاج عثمان الأنصاري الأغماتي جد فرع الأنصاريين من قبيلة إدوالحاج وهو مؤسس وادان.

ولكن يجب عدم الخلط بين مجموعة الشرفاء البغداديين من بني صالح الأخيضريين الذين أسسوا مدينة قبة صالح (قمب صالح بنطق العامة من السودانيين) [والتي كانت عاصمة تجارية لمملكة غانة]، وبين بني صالح الإدريس الذين استقروا بتيشيت، وذلك بالرغم من أن أصول الجميع ترجع لنفس السلسلة الشريفة.

تدل الروايات المحلية[1] والأجنبية[2] والمقارنات المعاصرة[3] على أن الوضع في الصحراء بعد القرن الخامس الهجري صار غامضا.

لم يبق في ذاكرة أهل الصحراء الموريتانية الحالية من تاريخ المرابطين سوى رجوع أبي بكر بن عمر إلى الصحراء سنة 465هـ تاركا المغرب تحت سلطان ابن عمه يوسف بن تاشفين ت500هـ.

وقد اعتبرت تلك الذاكرة رجوع اللمتوني فتحا للبلاد بجيش أسْمته "المحلة"، كانت أصل الكيانات الأميرية الصنهاجية التي قامت قبل دخول القبائل الحسانية، والسبب في انقسام المجتمع إلى فئات.

تدل التواريخ الموثوقة على أن تلك الأهمية المعطاة للرجوع مقبولة من الوجهة التاريخية، لأنها كانت بداية الإستقرار الدائم لأبي بكر بن عمر في الصحراء وقيامه بفتوحات عميقة في بلاد السودان أدت إحدى معاركها إلى استشهاده.

---

(1) مثل: ورقات سيد احمد البكاي الكنتي ، والأنساب لأحمد بن الحاج عبد الله الرقادي ، محمد امبارك اللمتوني: نظم تاريخ الدولة اللمتونية، كتاب الأنساب لوالد بن خالنا...

(2) كالكتابات البرتغالية.

(3) مثل كتابات المؤرخ الثقة الراحل المختار بن حامد.

أما "المحلة" فهي تعريب للفظ الصنهاجي "تاكْرَرتْ" ومعناه "المعسكر" أو "المحلة" وكلها مترادفات.

وقد تكرر استخدام هذا اللفظ في التاريخ السياسي والحربي المرابطي حيث وجد في تلمسان التي أسسوا فيها مدينة أسموها :تَاكْرَارَتْ، وفي مواطن متفرقة من بلاد المغرب ذكرها المؤرخون حتى من الموحدين.

ووجد اللفظ نفسه في المجال الصحراوي قرب مدينة ولاتة [= ولاتا] الحالية، كما تردد في تواريخ حروب بني حسّان إشارة إلى محلة القائد أو مركز قيادته.

وأصل المحلة "تَاكْرَارَتْ" الصحراوية هو الجزء الذي رجع به إلى الصحراء مع أبي بكر بن عمر من الجيش الذي ظل مع يوسف.

لقد انقسم الجيش المرابطي إلى جيشين: صحراوي - سوداني رجع به أبوبكر، ومغربي بقي مع يوسف.

وقد رجع أبوبكر بجيش أغلبه من لمتونة وحلفائهم من السودانيين والصنهاجيين وسلك طريق سجلماسة التي بقي فيها مدة يتجهز للرحيل نحو الصحراء. ومنذ وفاة أبي بكر سنة 468هـ لم تشر المصادر العربية إلى أهل الصحراء إلا نادرا وبغموض شديد.

صارت دولة المرابطين في الصحراء كيانا خاصا تحت سلطة أبناء أبي بكر وأبناء أخيه يحيى بن عمر، واستمر ذلك إلى نهاية القرن الخامس.

قام ابراهيم بن أبي بكر بمواصلة فتوحات أبيه ففتح غانة سنة 1076م ودوخ البلاد السودانية وساعده في المشورة والرأي قاضي المرابطين الشهير محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ت489هـ.

ثم رجعت تبعية الصحراء لسلطة مراكش المباشرة بعد وفاة هذا الأمير حسبما مر بنا من إشارات.

الدولة المرابطية "الثانية" في الصحراء 541-700هـ:

لكن سقوط دولة المرابطين في الشمال منذ 541هـ ، أدى إلى رجوع السلطة إلى ذرية التاشفينيين من أمراء المرابطين الذي رجعوا إلى الصحراء عبر اتوات وغيرها من المنافذ. وأسسوا كيانا مرابطيا محدودا لكنه قائم بذاته!

قامت ذرية يوسف بن تاشفين بالإنتقال عن المغرب خشية القتل من قبل الموحدين، وكانت نتيجة الهجرة قيام ملْك مرابطي لمتوني جديد كالهجرة التي نفذها عبد الرحمن الملقب الداخل من الجزيرة إلى الأندلس حيث شاد ملكا جديدا لبني أمية.

تقول بعض الروايات إن من أمراء التاشفينيين الذين توالوا على الدولة المرابطية في الصحراء إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري13م، أولهم: الخضير بن عمربن يوسف بن تاشفين ومدة حكمه 40 سنة، ثم العتبة ابن ابن الخضير بن عمر بن تاشفين وحكم الصحراء 60 سنة، ثم بشار بن عتبه فحكم لمدة ثلاثين سنة، ثم أنه بن بشار ولا تُعرف مدة حكمه، وبعده بويع محمد البنبري اللمتوني فملك عشرين سنة ولكنه تنازل بعد فشله في تدبير الحكم بعد توالي الحروب والقلاقل الداخلية. وهذا الأمير لا زالت ذريته في بطن "إِدَكْ بَمْبَرَهْ" من قبيلة لمتونة التي احتفظت بالإسم الجامع للقبائل اللمتونية، ومن ذريته أو أهل بيته "أهل أَبَمْبَرْ" في قبيلة إديشلي في آدرار الحالي، ولفظ "أَبَمْبَرْ" له صلة بحياة أهل الواحات، مما يدل على أن اسم "البمبري" لا علاقة له بشعب البمبارة السوداني.

وجلّ أسماء أولئك الأمراء عربية بفعل التعرّب الذي فشى في نخبة أمراء لمتونة ومسوفة في المغرب، وإن كان بعضها تم تعريبه عن أصله الصنهاجي.

وبغض النظر عن صحة الأسماء من عدمها، فإن الرواية تدل على وجود استمرارية الدولة المرابطية لمدة ثانية في الصحراء بعد سقوطها في الشمال.

قيام الإمارات اللمتونية 700-840هـ:

أدت الحروب والقلاقل داخل دولة "المْحلّة" إلى استبداد كل "مْحلّة" فرعية بشأنها، وتحولها إلى إمارة مستقلة، وقد استمر هذا الوضع قريبا من 100سنة.

قبل وصول الهجرة الحسانية كانت الصحراء مسرحا لتوازنات بشرية بين كتل صنهاجية مختلفة . ويرى المؤرخ الراحل ابن حامد أن الوضع السياسي في الصحراء لم يكن واضحا منذ أفول نجم المرابطين في القرن الهجري السادس. ولكنه يفترض أنه كان هناك نوع من التنظيم السياسي، ولو في صورة بسيطة. ويمكن القول بأنه كان هنالك (وخاصة منذ أواخر القرن الهجري السابع) نوع من توزيع السلطات، بين قبائل صنهاجة، في النواحي المختلفة من الصحراء.

ففي إقليم القبلة (جنوب غرب موريتانيا) كانت السيطرة بيد قبيلة إنيرزيك، وفي بلاد تكانت وبلاد الرقيبة (شرقي البلاد) كانت السيطرة لقبيلة الأنباط. أما في بلاد آدرار(الشمال الغربي)، فكانت السلطة بيد قبيلة إديشلي، بينما كان الحكم عند قبائل "ابْدُوكَلْ" في بلاد الزمور (الشمال).

وسيتطاول أمد الصراع بين هذه الدويلات والقبائل العربية الزاحفة من الشمال.

ولكن هذا التقسيم جاء بعضة نتاجا لانهيار بعض تلك الإمارات، كما أنه لم يرد فيه ذكر لإمارة بيلكة "بيلكات" اللمتونية في بلاد البراكنة وما حولها من الجنوب الموريتاني.

وابتداءا من أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجرى نشأت إمارت صنهاجية أهمها: إمارة ابْدُوكَلْ في الشمال، وانيرزيك في الغرب، أما المجال الترابي الذي يشمل ما بين محيط ولاتة [= ولاتا] شرقا إلى ساحل الأطلسي غربا ، فكان عمليا تحت رقابة حاميات مملكة مالي القوية لاسيما في عهد ساكورة بعد 1270 إلى 1300م الذي أخضع التوارق والتكرور والصحراء وأقام مستوطنات عسكرية في كل جهة لتأمينها بطريقة لامركزية.

إمارة ابْدُوكَلْ 700- 840 هـ:

هذه الإمارة من أهم الكيانات السياسية التي بقيت بعد دولة "المحلة" [تنطق محليا: لمْحلّةْ] المرابطية، وقد قامت في تاريخ تقريبي هو أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري على يدي أسرة لمتونية لانعرف عنها الكثير، لكن نواة ابْدُوكَلْ كانت لمتونية قطعا بدليل أن بعض فروعهم المتبقية مثل ايدكوجي يوصفون بأنهم من المرابطين[1] ، مما يسمح ، من مستوى آخر، باعتبار ابْدُوكَلْ هي وريثة مرابطي الصحراء الأكثر كمالا، رغم وجود رئاسات لمتونية مرابطية متفرقة في الأنْبَاطْ وإدَوْعيش وإدَيْشلِّي. . .

ونتجاسر على القول إن الدولة المرابطية قد استمرت في الصحراء بعد سقوطها في الشمال إلى حدود أوائل القرن السابع، واستمرت نواتها القيادية، رغم انقسام الدولة، في إمارة ابْدُوكَلْ ولذلك وصفها مؤلف الغلاوية بدولة المرابطين ونسب إليها بقيتهم مثل ادكوجي [= ابْدُوكَلْ= أبدوكج= إدكجي].

اسم "ابْدُوكَلْ" وينطق أحيانا "ابْدُّوكَلْ" بتشديد الدال: لفظة صنهاجية تعني: التجمع، التداخل، التحالف، . . أو هذا بأجمعه. وأصل اللفظ معروف في لغات البربر: تيدّوكْلا: الصحبة، وابْدُوكَلْ مشتقة من الفعل: د - ك - ل: جمع، انضم. .

ويدل ذلك على أن ابْدُوكَلْ كانت تجمعا لعدة قبائل ليست بالضرورة منحدرة من أرومة واحدة، رغم وجود نواة لمتونية قوية نشأت حولها الإمارة أو التجمع.

كانت قيادة ابْدُوكَلْ في أسرة لانعرف عنها الشيئ الكثير، واسمها أو اسم كبيرها "أشنت لدن" ومنه ينحدر أخوال سيد محمد الكُنْتِي الكبير، حيث جاء نسب أمه كالآتي: أهَوَ [حوّاء ؟] بنت محمد ءالم بن كنت [منه أخذ سيد امحمد لقبه: الكُنْتِي] بن زم ابن تملك بن تنفئت ان بب بن أشنت لدن [رأس ابْدُوكَلْ].

---

(1) راجع مثلا: ابن حامد: الجغرافية، ص63.

كُنْتَ: اسم إحدى أهم قبائل ابْدُوكَلْ، فيما يبدو، ونجد منها: أعمر كنت: في ادوبسات، اهل الكُنْتِي في إدكوجي، وفي اديشلي وفي غيرهم.

إنْ بب: ذو بُبّا: لعله قائد إحدى قبائل ابْدُوكَلْ التي كان يتبعها الثائر على لمتونة "بُبّا" المذكور في نظم محم امبارك، كما أن إن بب بقيت في المأثور الحساني رمزا للثأر! ولا حظ أن ببّ بن آصور الصكاعي حليف تاشبيت وهم من زوايا ابْدُوكَلْ، فتأمل، وكذا لم يتم نسبة الحرب بل لـ كلمة" شُرّ بُبًا".

تملك: لعلها تحريف تمدك من صميم لمتونة وبقيت نواة زاوية في لمتونة الحالية.

أشنت: الذيب أو المنسوب للذئب! وهو من ألقاب المحاربين.

ولا نعرف الشيئ الكثير عن القبائل المحاربة من ابْدُوكَلْ، لكن والد بن خالنا ذكرمن القبائل الزاوية البدوكلية: تاكاط، إد كجمل، تاشدبيذ، إدكوجي. . ولا يعني ذلك أن تلك القبائل تنحدر من الأصل البدوكلي، بل قد تكون من أرومات مختلفة.

وجاء في الغلاوية أن إدوالحاج وادان كانوا من المرجع الروحي لمحاربي ابْدُوكَلْ ويلجأ إليهم من يريد منهم التوبة والتخلي عن حياة الحرب والغارات.

وكان مجال إمارة ابْدُوكَلْ يشمال ما بين الساقية الحمراء شمالا إلى تخوم آدرار الحالي المتاخم للمجال الخاضع للممالك السودانية، أي مملكة مالي فالسونغاي.

وكانت موارد ابْدُوكَلْ تعتمد على الضرائب على القوافل وعلى الممالح كمملحة الجل، والمغارم المفروضة على سكان المدن.

ظل ابْدُوكَلْ يراقبون الطريق التجاري الرابط بين وادي درعة وبلاد السودان، حتى أواخر القرن الثامن الهجري حين بدأ يتدهور لصالح طريق توات - تنبكتو ، بفعل ظهور قبائل المعقل على أطراف البلاد وسيطرتهم على طريق تافيلالت - سوس مما أدى إلى تحول التجار شيئا فشيئا من طريق سوس - ولاتة [= ولاتا] إلى

طريق توات - تنبكتو.

وكان تحول مسالك التجارة نحو الشرق والضغط الحساني، بداية انهيار إمارة ابْدُوكَلْ بفعل شيوع الصراع فيما بينها، ورجوعها إلى نهب قوافل سكان المدن بعد أن كانت تحميها، وكان ذلك عهد تمرد الشيخ الكُنْتِي على سلطة أخواله الذين قاموا بنهب قوافل تينيكي ثم بنهب شوله هو فرمي رحله وطرده.

في نهاية القرن الثامن الهجري 14م بدأت الحركة التجارية تنتقل عن طريق الغرب نحو طرق الشرق.

ينضاف إلى ذلك عامل أشد حسما، هو تزايد "فُرص الإخلال بأمن القوافل" بفعل سيطرة طلائع الهلاليين على تخوم البلاد حيث " أن تقدم البدو البطيئ نحو الغرب كان بلغ منتهاه مع بداية القرن الثالث عشر، والحزام الصحراوي أصبح كله عمليا في قبضة القبائل العربية المتنافسة فى منتصف القرن ". [(1)]

كان المعقل في عهد ابن خلدون (ت 808 هـ) في أواخر المائة الثامنة من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى، (...) بقبلة تلمسان وينتهون إلى البحر المحيط من جانب الغرب ....

واستفحل شأن المعقل في تلك القصور* (= السوس، توات، وركلان،) وفرضوا المغارم على سكانها من زناتة، كما صار المعاقل أنفسهم يقدمون ضريبة إجبارية تسمى: "جمل الرحيل" [المغرم ؟] إلى الدولة المرينية، وذلك قبل أن يصبحوا شيئا فشيئا قيّمين للمرينيّين على جباية الضرائب من سكان وقبائل تلك النواحي.

وطوال العهد الموحدي المريني، جزئيا، اكتفى *المعقل* بالإقطاعات الواسعة

---

(1) القبلي: مراجعات حول الثقافة والمجتمع في المغرب الوسيط، الدار البيضاء: توبقال، 1987، ص17.

* - القصور وتكتب بالكاف المعقودة "كصور": تسمّى بالبربرية "تغرمت" واحدها "أغرم" وأصلها البناء المحصن يتنشأ حوله أحياء فتنسب له. وأغلبها مدن وقرى حسب الحجم والنشاط.

التي نالوها، عن التعرض لقوافل التجارة بين سجلماسة والسودان، وكانت مواطنهم، في أيام ابن خلدون، من درعة إلى المحيط، وينتجعون من السوس إلى الرمال المتاخمة لمجالات الملثمين، لكن يبدو أن هذا التغلغل جنوبا، حتى الساقية الحمراء، كان قبل عهد ابن خلدون بكثير، فقد ذكر ابن عذاري المراكشي أنه "في سنة اثنين وخمسين وستمائة تفاقم أمر على بن يَدَرْ [صاحب إمارة في الجنوب] بالخلاف في بلاد السوس وانقادت له بعض عرب الشبانات وبني حسّان وذلك قبل أن يتصارع حلفاء الأمس سنوات خمس وسبعمائة.

وفي عهد المرينيين أثخن فيهم يعقوب بن عبد الحق [656 - 685 هـ/ 1258 - 1286م] وحاصرهم يوسف ابن يعقوب [685- 701 هـ/1286- 1306م] وأثخن فيهم ثانية سنة 786 هـ مما اضطرهم للتقدم جنوبا.

ويذكر ابن حامد أن أولى الحروب التي خاضها الحسّانيُّون ضد صنهاجة كانت من جهة إقليم "إكيدي" الواقعة شمال آدرار، وليست "إيكيدي" الواقعة في الجنوب الغربي حاليا.

واشتداد هذه الظاهرة فى أواخر القرن الثامن (قرن 14 م) هو ما لفت انتباه ابن خلدون حيث لاحظ، فى أُخْرَيَاتِ أيامه، أنّ الطريق الغربي المارّ " من ناحية السوس الى ولاتن [= ولاتة [= ولاتا]] قد أُهْمل لما صارت الأعْراب من البادية السوسية يُغيرون على سابلتها ويعْترضون رفاقها، فتركوا تلك ونهجوا الطريق إلى بلد السودان من أعْلى تمنطيت [= إقليم توات] . . ".

هذا العامل الاقتصادي أدى ، فيما يبدو، إلى تراجع مداخيل السلط الحاكمة في ابْدُوكَلْ، وفاقم من ظاهرة بدأت تتسع هي الإغارة على قوافل المدن التي كانت تحميها نفس الإمارة، فضلا عن الإفراط في المغارم المفروضة على الممالح سيما أن أغلبها صار تابعا للممالك السودانية الصاعدة من الجنوب والشرق.

وتكررت ظاهرة نهب الأنعام حتى لمن لهم صلات وشيجة بالكيان البدوكلي.

تلك الظواهر عادية في تاريخ الكيانات السياسية في هذه البلاد إلى مجيئ الإستعمار.

بدأت الصراعات تشتد بين القوى البدوكلية، وكان ذلك بداية التدخل الخارجي من قبل قبائل بني حسّان وفي طليعتها عشائر أولاد النّاصِرْ القوية وقتها، في بداية مسلسل انهيار إمارة ابْدُوكَلْ التراجيدي.

رواية الشيخ سيد محمد الكُنْتِي في الغلاوية تعتبرأهم رواية تاريخية وأقدمها حول حرب أولاد النّاصِرْ ضد ابْدُوكَلْ وسبب انحياز سيد امحمد الكُنْتِي ضد أخواله اللمتونيين.

تتحدث الرسالة الغلاوية عن تواريخ أجداد كنته في توات تلمسان وغيرها ثم تصل إلى الجد الذي انتقل نحو الصحراء فتقول:

" . . سيد اعْلي وكان قطبا علامة مربيا قدوة، يُهتدى بهَدْيه ويُرجع إلى إشارته ورأيه وكان يخرج إلى المرابطين أيام دولتهم بالصحراء، وجِيلُ حَسَّان ياخذون عنه الأوراد ويستمدون منه الأمداد.

وذلك في دولة السلطان أبي فارس وكان مقلّدا له لا يعمل إلا على وفق إشارته، فخرج إلى الصحراء فتزوج بنت محمد ابن آلم بن كنت بن زم رئيس ابْدُوكَلْ، واسمها أهو، فأولدها ابنه خاتمة السلف وعين أعيان الخلف، سيد امْحَمد الكُنْتِي فنشأ في أخواله ابْدُوكَلْ من صنهاجه، وقفل سيد اعلي إلى توات. وبها توفي - رحمه الله - فدفن إلى جنب أبويه، بعزي وتخرج على يده أزيد من ألف واصل.

ثم لم يزل سيد محمد الكُنْتِي بأخواله حتى تدرب وحفظ القرآن ومهر في سائر الفنون، وكان مجاب الدعوة، لا يجاريه في مجاريه خلف، وهو أغلى وزنا وأعلى محلاًّ، دام يُحْيي ما قد أُميت من الفضل، وينفي فقرا ويطرد محلا. ثم رجع إلى الصحراء ما بين تيرس إلى الساقية الحمراء .

واستوطنها بمن معه من تلامذته وجيرانه، محترما مكرما معظما عند سائر دولة المرابطين من لمتونة وبني حسان مقدما عليهم مُحَكّما فيهم. إلى أن جرى

القضاء بأمر غاظه على أخواله ابْدُوكَلْ. وهم يومئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى أطراف السودان. فارتحل عنهم، مغاضبا لهم، فورد عليه غزو من أولاد النّاصِرْ وقد بلغهم مغاضبته لأخواله، فقال بعضهم لبعض: إن فاتتكم هذه الفرصة في لمتونه فحرام عليكم الظفر بهم بعدها. فقد غاظوا هذا الغوث وأغضبوه. وما يزيل قلنسوة الغوث عن رأسه، يزيل ملك السلطان من أسه، فاستضافوه ليلتهم وطلبوا منه أن يعطيهم دولة لمتونه، فقال: أعطيتكموها على شرط: أنكم متى بلغتم منهم الحد الذي تامنون شوكتهم، رفعتم عنهم السيف وأبقيتم عليهم عيشة لبنّي وبينكم، فاعطوه عهدهم وميثاقهم على ذلك وقالوا: كيف لنا بجموعهم المتكاثرة ومحالهم المتظاهرة. فقال: إنما عليكم شن الغارات والإجهاز عليهم فإني قد دعوت الله عليهم بإذهاب الدولة وإيهان الصولة، فأجابني فيهم. فانقلبوا إلى أهاليهم، وتألب أفناء أبناء حسان بمن أنضاف إليهم فصبحوا لمتونه وهم غارون، فانتدب لقتالهم من يليهم من الأحياء واشتغل من عداه بأشغالهم استهانة بشأنهم واستخفافا بصولتهم. فهزموا من يليهم لأول حملة، وركبوا ظهورهم مع من وراءهم ممن لم يستعد لحربهم فهزموهم هزمة لم تبق منهم على مجتمع، وأبقوا منهم البقايا المدعوة الآن: باللحمة، التي ضرب بنوا حسّان على رقابها المغارم ومن كان منهم زوايا أبقوه على ما كان عليه.

واجتمعت الجموع على سيد امحمد الكُنْتِي بالصحراء، وتجكانت زمنئذ بتنيگ(ي)، قصرهم المشيد قبل حربهم فيه وفرقتهم منه كما هو مشهور مذكور. ".

هذا النص يعرض بلغة سيد محمد الخليفة الكُنْتِي الجزلة القوية، بداية الصلة بين الأجداد الكُنْتِيين المغاربيين والسلسلة التي ستبدأ بالابن "نصف الصنهاجي" سيد امحمد الكُنْتِي وحياة الابن بين أخواله وسبب مؤْجدته عليهم وتعبئته للقبائل الحسانية حديثة الوصول ضدا على القبائل اللمتونية في إمارة ابْدُوكَلْ ومسار الصراع ونهايته.

التواريخ الواردة في النص منسجمة من الوجهة التاريخية، تزامن فترة أبي

فارس [796-837هـ/1393-1434م] وفترة وجود بني حسّان في الساقية الحمراء[منذ 602هـ وأعوام و685 و652 و705هـ] التي صاروا ينتجعون إلى تخومها إلى أيام ابن خلدون ت808هـ ، ووجود إمارة ابْدُوكَلْ قائمة في تلك الفترة وهي التي أسماها دولة المرابطين وهي إشارة بالغة الأهمية لاستمرار التقليد المرابطي في تلك الإمارة ولكونها وريثة المرابطين.

كما تعني العبارة المذكورة أن بني حسّان قبل القرن الثامن كانوا على وفاق مع اللمتونيين أو خاضعين لهم، أو يكون المعنى في الحديث عن الدولة متصلا بلمتونة وحدهم.

الإشارة إلى ظاهرة أخذ بني حسان الأوراد عن الكُنْتِي، جزء من ظاهرة قديمة في أوساط عرب الهجرة الهلالية، وهي نوع مبكر من التدين والتخلي عن حياة الغزو والحرب، وقد سمى ابن خلدون أصحابها بالمرابطين!

ومن الواضح اعتقاد أن التدين والزهد والتعلم حديثان في الأوساط الحسّانية، لأن الظاهرة أقدم من ذلك بكثير، وقبل دخولهم في المجال الموريتاني التقليدي.

والظاهر أن سيد امحمد الكُنْتِي عاش في النص الأخير من القرن الثامن والثلث الأول من القرن التاسع الهجري، أي أنه ولد أواخر 770هـ أو 780هـ وتاريخ وفته قريب من 830-840هـ لأنه توفي وابنه سيد احمد الْبَكّايْ في ريعان الشباب وتاريخ وفاته سنة 920هـ م معمرا عن مائة سنة، فتأمل!

وبذلك تكون تواريخ الحرب بين ابْدُوكَلْ وبني حسّان في حدود 800-830هـ أو 790-800هـ لأنها دامت أزيد من عشرين سنة بين كر وفر، ثم لأن ابن خلدون ت808هـ يذكر في أخءريات أيّامه طلائع الزحف الحسّاني نحو صحراء الملثمين وبداية الصدام بين الطرفين، بعد أن أخضع بنواحسّان جزولة ولمطة، وصاروا يغزون لمتونة الصحراء.

حسب رواية الغلاوية فإن السبب الرئيس للحرب كان "أَمْرًا غاظ "الكُنْتِي" من أخواله. . ". لا تصرح الغلاوية بسبب الموجدة، ولا نعرف الأسباب التي منعت

مؤلفها من ذلك الاستحضار.

تقول الروايات المنقولة شفاهيا[1] أن سبب موْجدة الكُنْتِي على أخواله هو رفضهم شفاعته في ردّ المنهوبات التي يحصلون عليها من إغاراتهم على قوافل تلامذته أو أصهاره من تجكانت، بل بلغ الأمر ببعض البدوكليين أنهم أساؤوا معاملة الشيخ سيد امحمد الكُنْتِي شخصيا ورموا رحله وكان من نوع "تاغشميت".

والرحْل المذكور هو الذي كان مستعملا لدى صنهاجة لأنه رحل تارقي، مما يؤكد تاريخية الرواية، فضلا عن الطابع المنطقي لسبب الخلاف بين الرجل وأخواله.

ينضاف إلى ذلك درجة القوة والصولة التي بلغها محاربوا ابْدُوكَلْ حتى ضربت بهم الذاكرة المحلية المثل في التيه والشراسة والصلف فقيل: فلان امْدَوْكَلْ!

وإشارة الغلاوية إلى "محَالِهم المتظاهرة" هي معطاة بالغة الدلالة لكونها تفصح عن كون ابْدُوكَلْ كانوا ظواعن محاربين في شكل "محال" :"تيكرارين" جمع "تَاكْرَارَتْ" المعروفة في حياة المرابطين السياسية.

والمهم أن اتساع الهوة بين الكُنْتِي وابْدُوكَلْ صادف تربص القبائل الحسانية بتلك الإمارة التي كانت سدا أمام انسياحهم جنوبا.

كانت عشائر أولاد النّاصِرْ وحينها قوية وكثيرة العدد، وكانت في طليعة الزحف الحسّاني المندفع من الشمال. وقد بقيت بعد الحرب بطون قليلة من أولاد النّاصِرْ أما القسم الأكبر منهم فقد رجع شمالا ومنه عدة بطون لا تزال قائمة في وادي نون مثل: أولاد أعمر، أولاد أعلي، لكْرازْمه، أولاد مسعود، أولاد أمحمد وهذه البطون لاتزال فروعها موجودة في شرقي موريتانيا الحالية، ثم: أولاد الشيخ، أولاد العباس، أولاد الصغير، أولاد الطالب، أولاد امرين، أولاد انوال. والغريب بقاء ترتيبهم الحالي على نحو الترتيب الذي جاء في الحسْوة البيْسانيّة لصالح بن

(1) حدثني بها الباحث محمد بن مولود بن داداه الشنّافي في قرية عين السلامة قرب أبي تيليميت، وكان تلقى الرواية في الخمسينيات من رجال البرابيش نقلا عن كنتة.

عبد الوهاب الناصري.

كا جاء في وقت تجذر فيه الخلاف والصراع بين قبائل ابْدُوكَلْ نفسها، مما جعلها فريسة سهلة للمجموعات الصنهاجية الأخرى مثل تجمع انيرزيگ.

وكانت انْيرْزِيگ إمارة كبرى في شمال غرب البلاد وجنوبها الغربي، وتذكر بعض المصادر البرتغالية قبيلة "إزارزيگي" في أحواز وادان، لعلها كانت هناك أو أن فرعا منها وجد في نفس المكان[1] . وقد تكونت من عدة تجمعات محاربة كبرى[2]:

انگادس: كانوا تسع قبائل محاربة لكل قبيلة رئيس وطبل: إدويدر، أهل احمد اد انان، إدو زغار"أولاد اسحاق"، إدغ شاتجه وهم:"إدويشلي"، إديندك، إدويدّر وهم "إدوعيش"، إيديندكان، ديكرتان ، ديلان، وغيرهم.

وكان في انگادس زوايا مثل: أهل يوسف، أهل يفرج الله، أهل بتار، أهل المختار غالي. .

تغرجنت: إيدبياي، الخبابشة، إيدغمحم، . .

إدكباجه: أهل أكد أحمد، أيتال، إيدوبجه، إيدانبيك، إيفلان، . .

إدغبانو: كانوا أهل قوة وبأس، وكان من أتباعه: قبائل الغيوات، باران، جاران. .

كانت إمارة انيرزيگ تحوي عدة كيانات محاربة ستستقل بنفسها بعد تفكك الكيان الجامع تحت ضربات عشائر أولاد رزگ الحسّانية في القرن التاسع الهجري.

المهم أن الخلاف بين الكُنْتِي وابْدُوكَلْ كان السبب المباشر، بعبارة المؤرخين، في نشوب الحرب الصنهاجية - الحسّانية.

لكن هناك أسبابا أخرى تضافرت في بناء ذاك الحدث الذي غير تاريخ

(1) Dearte Patchico Pereira: *Esmeraldo de situ orbis*, trad. R.Mony, Bisaoo, 1959, p 43.

(2) راجع: ابن حامد: الجغرافية، مرقون، دار الثقافة، نواقشوط.

الصحراء الحديث.

كان هناك عامل الانحطاط التجاري للمسالك التي يراقبها ابْدُوكَلْ، ثم عامل الخلافات الداخلية بين أطراف الإمارة نفسها، وجاء التوافق الحسّاني - الرزكاني ليجعل من الحرب خلاصا للجميع من قوة مهيمنة طال أمدها.

كان رافع راية الحرب هو سيد امحمد الكُنْتِي وثائر ضائع الأخبار اسمه "أدد" أو "أُدَادْ"(1) . لقد حزّب هذا الأخير الجموع والأحلاف من القبائل الصنهاجية: انيرزيك وغيرها التي كانت تعاني من هيمنة ابْدُوكَلْ وبطشهم، وعبأ الكُنْتِي عشائر أولاد النّاصِرْ ومن معها من بني عمومتها من بني حسّان.

وشكلت فتوى يعقوب الجكني قاضي تينيكي بشرعية قتال ابْدُوكَلْ، الفتيل الذي أشعل الحرب، وقد دعم هذه الفتوى الشيخ الكُنْتِي بوثيقة ضمنها نص الفتوى وتسليمه لها.

وقد حمل الوثيقة "الصك" المتضمن للفتوى المحارب الثائر ضد لمتونة "ابْدُوكَلْ".

بدأت الحرب في تاريخ قرب من نهاية القرن الثامن وبداية تالية أو في العقود الأولى من التاسع، واستمرت أزيد من عشرين سنة بين كر وفر دون تغلب طرف على آخر، لكنها انتهت بهزيمة ابْدُوكَلْ بعد استنجاد خصومهم بجيش من بلاد السودان غير معروف تحديدا.

وقد تم ابرام صلح مؤداه تفكيك إمارة ابْدُوكَلْ وإخضاع محاربيها للمغارم التي فرضتها القبائل المنتصرة من أولاد النّاصِرْ وانيرزيك، أما المجموعات والقبائل المختصة بالشأن الديني والعلمي فقد تُركت وشأنها.

وهو ما لخصه مؤلف الغلاوية قائلا:" فهزموهم هزيمة لم تُبْق منهم على مُجْتمع، وأبْقوا منهم البقايا المدعوة الآن: باللحمة [الأتباع]، التي ضرب بنوا حسَّان

(1) يخلط محمد امبارك اللمتوني في "نظم تاريخ الدولة اللمتونية" بين أدد هذا و بب الذي سيَرِد ذكره في حرب "شرُّ ببّ". وأداد هذا اسم عريق في تاريخ التوارق الملثمين، فتأمل!

على رقابها المغارم ومن كان منهم زوايا أبْقوه على ما كان عليه. . ".

وإشارة المؤلف إلى أن ذلك كان نتاج شروط فرضها سيد امحمد الكُنْتِي على محاربي أولاد النّاصِرْ، منطقي بحكم سعي الكُنْتِي إلى إنقاذ المجموعات التي تربطه بها مصاهرات وصلات علمية لأنه درس في عشائر من زوايا ابْدُوكَلْ.

تشتتت القبائل البدوكلية المحاربة ولم يبق منها من يحمل الإسم إلا: ابْدُوكَلْ في مدينة ولاتة [= ولاتا] ومنها خرجوا في 1222هـ إلى النعمة ولا زالت بقيتهم هناك، وايدكوجي وبطونهم: أهل اتفاغ موسى وأهل محنض وأهل ابن يدوك وفيهم أهل بوفلان من كنته "كنته البدوكليون وليس "كنته العرب". ومن ابْدُوكَلْ عشائر وأسر لم تعد تحمل الإسم: *أهل تيكي* "جيكي: بجيم فارسية" وهم في عداد أولاد مُحُمُّدْ في بلاد الحوض، و*أهل كنته* في إيديشلي وغيرهم.

وكان من نتائج هزيمة ابْدُوكَلْ:

1. فرض المغارم على المهزومين وحظر حمل السلاح عليهم، مع ترك الوظائف الدينية للزوايا.

2. من نتائج الحرب سيطرة بني حسان على أتباع القبائل اللمتونية أي على الفئات المنتجة منها، وفرض التخصص الفئوي على جماعات المتعلمين من الزوايا.

3. ومن نتائج الحرب كذالك التعرب اللغوي والنَّسَبِي والظاهر أن سيد امحمد الكُنْتِي كان يتحدث العربية مع عشائر أولاد النّاصِرْ ومع غيرهم من الحسانيين رغم حذقه لغة أخواله.

وبعد هزيمة ابْدُوكَلْ صار الطريق سالكا أمام القبائل الحسّانية نحو الشمال الشرقي والجنوب الغربي، في المسار المعروف.

واستمر الهجوم الحسّاني من قبل أولاد رزق "رزگ" نحو الغرب والجنوب.

ونرجّح أن قبائل بني حسّان مكثت قرنين أو أكثر في النطاق الواقع شمال البلاد ولاسيما بين مثلث: الحمادة والزمور والساقية الحمراء، وبعد انتصارها على

التشكيلات الصنهاجية تقدمت القبائل الحسّانية مشكلة أربع فصائل:

- قبائل الأوداية في الغرب
- البرابيش في الشمال الشرقي
- الرحامنة جنوب البرابيش
- أولاد أعْمُر بن حسّان: [إجمّان وأولاد اشبل. .] في الشرق.

وكانت عشائر أولاد النّاصِرْ والرميثات والرحاحلةْ (أولاد رحال بن ارْميث بن مغفر) أول من اشتبك مع اللمتونيين، ثم عاد تلك العشائر نحو الشمال وبقي أغلبها هناك، وانتقل جزء منها في حركة الأوداية نحو الجنوب في القرن التاسع وتاليه.

وفي نهاية تطواف هذه القبائل الحسّانية بسطت سلطانها السياسي والحربي على المجال الموريتاني التقليدي وعرّبت سكان البلاد نهائيا.

تقدم أولاد رزك "رزق" فأطاحوا بإمارة انيرزيك "أنباط الغرب" ، واستطاع البراكنة بقيادة فرع منهم يسمى *اليتامى* القضاء على إمارة بيلكة اللمتونية التي كانت تعمر منطقة البراكنة الحالية، واتجه المغافرة الآخرون نحو إمارة إدويدر"إدوعيش" وغلبوها ثم حالفوها ثم استطاعت أن تتغلب عليهم جزئيا في عهد أعمر بن امحمد الإعيشي ق17م، ثم زحفت مجموعة أولاد يحيى بن عثمان المغفرية بمساعدة من بني عمومتها البراكنة، على آدرار مقر إمارة إديشلي التي تفككت بعد حروب استمرت خمسين سنة حتى نهاية ق12هـ/18م.

وكانت من نتائج هذا الصراع أنْ عمّق بنو حَسَّانْ التراتبية الاجتماعية من خلال بنائهم لهرم اجتماعي كانوا هم أنفسهم في قمته، واحتكروا اسم "العرب"، ويأتي في وسطه فئة الزوايا القيِّمة على الخطط الدينية والتجارية، ثم تأتي في أسفل السلم، القبائل التي تدفع المغارم(حق الخاوة في اصطلاح أهل الجزيرة)، أي الضرائب الإجبارية، وسموا هذه القبائل التابعة باسم: آزناكة، أو: اللحمة، هذا بالرغم من أن ضرب المغارم قد يشمل أي حسّاني أو زاوي أنهكته الحروب أو

اضطر لطلب الحماية، أو كان بصدد الانتجاع في مجال محتكر.

واستطاع بنو حسّان، بعد مسار تاريخي معقد، أن ينشروا لهجتهم العربية الملحونة الحسانية على كافة البوادي والمدن، حيث اختفت، تقريبا، اللهجات البربرية الخالصة مثل الصنهاجية وانقرضت اللهجات البربرية السودانية المشتركة مثل اللهجة المسماة: كلام أزير (= الآزيرية) وهي مزيج من اللهجة الصنهاجية واللهجة السونكية (السودانية) ازدهر في مدن ترنّي - ولاتة [= ولاتا] - تيشيت - وادان - شنقيط على طريق الملح إبان ازدهار التجارة بين تجار الذهب السونكيين والجمّالين المسوفيين . وقد كان هذا اللسان رائجا في مدن القوافل: ولاتة [= ولاتا]، تيشيت، وادان، شنجيط . وتراجعت كذلك لغة السونغاي التي كانت رائجة في ولاتة [= ولاتا] مع عهد الرحالة الحسن الوزان (ق 16 م).

ونشر بنوا حسّان أيضا عادات تناقض موروث البربر الصحراويين: مثل *إطالة شعر الرأس بدل حلقه، وحسراللثام بدل التزامه*، وكان ذلك مما ساعد على تميُّز الركاب الحجية التي بدأت تنطلق دوريًّا من المدن الصحراوية على نحو مستقل بعد أن كانت تندمج في ركاب حاج بلاد السودان المسماة الركاب التكرورية. .

لكن السؤال المحوري في العصر الحسّاني هو: لماذا تخلّت قبائل صنهاجة عن أنسابها وتاريخها وتنكرت لهما كليًّا؟

لانعرف بالضبط التاريخ الذي أصبحت فيه اللغة العربية الدارجة المسمّاة الحسّانية تُتَحَدَّثُ في البلاد الموريتانية لكن الراجح أن ذلك تم بشكل تقريبي مع القرن 8هـ/14م لكنه لم يصبح واضحا جليا إلا مع القرن 11هـ/17م بعد أن أكملت القبائل الحسّانية سيطرتها على الإقليم وأخمدت كل مقاومة من السكان الأصليين.

وهكذا تخلى السكان القدماء عن لهجاتهم البربرية لصالح لهجة عربية مضرية متأخرة هي "الْحَسَّانِيَّة" المنسوبة إلى قبائل بني حسّان المذكورة.

من الباحثين من يرى أنها كانت حركة تَعَرُّب سريع وعميق. ونحن نستعمل

كلمة تَعَرُّب ، لا التَّعريب إشارة إلى ما تتسم به هذه الحركة من عودة الفعل على فاعله كما يقول الصرفيون، أي أن القبائل العربية المسيطرة لم تبذل جهدا منظما لتعريب سائرمواطنيها، ولم تحمل معها معارف ولا دعوة، لأنها قبائل بدوية محاربة شأنها الحرب والغزو.

فقبائل الزوايا قد تعرّبت: أي عَرَّبَتْ نفسها، متأثرة في ذلك ولاشك بالوضع الاجتماعي والسياسي الناجم عن سيطرة بني حسان، لكن الجانب العقائدي واللغوي من هذا التعرب لم يكن فيه أي دخل للإرادة السياسية الحاكمة.

بينما يرى آخرون أن هذ التعرب كان نتيجة عاملين متداخلين أحدهما سياسي راجع إلى أن التدين الممتاز والانتماء العربي قد أصبحا ضرورة من ضرورات الانعتاق الاجتماعي بعد السيطرة الحسّانية، فبالأول تكتسب الهيبة في قلوب الحاكمين وبالثاني تحصل القطيعة الكاملة مع الماضي البربري المهزوم.

وثاني أسباب التعرب عند هؤلاء هو السبب الديني المتمثل في دور المعارف الاسلامية في خلق نزوع إلى تمجيد العرب وإبراز الإنتماء إليهم وكأنه فضيلة كبرى.

ثم إن هناك أسبابا هيكلية تتعلق بعلاقات القوة في حقل اللغة عموما، حيث أن "اللغة" البربرية لم تكن قادرة على الوقوف أمام لغة الفاتحين، فقد كانت لغة شفوية أكثر منها كتابية ولم تتخط في مستوى الكتابة المراحل الأولية من نشأتها، مما يفسر قلة النصوص التي وصلت إلينا بالبربرية وانحصارها في بعض النقوش المكتوبة التي وردت أحيانا بلغتين ، سواءا البربرية والفينيقية أو البربرية اللاتينية. وقد عجز العلماء عن حل رموز هذه اللغة. وطبيعي أن لايحصل تكافؤ بين هذه اللغة المقسمة إلى عدة لهجات وبين اللغة العربية وهي في أوج فتوتها.

وهكذا فقد أصبحت اللغة العربية في كثير من المناطق المغربية مثلا لغة الثقافة والتعامل الخارجي خاصة مع غير البربر، بينما بقيت البربرية مستعملة داخل مجموعات الأمازيغن وخاصة داخل المنازل ، حيث حافظت المرأة أكثر من الرجل

على هذه اللغة بحكم قلة اتصالها بالعلم الخارجي، لكن هذه الحالة لم تحصل في موريتانيا بل حدث العكس تماما حيث حذق البربر رجالا ونساءا العربية الدارجة الوافدة.

ويبقى السبب السياسي ممثلا في الدور الذي لعبه السلطان العربي - الحسّاني في فرض العربية على البربر؟ والسؤال الحاضر هو كيف تمت الغلبة رغم قلة العرب وكثرة البربر، فهل هو ضعف العصبية البربرية مقابل العصبية الحسانية الغازية بالتعبير الخلدوني؟ وهل ضعف العصبية البربرية دليل دخول تلك القبائل في مرحلة أرقى من الحياة الاجتماعية والسياسية أجهضها الزحف العربي الحساني وردها نحو البداوة والعصبية البدوية فكان الأمر ارتكاسة وانتكاسا على رأي ابن خلدون أيضا : إذا عربت خربت؟

مهما يكن فللعامل السياسي مسوغاته وله أنصاره الذين يؤكدون على أن اللغة العربية الدارجة "الحسّانية" صارت رمزا للقوة والنفوذ فكان ذلك هو البريق الي جذب نحوها الفئات المهزومة وفقا لمقولة ابن خلدون "المغلوب مولع بتقليد الغالب". ويدللون على ذلك بتخلي صنهاجة الصحراء عن لغتهم وحذقهم السريع للحسانية كما تخلوا عن ظاهرة التلثم التي كانت مقدسة عندهم بينما بقيت لدى إخوانهم من التوارق "الطوارق" لأن الهجرة العربية الحسانية لم تشمل بلادهم، وتركوا عادة حلاقة الرأس والتزموا بدلا منها توفير شعر الرأس "اللمة" وجمعها "لمم" وهي عادة عربية بدوية.

ويرى أصحاب هذا الطرح أن شدة وطأة العرب الحسّانيين وبطشهم بالسكان المحليين وتنكيلهم بالمهزومين رغم المقاومة التي أبدوها مدة قرون، بث الرعب من العرب في النفسية الصنهاجية ورسخ حالة من "التُّقْيَةِ" في نفس الوقت لضرورة التعامل مع السادة الجدد.

والظاهر أن اللغة العربية "الحسَّانية" وجدت دورا توحيديا في مجتمع كان يعاني تعددية لهجية عميقة بعضها لهجات أمازيغية قريبة من التارقية وبعضها الآخر

مختلط باللهجات الافريقية كلهجة السوننكى، والبعض الآخر صناهاجي "خالص".

ولذلك فالسلطان السياسي لايكفي في نظر البعض لتفسير سرعة انتشار الحسانية وتخلي البربر عن لغاتهم، بل لا بد من عامل خاص باللغة الوافدة نفسها وهو الفاعلية.

ولعل ذلك راجع إلى أن اللهجات البربرية لم تكن لغة جهاز إداري قائم كما لم تكن قادرة على حل مشاكل الصفقات التجارية والتبادل بين طرفي الصحراء.

ويبدو أن اللغة العربية قد قامت بذلك الدور منذ القديم "صفقات التجار في أوداغست" التي يذكرها ابن حوقل، لكن انتشار الحسانية ودوره في تطوير العربية أدى إلى "الانتقال من الاقتصاد الشفاهي إلى الاقتصاد الكتابي ، فعن طريق انتشار الثقافة الكتابية أصبح بالإمكان التوسع في الصفقات التجارية. ولم تعد هذه الصفقات رهينة في استمرارها بقوة ذاكرة الشهود ودرجة نزاهته وطول عمره وغير ذلك من العوامل الذاتية. بل أصبحت هناك شروط موضوعية للتعامل إطارها الوثيقة المكتوبة طبقا للشروط المأمور بها شرعا.

ولذلك صارت العربية لغة التجارة ولغة الفقه أي المعاملات والعبادات، ثم لم تلبث أن صارت لغة الشارع نفسه. فانقرضت اللهجات التي كانت تسهل التبادل التجاري كلهجة "آزير" وتعربت المدن وأحوازها بالكامل ثم قلَّ استعمال اللهجات الصنهاجية في البوادي حتى أضحى ضئيلا لا وزن له. وساهم في ذلك قلة المرتفعات في البلاد الموريتانية مما سهل السيطرة العربية بسرعة ربما لأن القبائل الهلالية كانت تستولي على البسائط والسهول وقلما حاولت السيطرة على الجبال والهضاب.

والحق أن هناك عوامل مختلفة متساوقة ساهمت في صياغة المجال اللغوي والحضاري للمجموعة الموريتانية القديمة صياغة جديدة أحدثت قطيعة صارمة مع العصر الصنهاجي "البربري" ووفرت عناصر إدماج قوية ذاتية وخارجية في العهد العربي إلى غير رجعة.

ولذلك فقد أصبحت هناك وبشكل قوي مظاهر تبني التراث العربي الذي قامت عليه الحياة الثقافية في موريتانيا وأصبحت أنساب العرب وأيامهم وعلوم لغتهم ودواوين شعرائهم دعائم لثقافة هؤلاء البدو تصاحب القرآن والحديث والفقه على الدوام.

وكان وقع تلك المثاقفة قويا على شجرات الأنساب الصنهاجية حيث تعربت بسرعة وانتقل الصنهاجيون من تقليد النسب الأموسي " الانتساب للأم" إلى تقليد النسب الأبيسي "الانتساب للأب"!

لكن تدوين الأنساب لم يتم إلا على نحو متأخر مع تطور النخبة المثقفة في أوساط الزوايا إبان تطور العلاقة مع الأمصار العربية من خلال قوافل الحج والرحلات العلمية ولاسيما بعد أن حُرِم حجاج بلاد شنقيط من حصتهم أوقاف الحرمين، فدفعهم ذلك إلى الدفاع عن هويتهم وأنسابهم.

ومن هنا أصبحت أنساب أغلب القبائل الصنهاجية أنسابا عربية ترتفع إلى اليمانيين أو إلى المضريين وأعادت المجموعات العربية من بني حسّان والزوايا تدوين أنسابها في هذه المرحلة. .

وهو ما جعل مسألة الأوقاف تلك مكْمن الصياغة الفكرية للهوية الشنقيطية. ولا أدل على ذلك من أنّ مُشكل الأوقاف الشنقيطية الذي كان البوتقةَ التي صهرت هموم القوم الثقافية والاجتماعية، والحافزَ الأول الذي دفعهم إلى تدبيج كتب الأنساب سعْيًا إلى الإندماج في نفس الأسرة الثقافية العربية، وتأكيدا لحقوقهم في أوقاف الحرمين.

ولن يستقر مصطلح "البيضان" علما على الصنهاجيين والحسّانيين، إلا في نهاية القرن الثاني عشر الهجري لاسيما بعد معركة "حصار الحنيكات" 1778م التي تخلصت بعدها قبائل إدوعيش من سلطان المغافرة، وتواشجت بين الفريقين الأرحام الدموية والسياسية، في ذات الوقت.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل التاريخ تبصرة للمتبصّرين وقبسا لامعا وضياء ساطعا للمتأخرين، إذْ يُريهم ما غاب عنهم وجهل عندهم من أحوال المتقدمين فيعتبروا بهم ويتأسوا منهم بالصالحين ويجتنبوا أعمال الطالحين ويعرفوا بذلك قدرة الله الباهرة حيث أعدم هؤلاء الماضين وأباد دولهم وأخلى منهم دورهم وأفنى مالهم "فهل ترى لهم من باقية". كأنهم لم يكونو قط من المترفين بل ولا من الاحياء المقيمين فيتيقن المتبصر بأنه لا بدّ أن يصيبهم ما أصابهم ويصير إلى ماصاروا إليه من العدم الموبق المهين كما قال السيد قس بن ساعدة الإيادي:

في الذاهبين الاولين … من القرون لنا بصائر
لمارأيت مواردا للموت … ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها … تمضي الاكابر والأصاغر
لايرجع الماضي إليّ … ولامن الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة … حيث صار القوم صائر

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين الذى أنزل عليه كتاب مخصوص بذكر أحوال الداثرين وسير الانبياء والمرسلين ومعاصريهم من الملوك الاولين الغابرين[1] .

وبعد فيقول الفقير إلى الله تعالى الحليم الغفور *موسى بن أحمد المعروف* بشيخ *موسى كَمَر*[2] وقاه الله فى الدارين وحفظه من كل ضرر، لما رأيت أهل **البلاد الصحراوية البيضانية**[3] ويتجنّبون ويحيدون عن الانتساب إلى **أصلهم الثابت**

(1) راجع مقدمة نبذة الشيخ سيديه.

(2) راجع ترجمته في مقدمة التحقيق.

(3) يقصد البلاد الموريتانية القديمة كمفهوم ثقافي وحضاري والتي تشمل ما بين بلاد تكنة شمالا (وادي نوان وومحيطه) بالمغرب حاليا إلى تندوف في جنوبي غرب الجزائر،، إلى الخط =

صنهاجة[1] إلا قليلا منهم كراهة أن يُنسبوا **إلى البربر** مع ماخرج من **صنهاجة** من الملوك الكبار الذين كانت بأيديهم الأزِمّة، ومن العلماء الزهاد والأولياء القوّاد الذين هم فى الحقيقة الائمة، ويرغبون فى أن ينتسبوا إلى العرب، مع أن صنهاجة أيضا منسوبون فى بعض الاقوال إلى حمير ملوك عرب اليمن[2] ومع قوله تعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" ومع قوله عليه السلام: "لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى". أو كما قال صلى الله عليه وسلم. فجمعت هنا ما رأيت فى *تاريخ الشيخ سيديّه بابّه*[3] وما رأيت فى غيره من التواريخ وسمعت مما يتعلق بذلك فهو كاف إن شاء الله تعالى. وقد نسج على منوالهم وفعل مثل أفعالهم أهل فوتَ تورْ[4] من التجنّب والتباعد عن الانتساب إلى الفُلاّنية فلذلك قدّمت قبل الكلام فيهم تاريخ العلامة سارن علي بوب ديمْ لـ فوتَ جلُو[5] ليكون ذلك كالمهاد لعدم نفرتهم عن الفلانية جدا ولكن رغبتهم عن الفُلاّنيّة[6] خاصية طبعية فيهم ويرغبون فى أن ينتسبو إلى العرب بلا دليل مع أن المؤرخين من أهل فوتَ تورُ[7]

=

الرابط بين مصب نهر السنغال ومدينة تنبكتو وبلاد أزواد من شمال مالي جنوبا الجزائر. وقد كانت هذه البلاد تعرف قديما ببلاد الملثمين، ثم عرفت مع مجيئ بني حسّان باسم بلاد البيضان وسماها عرب المشرق بلاد شنقيط. وسماها كبار علمائها بأسماء مختلفة أشهرها الجزيرة المغاربية عند المؤرخ صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي.

(1) يقصد قبائل صنهاجة وأشهرها لمتونة وكدالة ومسوفة ولمطة وغيرها من عشرات القبائل التي تعرّب بعضها وبقي البعض الآخر من شعب التوارگ الملثمين.

(2) عروبة صنهاجة وحميريتها موضع نقاش طويل الذيل في كتابات المؤرخين والنسابة العرب مثل ابن الكلبي وابن خلدون وابن حزم وغيرهم.

(3) تاريخ الشيخ سيديّه بابه: نبذة عن تاريخ قبيلتي إدوعيش ومشظوف كتبها الشيخ سيديّهْ بابهْ بن سيدي محمد بن الشيخ سيديه الكبير ت 1342هـ/1924م.

(4) فوت تورو: الإقليم الواقع شمالي غربي السنغال حاليا.

(5) فوت جلو: الإقليم الواقع جنوبي شرقي منبع نهر السنغال في غينيا.

(6) يقصد شعب الفلاّن ويسمي نفسه بأسماء منها: بولّهْ، ويسميه مجاوره: فولْبهْ!

(7) فوتا تورو: تقع في شمال غربي بلاد السنغال، وتسمى "تورو" تمييزا لها عن "فوت جلو" الواقعة جنوب شرقي النهر أيضا، وتعتبر فوت تورو أرض شعب الهالوبولار التاريخية وهي

=

وفوت جلو وماسِنَ[1] إلى هوْس[2] متفقون على أن الفُلاّن[3] من ذرية عقبة المستجاب بن نافع[4] والله تعالى أعْلم. فلذلك ترى أهل فوت جلو لمحبتهم الفُلاّنية[5] والافتخار بها ما فارقوا الفُلاّن البدويين فى العادة من تقطيع الكلام والنغمة والصوت ومن ضفر شعر نسائهم فإنهن مازلن على عادة الفُلاّنيات البدويات فى ضفر شعر الرأس وكذلك الرجال يضفرون رؤوسهم ولو كانوا علماء أو ملوكا أو أشياخا فانية، لأن ذلك لايضر فى الدين شيئا بل هو أقرب للسنة كما فى الأحاديث الصحيحة الثابتة. بخلاف العادة فى فوتَ تورُ فإن الرجال يحلقون الرؤوس والنساء يضفرن رؤوسهن كضفر النساء السودانيّات المغاير لضفر النساء الفُلاّنيات وكذلك كلامهم مفارق لكلام أهل البدو صوتا ونغمة كراهة أن يتشبهوا بالفلاّن وإذا كانوا يحبون الانتساب إلى العرب بالقول فينبغى أن ينتسبوا إليهم بالزي أيضا فإن *حلق الرأس ليس من زي العرب*[6] والله تعالى أعْلم.

ثم إنى أستعيذ بالله القوي المبين المانع الدافع الملك الحق المبين من شر

=

التي خرج منها الحاج عمر الفوتي ت1865م مؤسس الدولة التيجانية العمرية.

(1) البلاد الواقعة شرقي العقفة الغربية لنهر النيجر، وينسب إليها عشائر ماسنة من شعب الفلان "الفولبى". وقد تكونت بها دولة بقيادة أحمد لبُ الماسني ت 1845م.

(2) هوْسا: من أقاليم بلاد نيجيريا الحالية، وهو مملكة قديمة انضافت إلى دولة عثمان الفودي بعد حركته الإصلاحية.

(3) الْفُلاّنْ: النطق العربي للتسميةو البربرية: إيفلاّنْ، وهو اسم شعب الفولبى أو البوله المعروف.

(4) ظاهرة الإنتساب إلى الصحابة رضوان الله عليهم، منشرة وشائعة بين الشعوب الإسلامية، وبعض الروايات يمكن التأكد من صحته من الوجهة التاريخية. ويذكر البكري 487هـ في كتابه "المُغْرب .."، ص قوما يسمون "الهُنَيْهيِّينْ" من أصل جيش بني أمية الذي أنفذهوه للصحراء في عهد الفتوحات الأولى، وأنهم يقيمون لعهده بين شعب الفلاّن "الفولبى"، ولا يخالطونهم بالزواج، ولعل المذكورين هم المسمون اليوم "هانْهِمْبَ" ضمن شعب الفلان الحالي، فتأمل!

(5) يقصد الإنتساب إلى الفلان، والنزعة الفلاّنيّة عموما.

(6) كان العرب من بني حسّان يوفرون شعر الرأس، أما ظاهرة ضفر الرؤوس فهي قديمة بين الصنهاجيين، وكان ذكرها السعدي في تاريخ السودان حيث أشار إلى صنهاجة أولي الضفائر!

سفهائهم وجهالهم أن يتعرضوا لي ولهذا التاليف بسوء. فإن الشيخ سيديّهْ بابَهْ قد تعرض له الحساد من أهل صحراء التَكْرور[1] بسوء القول وقد سمعت بعض علماء أولاديمان[2] يقول فيه بعدما ورد ذكر تاليفه فى *تاريخ البيضان*[3] : بالله الذى لا إله إلا هو إن الشيخ سيديّهْ لا يعرف أنه الغامس . . ![4] ولقد قال مثل ذلك غيره من علمائهم أيضا كما بلغنى ذلك حسدا وبغضا. وقد قال بعضهم فيه يتعرض لتكذيبه فيما قال من نسبتهم إلى الصنهاجة[5] :

يا منْ حوى كلّ ما فِي الكُتْب أجمْعه ... وصار يطلب ما لمْ تَحْوِه الكُتب

إلى آخر ما قال عفى الله عنا وعنهم وسامحنا فى الدارين وإياهم آمين.

وسميته بـ *"المجموع النفيس سرا وعلانية فى ذكر بعض السادات البيضانية والفُلاّنية"*، وقسّمت الكلام فيه بعد المقدمة على ثلاثة أقسام فالمقدمة فى ذكر نبذة

---

(1) تكْرور: كلمة عربية أصلها "الحاجز" وقد أطلقه العرب على المجموعة التي أسلمت في ق 4 و5 هـ على نهر السنغال وصارت حاجزا بين بلاد الإسلام الصحراوية وأرض الوثنيين الزنوج الغابوية. وهناك كلمة "تاگرور" بكاف معقودة وهي من لسان قبائل گدالة البربر وتوجد في لسان "القوانش" وهم السكان الأقدمون لجزر كناري "الاسبانية" وأصلهم من البربر. أما انتشار كلمة تكْرور فيعود إلى القرن الخامس الهجري بعد وصول أول حجاج إمارة تكرور إلى المشرق، فأطلق المشارقة التسمية على كل من يأتي من بلاد الصحراء والسودان الواقعة بين البحر الأحمر شرقا إلى الأطلسي غربا. ثم بقيت التسمية مقصورة على مجموعة التكولور وهي جزء من شعب الهالوبولار الناطق باللهجة الفلاّنيّة التي جاء بها شعب الفلاّن إلى السنغال.

(2) أولاد ديمان: ذرية مهنض امغار، ويشكلون مع بني عمومتهم من التونكليين، قبيلة زاوية مهمة في جنوب غرب موريتانيا الحالية.

(3) النبذة السابقة.

(4) الشيخ سيديّهْ بابا (ت1924م) من أسرة عريقة تنحدر من بطن أولاد أنتشايت من قبيلة أولاد أبييري ذات المحتد المغفري الحساني. وهو الشيخ سيديّه بابا بن سيدي محمد بن الشيخ سيديه الكبير بن المختار بن الهيبه بن أحمد دولة بن أبابك بن انتشايت ..صاعدا إلى السلسلة العليا لقبائل المغافرة الحسانية العربية. كان من كبار دعاة الإصلاح ونبذ البدع والخرافات، وردع السيبة. وقد قبل دخول الفرنسيين للبلاد سعيا منه لرد النهب والسلب حسب رأيه.

(5) من أبيات للشاعر الحسني محمد فال بن عينينا في التهكم على المهتمين بعلم الأنساب..

من فضل علم التاريخ والقسم الاول فى الكلام على البيضان[1] أهل الصحراء التَكْروريّة والقسم الثاني في الكلام على أهل فوت جلّو والقسم الثالث فى الكلام على أهل فوتَ تورُ.

(1) البيضانْ:= البيض، إشارة إلى السكان من ذوي البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبرى، ويسمون "سافلْبىَ" في لسان الزنوج الفلاّن إشارة إلى التوارگ "الملثمين"، ويوجد في نطقه الفصيح "البيضان" في آدبيات الجغرافيين العرب إشارة إلى قبائل صنهاجة، منذ القرن الخامس الهجري على الأقل (البكري يذكر مصطلح البيضان إشارة إلى سكان الصحراء من صنهاجة القاطنين حول مدينة "أوداغست" القائمة أطلالها اليوم شمال شرقي ولاية الحوض الغربي من جنوب شرقي موريتانيا). لكن المصطلح صار منذ القرن 17م علما على المجموعات الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسّانيّة وتعود أصولها لاندماج الكتلة الصنهاجية والمجموعات العربية الحسانية وغير الحسانية وتميزت بترك اللثام الصنهاجي وبعاداتها المميزة في شكل الخيم ورحل الجمل والزينة والطعام ونمط العيش والتفكير. وقد بدأ تشكل البيضان في أقاليم وادي نون، الساقية الحمراء، حيث تشكلت المؤسسة القبلية البيضانية الحديثة ثم انتشرت في المجال الموريتاني الحالي وغيره من الأقطار.

[مقدمة في فضل علم التاريخ]

أما المقدمة فنقول:" اعْلم أن من فضل علم التاريخ ما قال أبو مصعب الزبيري مارأيت أحدا أعْلم بأيام العرب بل بأيام الناس من الشافعي ويروى عنه أنه أقام على تعلّم أيام الناس والأدب عشرين سنة وما أردت بذلك إلا بالاستعانة على الفقة. ومن فضله ما فى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة لا يقوم صلى الله عليه وسلم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس وكانوا يتحدثون وياخذون فى أمر الجاهلية ويضحكون ويتبسمون. ومن فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودى الذى أظهر كتابا فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن أبى طالب رضي الله عنه وسعد بن معاذ ومعاوية وغيرهم رضي الله عنهم فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ووقع الناس فى حيرة عظيمة من شأنه فعُرض على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل من أين ذلك فقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام فتح خيبر وفتح خيبر سنة سبع وشهادة سعد بن معاذ وسعد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر ففرج بذلك عن الناس غما قال الجلال السيوطي والولي العراقي قد وقع الاستدلال بالتاريخ فى الكتاب العزيز قال تعالى: " يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون"، فاستدل على بطلان دعوى اليهود بإبراهيم أنه يهودي ودعوى النصارى أنه نصراني بقوله "وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده". وهذا من لطائف الاستدلالات ومقاييسها. وقال الصلاح الصفدي قد يفيد التاريخ حزما وعزما وموعظة وعلما وهمة تُذْهب هما، وبيانا يُزيل وهنا وهما، "وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك"، "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب"أهـ . "ولقد جاءك من الانباء مافيه مزدجر حكمة بالغة". وقال بعضهم والجاهل بالتاريخ راكب عمياء وخابط خبط عشواء ينسب إلى من تقدم أخبار من تأخر ويعكس ذلك ولايتدبر ولقد رأيت مجلسا جمع ثلاثة عشر مدرسا منهم قاضى قضاة ذلك الزمان وغيره من الاعيان فجرى بينهم وأنا

أسمع ذكر من تحرم عليه الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القرآن فقالوا هم بنو عبد المطلب وأن عبد المطلب هو هاشم فما أحقهم بلوم كل لائم إذ هو أصل من أصول الشريعة أهملوه. أهـ ملخصا من نيل *الابتهاج بتطريز الديباج بتطريز الديباج*[1] للعلامة الشيخ أحمد بابا التُّنْبُكْتِي[2] رحمه الله تعالى.

(1) راجع: أحمد باب التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة بطرابلس ليبيا، 1989، 2 في 1 ج، صص 29-31

(2) أحمد بابا التنبكتي (963-1036هـ) كبير علماء تنبكتو في عصره ومن أغزرهم علما وأوسعهم تصنيفا، امتُحن مع أهل بيته في غزو المنصور السعدي لمملكة سنغاي.

[القبائل اللمتونية وتواريخ بعض عرب الأمصار]

وأما القسم الأول: فأقول أعْلم أن دِينْيـنَكوُبَ[1] هـم الذين أفسدو ملك تاگ بكـاف عجمية[2] وأصـلهم مـن جيـش أبـى بكـر بـن عمـر بـن إبـراهيم بـن تُوزْگِيتْ اللمتوني[3] ويقول لـه البياضين: بُبكّر بن عامر[4] المتوفى بتگانت[5] بسهم مسموم أصابه فى شعبان سنة ثمانين وأربعمائة[6] من الهجرة وكان سفره من الغرب إلى

---

(1) دينْيَنْكُوبَ: (934-1184هـ) مملكة أسستها سلالة القائد تنكلا وابنه كولى الذي هرب من مالي خوف جيوش السنغاي، قاد جيشا من قبائل الفلان "الفولبى" (يالَّلْبهْ، ورُزْبهْ،فاريبهْ) وغيرهم واقتطع لهم جزءا من مملكة "جولوف" بعد أن قتل سلطانها، وبسط كولى تنكلا نفوذه على أقاليم من السنغال وغامبيا الحاليتين وأسس مملكة قوية نشرت لهجة شعب الفلان "الفولبه" وهزت رتابة الوحدات السياسية والمجتمعية الافريقية في شبه المنطقة.

(2) يقصد أن قبائل الفلان المحاربة بقيادة آل تنكلّهْ هم من أطاحوا بإمارة آل "لام تاك" ذات الأصل الصنهاجي اللمتوني والتي كانت قائمة على الجزء الموريتاني من النهر المقابل لبلاد فوتة السنغالية التي غزاها آل تنكله. وأن لام تاك من بقية جيش القائد ألمرابطي بوبكر بن عامر ت 468هـ.

(3) أبوبكر بن عمر اللمتوني: ت 468 هـ وليس 480 كما هو شائع لأن آخر سنة 467 وبداية 468 شهدت مطالبة ابنه ابراهيم بملكه. ثاني أمراء المرابطين وقائد فتوحاتهم الصحراوية الكبرى إلى تخوم السودان، استشهد بسهم مسموم - كما تقول الرواية - مقفله من غزوة لبلاد الزنوج من شعب القنقارة، ودفن في مكسم بن عامر قربة مدينة تجكجة الموريتانية الحالية. ونسب الأمير أبي بكر ينحدر من عائلة "ترجوت" وحرف الكاتب اسمها "توركيت" وأحيانا "تورقيت" في النصوص الجغرافية القديمة، وهو اسم الجدة الجامعة لبيت الملك المسمى "أور تندغ" ويكتبه الجغرافيون العرب: ورتنطق، وهو اليوم اسم قبيلة تندغه اللمتونية من قبائل موريتانيا الحالية.

(4) تعريب الإسم الصنهاجي: أمّا. والإسم الكامل بلسان صنهاجة: أوبك أكْد أمّ! و"أمّ" (عامر) اسم شائع بين أمراء وأعيان الصنهاجة والتوارگ.

(5) تگانت: الغابة في لسان البربر، وهي تحريف للكلمة العربية گنّة: الجنة! وهي هضبة واسعة من موريتانيا الشرقية اليوم. وقد أطلق صنهاجة الصحراء الاسم على الهضبة التي كانت تسمى "قنقارة" تحريف gangara شعب سوادني وثني انتشر فيه الإسلام بعد المرابطين.

(6) استشهد أبوبكر بن عمر اللمتوني بموضع يسمى باللهجة الحسّانية: "مگسَمْ بنْ عامر" وبالصنهاجية "تنْ گداد" ومحله اليوم بولاية تگانت الموريتانية قرب مدينة تجكجة، أما التاريخ الصحيح لاستشهاده فهو أول سنة 468هـ أوْ آخر شهر من التي قبلها، وهو تاريخ قدوم ابنه إبراهيم إلى مراكش مطالبا بملك أبيه حسب رواية ابن عذاري الموثوقة، فتأمل!

الصحراء سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وجمع جيشا كثيفا وغزى به بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة. وفى *الاستقصا فى أخبار الدول المغرب الأقصى*[1] : "ثم أن أهل أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم فى المئة الخامسة واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي البربر وزحف إليهم الأمير أبوبكر بن عمر اللمتوني فاتح المغرب ومستخلف يوسف بن تاشفين عليه وغزى بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر واقتضى منهم الإتاوات وحمل كثيرا منهم ممن لم يسلم قبل ذلك على الإسلام فدانوا به واستقام له أمر الصحراء كافة إلى جبال الذهب من بلاد السودان وأصله من لمتونة قبيلة من صنهاجة من قبائل البربر ويقال لدولتهم دولة الملثمين وموطنهم أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ومساحة أرضهم سبعة أشهر طولا وفى أربعة عرضا وفيهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا فاكهة وإنما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا إلا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق وإنما قيل لهم الملثمين لانهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم أصلا وقال *ابن خلكان* اللثام سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب ذلك على ما قيل أن حمْير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد تفعله الخواص منهم حتى صار تفعله عامتهم.[2] وقيل كان سببه إن قوما من أعدائهم كانو يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فياخذون المال والحرم فأشار عليهم بعض مشائخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوهم فى البيوت متلثمين فى زي النساء فإذا أتاهم العدو ظنوا أنهم نساء خرجوا عليهم، ففعلو ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبرّكا به بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقيل غير ذلك[3] . أنظر *الاستقصا* . واختُلف فى نسب البربر ففي

---

(1) الكلام ليس لصاحب الاستقصا، بل الصحيح أنه منقول من كتاب العبر لابن خلدون ت808هـ، ج 6 صص 200-201.

(2) الربط بين بربر اللثام وحمير اليمانية قديم في الأدبيات العربية وهو موضع نقاش عريض بين المؤرخين القدامى والجدد.

(3) ذهب الباحثون في تفسير اللثام مذاهب شتى، ولكن الأقرب إلى التاريخية ، في نظرنا، هو تأثير المناخ الصحراوي على المجموعات البربرية التي نزحت إلى الصحراء منذ القرن 3م فرارا من بطش الرومان. الاستقصا: 2/ص4.

الاستقصا[1] نافلة عن كتاب *الجمان فى أخبار الزمان* أن بني حام تنازعوا مع بنى سام فانهزم بنو حام أمامهم إلى المغرب وتناسلوا به وأتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان وبقي أكثر أولاد حام فى بلاد فلسطين من أرض الشام إلى زمن داوود عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم يسمى جالوت فلما قتل داوود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء أمر بإجلائهم من بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب فسارو نحو إفريقية والزاب وانتشروا هنالك حتى ضاقت بهم تلك البلاد وامتلات منهم الجبال والكهوف والرمال وصاروا يتبعون مواقع القطر بالإبل وبيوت الشعر ولم تقدر الفرنج على ردهم ودفاعهم فانحازت الاعاجم للمدن وبقي البربر فيما عدى المدن وهم مع ذلك على أديان مختلفة يدين كل واحد منهم بما شاء من الأديان الفاسدة فمنهم من تمجّس ومنهم من تهوّد ومنهم من تنصّر واستمروا على ذلك إلى زمان الإسلام وكان فيهم رؤساء وملوك وكهان ولهم حروب وملاحم عظام مع من قارعهم من الأمم وقال الطبري وغيره أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم فلما قتل داوود جالوت تفرقوا فى البلاد وقال الكلبي اختلفوا فيمن أخرج البربر من الشام فقيل داوود بالوحي قيل "ياداوود أخرج البربر من الشام فإنهم فإنهم جذام الارض" وقيل يوشع بن نون عليه السلام وقيل إفريقش الحميري قال ابن حزم هو إفريقش بن قيس بن صفي أخو الحارث الرائش منهم هو الذى ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية وبه سميت وساق البربر إليها من أرض كنعان مرّ بها عند ماغلبهم يوشع بن نون وقتلهم فاحتمل الفلّ منهم وساقهم إلى إفريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها جرجير ويقال إنه الذى سمى البربر بهذ الإسم لما فُتح المغرب وسمع رطانتهم قال ما أكثر بربرتهم فسموا البربر والبربرة فى لغة العرب اختلاط أصوات غير مفهومة ومنه بربرة الاسد. ولما قفل أفريقش من غزو المغرب ترك هنالك حامية من قبائل حمير: صنهاجة وكتامة فهما بها إلى الآن وليسوا من نسب البربر قاله الطبري والجرجاني والمسعودى وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين من العرب وقال أبو عمر بن عبد البر اختلف الناس فى نسب البربر اختلافا كثيرا وأنسب ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام وإنه لما نزل مصر خرج بنوه يريدون المغرب فسكنوا من آخر عمالة مصر وذلك

---

(1) الاستقصا: ج2، صص 3-4 .

فيما وراء برقة إلى البحر الأخضر مع بحر الأندلس إلى منقطع الرمل متصلين بالسودان وفى *الاستقصا*[1] : واعْلم أن الخلاف في نسب البربر طويل وقد تركنا جله اختصارا. وأشبه هذه الاقوال بالصحة مانقلناه أولا مما يدل على أن جيل البربر من ولد حام وأنهم جيل قديم قد سكنوا المغرب عند ما تناسلت ذرية نوح عليه السلام وانتشرت الخليقة على الارض ثم تلاحقت بهم بقية بنى كنعان من الشام عندما أجلاهم يوشع بن نون عليه السلام أولا ثم داوود عليه السلام ثانيا قال ابن خلدون والحق الذى لا ينبعى التعويل على غيره فى شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وأن إسم أبيهم مازيغ إلى أن قال فى *الاستقصا*[2] "وأما صنهاجة فهم أكبر قبائل البربر حتى زعم كثير من الناس أنهم مقدار الثلث منهم وهؤلاء أهل وبَرٍ وگدالة ولمتونة أخوان يجتمعون فى أب واحد وكل منهما قبِيل كبير يسكنون الصحراء التى تلى السودان ويليهم من جهة المغرب البحر المحيط وكان دين البربر جميعا المجوسية شأن برابرة المغرب إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثانية وكانت الرياسة فيهم للمتونة وكان منهم بنو زيرى بن مناد ملوك إفريقية والملثمون ملوك مراكش والاندلس"، إلى أن قال "وقد تقدم لنا أن النسابين من العرب يقولون أن صنهاجة وكتامة من حمير وأن أفريقش الحميري تركهم حامية بافريقية فتناسلوا بها واستحال لسانهم إلى البربرية لكن المحققون من نُسّاب البربر كسابق المطماطى وغيره ينكرون ذلك ويجزمون بانهما قبيلتان عريقتان فى البربر.

وفى *تاريخ السودان* [3] وهم أي التوارق: المسُّوفة ينتسبون إلى صنهاجة ف: لَمْتُ جدّ لمتونة وچدال جدّ چدالة ولمطُ جدّ لمطة ومسْطوفُ جدّ مسّوفة[4] ، قال

(1) الاستقصا: صص 63 وما بعدها.

(2) الاستقصا: ص65.

(3) تاريخ السودان، لمؤلفه عبد الرحمن بن عامر السعدي الأنصاري ، نشر بعناية هوداس وبينوه، راجع طبعة سنة 1981 بباريس. الباب الثامن، ص 25.

(4) هذا التصور فاسد تاريخيا، وهو من تأثير الرؤية الأنسابية المشرقية المتأثرة بالتقليد التوراتي، إذ لا وجود لهؤلاء الأجداد بل العكس صحيح، أي أن تلك الأسماء ترمز لنمط عيش تلك القبائل، فمثلا صنهاج تعريب لكلمة آژْناگ (بكاف معقودة) وهي في نطقها الأصلي مكونة من مقاطع: أژن - أهن - أگن: خيام أهل الغارات: خيم المغيرين أو المحاربين، إشارة لنمط عيش الصنهاجيين القدماء القائم على الغزو والحرب والغارات، وهو حال كلمة: "لمط": =

صالح بن عبد الوهاب[1] *وكل قرية للزّاويّة*[2] *بصحراء تَكْرور مثل أروان*[3] *وأبي جبيهة*[4] *وَولاَتَةُ*[5] *وتيشِيتْ*[6]

=

حيوان يرمز لنمط حياة قبيلة لمطة، ومسوفة: نطق عربي لكلمة: إمسوفان: الصحراويون أو البداة أو سكان الرمال. وكلمة "گدالة": أصلها من " گْدل": حمى، غطى، حرس، تحصن، ومنه: آگدال: الحصن، ومنه: گدالة: قبيلة صنهاجية معروفة بالقوة والبأس كانت تنتشر على طول الساحل الأطلسي الموريتاني، فيكون معنى اسمها: الحصينة، الحارسة، من مهنتها: الحراسة، .. وقس على ذلك!

(1) محمد صالح بن عبد الوهاب الناصْري المغفري الولاتي ت72-1271هـ/1854-1855م: مؤرخ البلاد الموريتانية بلا منازع ومن أساطين الفقهاء المفتين والشعراء المجيدين والنسابين المحققين، ينتمي لبيت سيادة وعلم من قبيلة أولاد الناصر العربية، ولد في مدينة ولاتة ودرس على علمائها وطالع ورحل وحج وزار وقدّس وصحب العلماء والأمراء والملوك، ثم مال على نفسه بعد أن ملأ وطابه علما واستقر بين رئاسة بني عمومته أولاد الناصر في بلاد الحوض من شرقي موريتانيا، متوليا منصب القضاء والفتيا والاستشارة ومدرسا وحكما بين القبائل والجماعات، ألف ما ينيف على 70 مصنفا من درر مصنفات الصحراء ضاع معظمها ومنه كتب في التاريخ لا تقدر بثمن منها *أنساب صنهاجة* وغيره.

(2) يقصد قبائل الزوايا المختصة بالخطط العلمية والدينية في مجتمع البيضان البدوي وأغلبها اليوم ضمن موريتانيا، وتحتل قبائل الزوايا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي بعد "العرب" الذين يمثلون طبقة المحاربين. راجع كتابنا: د.حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، مؤسسة الزمان، الرباط، 2007.

(3) أرَوانْ: قرية من بلاد أزواد في شمال غربي مالي حاليا، وهي من قرى بلاد شنكيطي "بلاد البيضان" قديما. وهي من المراكز العلمية المهمة وكانت بها سلطة مشتركة بين قبائل البرابيش العربية وأسر العلم والدين من الشرفاء آل أحمد أغ آدي وهله وأحفاده. راجع عنها: محمد محمود بن دحمان الأرواني: تاريخ أزواد، مخطوط.

(4) أبي جبيْهة: من أحواز أروان.

(5) ولاتة (ولاتا): تعريب لكلمة "إيولاتن" الصنهاجية، مدينة عتيقة تعود للقرن الهجري الثاني، تقع في ولاية الحوض الشرقي من موريتانيا الحالية.. وقد تعاقب على إعمارها دول وشعوب سودانية وصنهاجية وعربية. وقد زارها ابن بطوطة وكتب عنها ليون الافريقي وذكرها الرحلون البرتغاليون وتحدث عنها الكتاب العرب مثل ابن خلدون وعلماء المشرق مثل الزبيدي وغيره. وكانت مدرسة علمية من أهم مدارس البلاد وأكثرها علماء ومؤلفات.

(6) تِيشّيت: مدينة عتيقة على مرتفع الظهر في شرقي موريتانيا، تأسست 536هـ ومؤسسها

=

وَادان[1] *وشـنقيط*[2] *وتِجِجْگَـه*[3] *وتُثْقَـبَه*[4] *وتارَنّـي*[5] *فأهلهـا* مـن *مَـسّوفة*[6] انتهـى. واعْلـم أن مَـسّومَةْ[7] وتجَكانَـتْ[8] وإدَوالحـاج[9]

=

عبد المومن بن صالح الإدريسي القادم من المغرب في أخْريات أيام المرابطين. لكن كان بموضع المدينة سكان من قبيلة ماسنة الصنهاجية المسوفية التي يشير لها المؤرخ محمد صالح الناصري ويعتبرها مؤسسة المدن. وكانت بها مدرسة علمية للشرفاء والطلبة والماسنيين والعرب من بني حسّان.

(1) وادان: حاضرة عتيقة تقع في شمال غربي موريتانيا، تأسست 536هـ على يدي الحاج عثمان الأنصاري القادم مع الشريف عبد المومن من المغرب حيث كانا رفيقي درب ودراسة، وقد أكمل المدينة رجال من أجداد قبيلة إدوالحاج ومنهم الحاج عثمان نفسه.

(2) شنقيط: شنْجيطي، تقع في شمال غربي موريتانيا، وتأسست 660هـ على أيدي رجال من قبيلتي الأغلال وإدوعلي والسماسيد وربما غيرهم، ولعل تأسيسها الأول تم على يدي مجموعات تلتها أخرى بتأسيس ثان. وبها ترسخت تقاليد الدرس والإمامة والقضاء والفتيا وركب الحاج لاسيما بن قبيلة الأغلال.

(3) تجچچگهْ: كلمة صنهاجية تعني: ذات البقر، وهو اسم حاضرة تقع في غربي هضبة تكانت من شرقي موريتانيا، أسسها رجال من قبيلة إدوعلي 1070هـ/1660م.

(4) تُقبهْ:أصلها: تگدة: أي الجديدة في لسان صنهاجة، مدينة تقع في إقليم الركيز من شرقي بلاد الحوض الغربي الحالي من شرقي موريتانيا، عمرتها قبيلة تجكانت بعد القرن 17م وبعض قبيلتي إدوبسات وإجمان وأولاد بوفائدة والشرفاء العروسيون وغيرهم.

(5) تارَنّـي: قـرية مـن قـرى مـسوفة ولاسـيما قبـيلة ماسـنة الـصنهاجية (ولـيس ماسـنة الـسودانية) أسسها سكان مدينة تكدوست بعد خرابها أواخر القرن 15م. وتقع حاليا في الحوض الغربي من شرقي موريتانيا، وترني هي تحريف "ترنني" المعروفة كأقدم رباط لحركة المرابطين.

(6) مسّوفة: النطق العربي لـ "إمْسُوفّنْ": إحدى الإتحاديات القبلية الثلاث المشهورة لصنهاجة الصحراء.

(7) مسّومهْ: قبيلة لمتونية عريقة تشكل اليوم جزءا من قبائل الزوايا في موريتانيا الحالية.

(8) تجكانت: تسمية صنهاجية معناها: القواد أو أدوات القيادة، وهي قبيلة لمتونية عريقة معظمها يقطن موريتانيا الحالية والباقي موزع بين أزواد في مالي وتندوف في الجزائر ومنها جماعات في مواطن أخرى.

(9) إدوالحاج: أي أولاد الحاج عثمان ثم أبناء الحجاج الآخرين، وبعضهم أنصاري والآخرون قرشيون ولمتونيون، وقد أسسوا مدينة وادان ثم هاجر بعض ذراريهم منها إلى غرب البلاد وشرقيها وهم جميعا يمثلون قبيلة إدوالحاج ذات النزعة الدينية والحربية معا.

وأُدَيْجَبَهْ[1] وتنْدَغَهْ[2] وإدَوْعِيش [3] كلها لَمْتُونَهْ[4].

يقول البياضين لـ تَنْدَغَهْ: لَمْتُونَهْ الاخيار ولـ تجَكانَتْ: لَمْتُونَهْ الأبْرار ولـ إدَكْ بامْبرهْ وأخيهم چاشفاقهْ: لَمْتُونَهْ الأحرار ولـ إدَوْعِيشْ: لَمْتُونَهْ الأشرار[5]. قلت ينبغى أن يزيدوا للتوارق: لَمْتُونَهْ الاسْفار لأنهم منهم بلاشك ولعلهم لم يعدّوهم لبعدهم عنهم.

ولِـ وُلُّوِ نُبَطْ: الأنْباط الذين هم تاگ[6] : لَمْتُونَهْ أهل البوار لاتفاق جميع البياضين بأن وُلُّ نَبَطْ من لَمْتُونَهْ حقيقة. قلت لقد رأيت واحدا من لَمْتُونَهْ إداشْفغهْ[7] نسب نفسه إلى يوسف بن تاشفين فقال أنا إسمى الشيخ بن باب أحمد بن محمد امْبارك بن حبيب الله بن الامين بن عبد بن المصطفى بن حبيب بن تگدّ بن ارْحا الله بتفخيم اللام ابن أبيم بن يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين فى الغرب. قلت ولعل بعض أولاده هو الذى جاء لهذه البلاد وأما هو فلا[8] وإنما جاء

(1) إديجبه: أولاد يجي أو يِدْبَ: التائب في لسان صنهاجة، وهو محارب لمتوني اجتمعت ذريته بعد حروب بني حسان وصنهاجة في ق14-15، ودخل عليهم حلفاء من غيرهم والكل صار قبيلة زاوية مهمة.

(2) تندغة: المنحدرون من تانداغ: وهو محارب لمتوني من أسلاف المرابطين، وبعض قبيلة تندغ من ذرية الملك يوسف بن تاشفين، والجميع صار يشكل هذه القبيلة اللمتونية الحالية في موريتانيا.

(3) إدوعيش: أولاد إعيش: تعريب الاسم الصنهاجي: أدو يدّر: أولاد يحيى، ثم أولاد يعيش، بقيت أداة: إد= أولاد، وتعرب الاسم، وهم قبائل محاربة من لمتونة أسست إمارة في هضبة تكانت في شرقي موريتانيا منذ القرن 18م وظلت قائمة إلى الاستعمار الفرنسي.

(4) يقصد أن القبائل المذكورة تنحدر كلها من لمتونة الأولى التي أسست دولة المرابطين.

(5) المقصود الشراسة في الحرب!

(6) ولُ نبط: ابن النبطي، وهم قوم من عشيرة الأنباط اللمتونية التي حكمت دولة المرابطين ثم أسست إمارة في الصحراء بعد المرابطين وقبل قدوم عرب بني حسان، وأما تاگ: ترخيم تاكنت، الهضبة التي استولى عليها المرابطون منذ ق 5هـ فصارت ملكا لهم، والمذكور هو لام تاك: أي صاحب تاك(نت). ثم هاجرت ذريته واختلطت بالزنوج على النهر كما سيأتي.

(7) يقصد قبيلة لمتونة الحالية والبطن المسمى إداشفغ ومعناه: أولاد الفقيه: وكتبه المؤلف: إداشفق، وهو نفسه ترخيم الفقيه: ألفق، ألفغ، لا فرق بين كل ذلك.

(8) بل العكس هو الصحيح، لأن يوسف بن تاشفين هو من أسرة "تُرْگُوتْ" المرابطية التي ينتمي لها قادة المرابطين، وكان يوسف نشأ بين لمتونة الصحراء قبل أن يشارك في فتوحات المرابطين ويستخلفه أبوبكر على المغرب في القصة المعروفة التي تعكس خلافا حول أولويات الحركة: هل هو فتح المغرب أم غزو الوثنيين؟

أبوبكر بن عمر[1] واستخلف يوسفا على الغرب[2] .

قلت أيضا وباب أحمد هذا كان من تلاميذ الشيخ سيديّهْ وكان من أهل العلم والعمل وكان ممن يُتبرك بهم وقد قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديهْ:

يـا رب باللمْتُونـى بـاب أحمـد فرّجْ علينا كل كـرب نكـدا . . إلـخ

وبابَ أحمد هذا هو القائل:

قسْم المهيمن فى الآزال يكفينى مما أدبّر قبْل الحين فى الحين
إذْ قسْمه سابق كوْنى ومسْألتي فما التسبّب فيما قبْل تكويني
إنْ كان فى السبْق من رزقى فسوف يرى أوْلا فما هو بالاسباب يعطينى

وله قصائد وقطعات وغير ذلك، وكان أبوه الشيخ محمد امْبارك من العلماء العاملين والأولياء الكاملين والشعراء المجيدين وقد رأيت له تاليفا منظوما ذكر فيه فضل العلم وآداب المتعلمين مع شيخهم ومع بعضهم بعضا وهو منظوم فائق فى أعلى درجات الفصاحة جدا رائق وأبياته مائة وثلاثون بيتا ومطلعه:

الحمد لله الذي قد علما بالعلم الانسان ما لم يعلما
ثم الصلاة والسلام على الذي طريقه الاسلام
وآله ما نال فتحا كل من عظم شيخه لمقصود حسن

إلى أن قال فى آخره

هذا الذي أمكن ذكره معا ما من تجاذب الخطوب اجتمعا
على جميع الناس في ذا الزمن قليل الارزاق كثير الفتن
لاسيما من أشمعلّ باله وسابت أرضه وضاق حاله
في زمن قد جاوز الخمسين والراء والشين من السنين
من بعد هجرة الذي قد أختتم به تزايد النبوءة وتم

(1) خطأ شائع! والصحيح أن القائد المرابطي أبابكر بن عمر انطلق من عاصمته "أزوگي" بشمال موريتانيا الحالية فاتحا للمغرب ثم عاد لرد فتنة قبائل گدالة، ثم توجه شمالا مرة ثانية ليكمل فتح المغرب قبل أن يعود للصحراء نهائيا مكملا فتح بلاد السودان ليستشهد في إحدى غزواته سنة 468هـ. ولكن ذاكرة سكان المجال الصحراوي لم تحتفظ بتواريخ نشأة الرجل ومحتده اللمتوني الصحراوي بقدرما اهتمت بتاريخ مقفله الأخير إلى مسقط رأسه. فتأمل!

(2) الغرب: المغرب الأقصى الذي يشكل اليوم المملكة المغربية.

عليه والال من الحي السلم — سبحانه أزكى الصلاة والسلام

وقد عير بعض جهّال[1] كنْتَة زوجته ولعلها كانت منهم بأنها زوجت نفسها رجلا من لَمْتُونَهْ مع قلتهم وذلتهم، فلما سمع الشيخ محمد أمبارك ذلك قال متغزلا:

أمن حافظات الغيب لبنى الهزل — لها مرتع يعتاده الغي والخبل
نعم قل مايرعى الغوانى أمانة — على أن عقد العزم منهن منحل
ويحببن من حب الرجال تكاثرا — والاكثر فيهن الدسائس والختل

إلى أن قال:

ورب فتاة أقسمت حليلها يمينا — على أن لا تخون متى تخل
ومن بعده تعتاد مالو بدى له — تحل حبال الوصل من حيث تنحل
فهذا وقد تلفى حصان بغلة — تصون الجنا منها إذا أدبر البعل
يشق عليها أن يسيب حديثها — ولايعترى أجفانها بعده الكحل
فتلك التى تستوجب الود خالصا — ولاينبغى عنها تنح ولا فصل
وأين فتاة وصفها اليوم هكذا — وأين لنا خل وأين لنا أهل
وأين رجال بعد لَمْتُونَهْ للهدى — يذبون عنه حيث زلت به النعل
فأصبح منقوض الاساس وبعدهم — تنهنه عن تشييده البعض والكل
ولم تبنه من بعد لَمْتُونَهْ دولة — ولم يك فى بنيانه بعدهم ظل
أولئك لَمْتُونَهْ الاولى قد سمى بهم — أساس الهدى إذ مسه الضعف والجذل
أولئك لَمْتُونَهْ المؤيد الهدى بهم — حيث عم الفسق فى الناس والجهل
أولئك لَمْتُونَهْ المنال بأثرهم — بلاد لكم فيها المعاهد والسبل
أولئك لَمْتُونَهْ المدون عزهم — وعزتهم قد ما لها أثر يعل
أولئك لَمْتُونَهْ المؤصل فيهم — شمائل منهن السياسة والعقل
أولئك لَمْتُونَهْ المنيع ذمارهم — بأيد سجاياها الشجاعة والبذل
للَمْتُونَهْ أنْباط تقادم دأبهم — بأن الذى يستنبط السيد العدل
وأين لأهل الله نصر وراءهم — ألا إن أهل الله من بعدهم ذل

(1) يقصد عوام هذه القبيلة وأطرافها وليس الخاصة أو الأعيان.

لهــم دولــة مامــونة قــيل أنهــا علــيها كــتاب الله نــص بمــا تعلــو
بــأي حــديث أم أيــة آيــة لقــوم علــى قــوم بغيــر التقــى فـضل

إلى أن قال رضي الله تعالى عنه:

وبايـع جـل الـناس يوسـف جـدّنا وأجـدادكم مـن بيعة الجـد لـم تخـل
وفـك بدفـع الـروم عـنهم رقـابهم مــن أن يـسترقوا أو يعمهــم القـتل
بلَمْـتُونَهْ أحــي الله نهــج محمــد علــيه صــلاة الله بالــنور تجــتلو
علـى أننـى مـستغفر مـن جمـيع ذا إذا المـرء لا يجديـه عـز ولا أصـل
ولا ملـك مملـوك ولا مـدح مـادح إذا ما استوى فى قبره والتقى الفعل

وللشيخ محمد أمْبارك تآليف وقصائد غير هذا رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

قلت ومن سادات تجَكانَتْ أيضا الشيخ محمد حبيب الله بن الشيخ سيد عبد الله بن مايابَهْ: أشتهر بهذا اللقب جدّه لكونه سخيا لا يردّ سائلا كما هو معلوم عند أهل بلاده، ابن عبد الله ابن محمد ابن الطالب اعْلى بن محَم بن المختار الشهير بابن الحبيب بن سيدي عبد الله بن القاضي محمد بن القاضي علي بن القاضي يرزق بن محمد بن الحسن بن يوسف بن أكر ير بن علي بن جاكن الأبر أحد الأربعين السادة. [1] وله أخ فائق في العلم والعمل الذى له تآليف عديدة مفيدة منها كتابه *مشتهى الخارف الجان فى الرد على زلقات التجاني* وهو كتاب مشتمل على كثير من العلوم. وجَاكَنْ هذا هو أبو قبيلة عظيمة من قبائل العرب ببلاد شنقيط[2] فيها كثير من بحور العلماء الإجلاء والأدباء النبلاء منهم علامة الآفاق على الإطلاق المختار بن بونهْ صاحب التآليف النافعة المحررة *كالإحْمرار* الذى مزج به *ألفية ابن مالك* *ووسيلة السعادة* في علم الكلام *وتحفة المحقق في حل مشكلات المنطق* إلى غير ذلك وكالعلامة النحرير والشاعر البليغ الخنذيذ الشهير الإمام بن أحمد الفغ

(1) لعلها جماعة الأربعين من رؤساء لمتونة القديمة.

(2) **بلاد شنقيط**: الإسم العربي المشرقي لبلاد البيضان "عرب الصحراء" الذين ينتشر معظمهم اليوم في موريتانيا الحالية والأقاليم الواقعة عنها شرقا وشمالا، وهو المجال الذي كان يسمى "بلاد شنجيط" نسبة إلى مدينة "شنجيط" التي كان الحجاج ينطلقون منها، وكان ذلك من باب تسمية الشيئ باسم بعضه. راجع: د.حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

وكعلامة الزمان وخاتمة المحققين قاضي البلاد الشنقيطية محمد الأمين بن أحمد زيدان وكوالده الجامع بين الشريعة والحقيقة الشيخ سيدي عبد الله بن ميابهْ وأبنائه النبلاء، فهم بيت علم تشدّ إليهم الرحال في تلك البلاد حتى قيل فيهم: معضلة ولا ابن ميابهْ لها، نظير ما قيل في علي بن أبى طالب كرم الله وجهه. وُلد الشيخُ محمد حبيب الله هذا سنة خمس وتسعين بالمثناة الفوقية بعد المائتين والألف من الهجرة، وله تآليف عديدة وتصانيف مفيدة وهو نزيل المدينة المنورة قلت والبياضين يقولون للأربعين السادة: أربعين جيّدا. قلت أيضا الشيخ محمد حبيب الله هذا من قبيلة من قبائل تجَكانَتْ يقال لها أهل أيّهْ، وسادات تجكانت: أُدَيْشف وأولاد ابراهيم واشْفقات والرماظين وأهل الشيخ والزلامطة وأهل أيّهْ وإيديقوب وأولاد طالب وإيدَيْلبهْ وأولاد أحمد وأولاد الحاج والشواوفة وغيرهم وأبو الجميع جاكن الأبر. وأعْلم أن لمتونهْ لما استولوا على أرض المغرب جاءت تجكانت وسكنوا في قرية يقال لها تنيگي[1] بين شنجيط ووادان وظهرت عليهم القوة وانتشر فيهم العلم ومما يدل على كثرتهم في تنيگي أن لهم فيها أربعة وعشرين جامعا ومن كثرة علمهم سبعون عذراء من بناتهم تدرس المدونة على رواية هذا المخبر واستمروا على ذلك زمنا طويلا وتأتيهم الناس من كل فج وناحية فمنهم من يأتي لأخذ العلم ومنهم من يأتي لأخذ الأمن مخافة شرهم فلما مضى عليهم الدهر الطويل آمنين قضى الله بأن أتاهم ولي من أولياء الله تعالى سيدي امْحمد الكُنْتي[2] ومنه الكُنْتيون اليوم الذين في الحوْض[3] وفي التّگانت وغيرهما ويزعم أنه من بني أمية وقيل إنه من أحلاف بني

---

(1) تنيگي: معناها الجدول، أو الساقية، في لسان صنهاجة، وهي مدينة عتيقة أسستها قبيلة تجكانت اللمتونية مقفلها من المغرب بعد انهيارالدولة المرابطية. وتقع أطلالها بين وادان وشنقيط، وتسمى "أرْغيْويّهْ"، وقد حدثت بها حرب طاحنة أواخر القرن السادس عشر وبداية تاليه، بين فروع قبيلة تجاكنت، وتقول الرواية أن السبب المباشر هو حادثة الإساءة التي وجهها شاب من قبيلة إدوشار الجكنية إلى الطفلة لالهْ بنت سيدي محمد الكنتي الصغير. وقد تدخل خالها أعمر آگوگ الجكني وقتل الفتى، فنشبت الحرب. لكن التحليل التاريخي يرفض إقصاء عوامل أخرى أهمها القحط ونقص المياه والحروب بين القبائل.

(2) سيدي امْحمْد الْكُنْتي: يعرف بالكبير، لأن له حفيدا يسمى باسمه هو من يقصد المؤلف لكن يخلط ذكره مع اسم الجد.

(3) الجنوب الشرقي من موريتانيا الحالية، لكنه يمتد مشرقا نحو مالي تحت مسمى "أزواد" التسمية البربرية للحوض.

أمية وكان ياتي لكل مكان ويمكث فيه إلى أن يختبر أهله ويذهب. ومن قضاء الله أنه ورد على تنيكي ونزل في ناحية الگواليل فخذ من التجكانت وسيدهم حينئذ رجل منهم إسمه أعْمر الگلالي فلما عرف سيدي امْحمد الكُنْتي[1] حالهم واختبر عملهم تزوج ببنت أعْمر الگلالي اسمها ألال[2] ولها سبعة إخوة ورزق سيدي امْحمد الكُنْتي منها بنتا وأعْمر الگلالي أبو لالي له إخوة: ابراهيم ورمضان ويوسف ويعقوب ومنهم أفخاذ التجكانت إلى الآن وأعْمر الگلال أبو الگواليل وإبراهيم أبو أولاد ابراهيم ويوسف أبو إدَيْشُف ويعقوب ابو أُدَيْقب، فلما كبرت بنت لآلي التي أبوها سيدي امحمد الكُنْتي قامت ذات يوم قاصدة امرأة لتضفر لها رأسها والتقت مع رجل من فخذ تجكانت يقال له أُدَيْشر فلما رآها قادمة مدّ رجليه على الطريق ليمنعها عن المرور وقالت له اترك الطريق أمرّ فحلف بأنه لا يتركها تمر إلا تحت رجليه فلما علمت بذلك ذهبت لتدخل تحت رجليه فلكزها برجليه وسقطت اثنتان من أسنانها وأخذتهما ورجعت إلى أبيها سيدي امحْمد الكُنْتي وأخبرته بالواقعة فقال لها ما الي قدرة على أخذ الثأر لك فاذهبي إلى أخوالك فذهبت إليهم وأخبرتهم الخبر وقام واحد منهم بسيفه نحو الرجل المذكور فلما وصل إليه قطع رجليه بسيفه قبل أن يكلمه وثارت الفتنة في الحال وجميع أفخاذ تجكانت صاروا في جهة واحدة على أعْمر الگلال ومن معه ووقع القتل على الفريقين وفر أعْمر الگلال ومن معه من قومه وخرجوا هاربين وسكنو في القفار وقد ترك أعْمر الگلال وراءه أمته وكانت مغنية تغني في المجالس وصوتها عجيب ومكث أعْمر الگلال زمنا طويلا وانقطع خبره ونسي أمره نحو عشرين عاما والأمة المغنية منذ غاب عنها سيدها أعْمر الگلاّل ما غنت قط وقد حزنت جدا واسودت الدنيا على عينها وبعد مضي عشرين عاما قامت ذات ليلة تسقي نخلها فوقف عليها رجل راكب على جمل وقال لها اسقي جملي من حوضك هذا والرجل متلثم فحلفت وقالت والله ما يسقي أحد جمله ولو كان عمر الگلال فكشف الرجل اللثام عن وجهه فإذا هو أعْمر الگلال فعرفته الأمة وقامت تغني وسمعها بعض الناس وقال ما خبر هذه الأمة فمنذ

---

(1) أي سيدي امحمد الكنتي الصغير.

(2) هناك خلط بين سيد امْحمد الكنتي الصغير وهو الذي تزوج بنت رئيس القواليل من تجكانت، وبين جدّه سيد امحمد الكنتي الكبير وهو الجد الجامع لقبيلة لكنته وتوفي مطلع ق 9هـ ولا صلة له بالموضوع المتعلق بحرب تنيقي.

ذهب عنها سيدها ما غنت ولعل لها حادث حدث وما علموا أن أعْمر الگلال هو الذي هجم عليهم بجيوشه فلما هدأ الناس وناموا قدم أعْمر الگلال ودخل المدينة هو وجيوشه وجعل كل فرقة في المسجد والمساجد كثيرة وأمر أن يقتلوا كل داخل عليهم وقت الصبح فلما حان الصبح أو قرب قام بعض الناس قاصدين المساجد وكل من دخل المسجد يقتل بسيف أو يذبح بسكين فقتل كثير من أهل القرية والباقون ما علموا بشيء من ذلك وعلم أعْمر الگلال أنه مابقى منهم إلاقليل قام فقال أصبح ولله الحمد وعرف الناس صوته فجزعوا وأيقنوا بالهلاك ومن ذلك الخوف أسقط أربعون أمرأة أجنتهن وكن حبالى وخرج الرجال هربين وللنجاة طالبين وإلى مدينة تُقْبهْ قاصدين ساحل أفلّهْ[1] ووجدوها مدينة عامرة فيها العروسيون[2] وبقيتهم اليوم فى الحوض فلما وصلوا تقب سألوا العروسيين أن يأذنوا لهم في السكنى معهم وأن يحموهم من شر أعْمر الگلال فقالوا لهم نعم بشرط أن تعطونا الغرامة كل عام أمة جيدة وطبقة ملآنة من الذهب والتزم لهم التجَكانَتْ ذلك الشرط فسكنوا ووثقوا بخلوصهم من شر أعْمر الگلال وصارو يعطون تلك الغرامة كل عام للعروسيين واستمر عليهم هذا مدة طويلة وأتى سيدي المحجوب من عند الحج[3] بعد أن خالَلَ سلطان الغرب[4] وأحبه حبا زائدا وأتى لتُقْبهْ وجاء العروسيون ليأخذوا الغرامة[5] على جري عادتهم مع التجكانت وكل واحد منهم نزل على خيمة من خيام التجكانت فاجتمعت تجكانت وقد فرق سيدي المحجوب قلوبهم وقالوا بلسان واحد لا يجوز علينا أن نترك العروسيين يأخذون علينا الغرامة كل عام والرأي أن يقتل كل واحد منا نزيله من العروسيين وقام واحد منهم ينشد ويقول: كل واحد منا فاليدبر على نزيله" وقتلوا العروسيين الذين عندهم

(1) مرتفع واسع غربي بلاد الحوض من شرقي موريتانيا الحالية، وكلمة "أفلّهْ" تعني "المرتفع" في لسان البربر.

(2) العروسيون: من الشرفاء الحسينيين وهم قبيلة ذات شوكة قامت بحركة سياسية وعسكرية بالغة الأهمية في شمال موريتانيا وغربيها وشرقيها منذ القرن 11هـ على الأقل.

(3) لا نعرف تاريخ مقفله من الحج.

(4) الغرب مصطلح لدى البيضان يقصد به المغرب الأقصى الحالي، أما المغرب الأقصى نفسه فبهو جهة الغرب دائما..

(5) ليست الغرامة بالمعنى الأدني، بل هي ضريبة متفق عليها بين الطرفين منذ قدوم تجكانت على مدينة تقبة.

فثارت الفتنة بينهم وبين العروسيين وانهزمت تجكانت فاشتد عليهم الأمر وقام سيدي المحجوب وأرسل رسولا إلى أعْمر الگلال مع بيت شعر من كلام الحسّان يحرضه على مقاتلة العروسيين فيأخذ الثأر منهم ولما بلغته الرسالة أخذته النخوة للانتصار لأولاد العم وركب هو وجيوشه إلى أن أتى تقْبهْ واجتمع مع إخوته وصاروا يدا واحدة وتفانوا مع العروسيين وقاتلوهم وانهزم العروسيون وولوا هاربين وشتتوا شملهم وفرقوا جمعهم في كل جهة ومنذ ذلك ما تمدنوا إلى يومنا هذا[1] . وارتحل أعْمر الگلال عن تنيگي وسكن في تقبه مع إخوته وبقيت التجكانت وصار سيدي المحجوب رئيسهم وهو من أولاد يوسف ثم رحلوا من هنالك بعد أعوام كثيرة ونزلوا في تگانت وحينئذ قد صار إدَوْعِيشْ تحت يد أولاد امبارك وقام أبو إدَوْعِيشْ بكّارْ بن أعْمر[2] وقاتل شيوخ العرب كُلاّ: كـ أولاد أمبارك[3] وأولاد لغويزي[4] وأولاد نغماش[5] وأولاد عبدالله[6] واليتامى[7] فانهزموا كلا بين يديه وشتتهم في كل جهة إلى يومنا هذا ما اجتمعوا. وأما أولاد بكّارْ بن أعْمر فمنهم سيد أحمد بن بكّارْ ومحمد شين بن بكّارْ ومحمد بن بكّارْ وأحمد دي بن بكّارْ فلما مات بكّارْ بن أعْمر تولى ابنه محمد شين الامر وأبناءه محمد بن محمد شين ويقال له محمد امحمد شين ومختار ابن امحمد شين واعْلي بن بكّارْ يطلب ولاية الأمر واجتمع أبناء امحمد شين وتحاربوا معه وقتلوه في واد يقال له غبّ وتولى محمد بن امحمد شين الأمر ومات وترك ولده اسويد احمد وقام أخوه مختار بن امحمد شَيْن وهو أكبرهم حينئذ يطلب الملك وابى اسْويد أحمد ولاية عمه المختار وأرادها لنفسه وهو والد بكّارْ بن اسْويد أحمد، فانقسم لذلك إدَوْعِيشْ

(1) إشارة مهمة إلى انتشار العروسيين في بوادي بلاد شنجيطي.

(2) ليس أبا لأدوعيش إلا إذا كان المقصود الأبوة السياسية والقيام بأمرهم، وإلا فبكار بن أعمر بن امحمد بن خونه ت 1175هـ/1788م هو أمير أدوعيش في فترة التخلص من هيمنة إمارة أولاد امْبارك الشديدة القسوة والملك.

(3) أولاد امبارك: من فروع قبائل المغافرة العربية الحسّانية، أسسوا إمارة أولاد مبارك في بلاد الحوض بين 1712 و1841 قبل أن يتفكك نظامهم بفعل الحروب والصراعات الداخلية.

(4) أولاد الغويزي: تصغير الغازي، من بني عمومة أولاد امبارك، وكنوا في إقليم الرقيبة.

(5) أولاد نغماش: من الأسر الأميرية في إمارة البراكنة.

(6) أولاد عبد الله: من الفروع الرئيسة من بني عمومة أولاد نغماش.

(7) اليتامى: ذرية اليتيم من قبيلة البراكنة.

قسمتين قسمة يقال لها أبَكاكْ وهي التي صارت مع اسْويد أحمد وقسمة أعمامه الذين رئيسهم مختار بن امحمد شين صار يقال لها أشراتيت وتقاتلوا إلى أن دخل ملك فرنسا أرضهم واما اغْلي بن امحمد شين فهو رئيس أهل اغْلي وبوسيف ولعل كلاهما كان مع مختار بن امحمد شين على أهل اسويد أحمد الذين هم أبكاك والله تعالى أعْلم. وقيل أن امحمد شين بن بكّارْ بن أعْمر هو الذى أفسد البراكنة[1] جدا بعد أبيه بكّارْ وكان يقال لاهل ءاگجيل خيمة النصف وذلك لان البراكنة قد ضيقوا على إدَوْعِيشْ في يوم *فم چوك* وقد نصروا عليهم ذلك اليوم وقالوا إنهم لا يتركون إدَوْعِيشْ حتى يفتدوا بمال جزيل قدروه عليهم فتكلف آگجيل إعطاء نصف ذلك المال فيعطى بقية إدَوْعِيشْ باقي المال بشرط أن بكون نصف كل ما غنموا بعْدُ لهمْ أي لئال ءاگجيّل، فقبل لهم إدَوْعِيشْ ذلك الشرط فصاروا على ذلك إلى أن فسد ملكهم كما قيل والله تعالى أعْلم.

وأما القبائل الأخرى الذين صاروا من إدَوْعِيشْ كأولاد غيلان[2] وأولاد ليل وأولاد طلحة[3] ونحوهم فأصلهم من البراكِنة فتابوا وأسلموا لإِيدَوْعيش ودانوا بدينهم.

وقيل أن من خيار خيل أهل الصحراء من بيضاننا: الجريبات ويليها كريكيبات ثم دفينجات وحمامات وغزالات وأصل هذه الخيول من اجريبات ومن خيولهم أيضا مخلول وقسرى ومْعاش وأمْراص والاصل أم راص لكبر رؤوسها وغير ذلك من خيولهم والله تعالى أعْلم.

وممن نزل مع جيشه لامْ تاگ[4] ملك تاگ ويقول البياضين لملوكهم

---

(1) البراكنة: ذرية بزْكَنّي بن هدّاج بن عمران من قبائل المغافرة، أسسوا إمارة البراكنة في جنوب غرب البلاد منذ ق11هـ وكانت لهم الرئاسة على جميع بني عمومهم من المغافرة.

(2) أولاد غيلان: من ذرية يحيى بن عثمان بن مغفر، من قبائل المغافرة الحسانية التي حكمت الشمال الموريتاني في إقليم آدرار.

(3) طلحة: أولاد طلحة: من قبائل المغافرة ساهموا إلى جانب بني عمومتهم في حروب وسياسات شرقي موريتانيا.

(4) لام تاگه: Lam Taga لام: صاحب، تاگ: ترخيم "تگانت" إقليم هضبة تگانت في وسط شرقي البلاد، وكانت فيه أواخر القرن 15م مجموعات من الرحل من شعب الفولبى وغيرهم من السودانيين.

الأنباط[1] وواحدهم *وَلُونُبطْ* فنزلوا إلى بيْلِگّ مع هدرب الذين صاروا الآن فلانا وكان أصلهم من البيضان أخوال تاگ كما زعم ذلك سليمان لام تاگ كما صارت تاگ من جملة عوام أهل فوت لا من فلان ولا من توروب ولا من سبّ ولسانهم الآن فلاني وكلهم أو جلهم إلى الآن يعرف الكلام البيضاني وقد وقعت فتنة بينهم وبين هندرب حيث كانوا في بيْلِگ بسبب الرياسة فتقاتلوا فانهزمت هندرب وأكثرهم الآن في مل قرية في عمالة خاي ثم ارتحل تاگ أيضا ونزلوا في كمبل الذي صار اسمه مقامه وصار عبيدهم يحرثون الحرائث جاو النيلية من فول باو إلى ما وراء دلل سيور وهذه هي المسماة بجاو وكانوا يحرثونها ويحفظون زرعها من الطيور ويرسلون الحرس ليحرسوا حافظي الزروع من أهل الشر والحرس قدرهم سبعة آلاف حارس كل مائة مجتمعة في حرث والمائات متفرقات في الحرائث كذلك إلى أن جاءهم دينيانكوب فأفسدوا أمرهم وفرقوهم شذر مذر ثم إن تاگ ما زال أمرهم في انحطاط وضعف وتفرق لجهلهم وعدم ضبطهم لأمورهم إلى أن زال هذا كله من أيديهم وآخر الأمر ان قطعوا النيل وسكنوا هردلد القرية التي قتل فيها الشيخ محمد المقامي وفيها قبره وصار لام تاك الآن من أدنى العوام لا دين ولا ملك بل فلاح فقط وتفرق قومه في القرى ومنهم من في كمبل ومنهم من في سمفق وغيرهما ومنهم شرذمة قليلة مع ول نبط الذي هو لام تاگ في هردلد وكبيرهم الآن سليمان لام تاگ ولا ولد له إلا إناث وله ابن أخ اسمه بول لم يبق من رؤسائهم إلا أن من هذان وزعم سليمان لام تاگ أن تاگ قد مكثوا في بيلگة مدة مديدة بعد هندرب ثم ارتحلوا ونزل في تيشطاي وهي تلل فقاتلوا من وجد فيها من هايرنكوب وقتلوا منهم من ينيف على أربعين نفسا فانجلى اهل هايرل عن تلل فسكنوا فيها مدة يأكلون من زرعهم إلى أن نفدت فارتحلوا وسكنوا في رفيق سل بوب وهي بكّل فسكنوا فيها مدة ثم ارتحلوا عنها إلى كمبل التى هي مقام وفيها قاتلهم سل جاي

---

(1) الأنباط: هم ذرية نبْتانْ (نبْت= بدون تحريك) من أجداد قبيلة لمتونة الصنهاجية، ومنه البيت الأميري الذي كان يحكم دولة صنهاجة قبل الإسلام ثم في عهد المرابطين، ثم بقيت ذرية الأنباط تحكم إمارات مجزءة أخضعها الزحف العربي الحسّاني منذ ق8-9هـ 15/14م. ويقصد المؤلف أن أسر السودان المسماة: لام تاگ تنحدر من ذرية الأنباط اللمتونيين، وأنه كان لهم ملك قضى عليه جيش الفلان بقيادة آل تنگلا.

وغلبهم وزعم سليمان لام تاگ أن تجَكَنْتْ من تاج ابن عامر وأن لَمْتُونَهْ وتاگ من ببكر بن عامر قلت والذي كنا نسمع من البياضين بالتواتر أن جكان ابن أمسم ولمسم ابن لمتن أي أن لَمْتُونَهْ والد مسُّومهْ والد تاجكانت كلها وهو يقول أن جاكن الابر من ولَد بُبَكّر بن عامر مباشرة والله تعالى أعْلم.

وفي كتاب الأنساب لسيدي محمد والِد بن المصطفى الديماني[1] : نسب إدوالحاج وتاجكانت وتفلالّت قيل أنهم أولاد شروال بن أوان بن علي بن أمْسم بن يهكد كر بن نبتان من لَمْتُونَهْ وجدّهم أمسم جدّ مسُّومهْ، فأصلهم كلهم مسُّومهْ أنتهى المراد منه.

وزعم سليمان لام تاگ أيضا أنهم من لا م تاگ محمد والد لام تاگ سير والد لام تاگ سيدي محمد الذي قتله اللصوص من أولاد أحمد في لكرمنّ في مقام وهو والد لامتاگ اعْلي وهو والد تگدّي المقتول في بدنك مع جيش سيران ابراهيم وهو والد أبابك والد چولد لام تاگ زوجة بكي عالي في هُرْدُلْدُ وكذلك هو والد ميمون لام تاگ في سم زوجة لمان سوتي وكذا هو والد مجل التي في هردلد ولها ولد الآن وكذا هو والد ملس التي كانت زوجة لحمدود المرحوم وقد ولدت له ابنان وهما الآن في كرل ولامْ تاكَ اعْلي هذا هو والد حمى عيس شقيق ملس لام تاگ التي كانت زوجة لسرى صنب جوم وهو أيضا والد بكّارْ والد بول التي أمها ملط صم بندل ولام تاك اعْلي هو أيضا والد سليمان لام تاك المخبر الذي ليس له من الولد الآن إلا البنات وكذا لام تاگ اعْلي أيضا هو والد بكّارْ والد بول الذي كان في قرية بيد عال في مرتن في ديوان ليتامه في حكامة كيهيد ولقب رؤسائهم أسكوتند وألقاب مرؤوسيهم روي وءاميت وجل وشام وسِهْ وزعم سليمان لام تاگ بأن هؤلاء كلهم جاءوا معهم من مراكش من المغرب وزعم أيضا أن حمد سندي رئيس كجول في كدمغ في ذلك الزمن أخبره أن كل من لقبه گندياگ فأصله من تاگ لاأدرى هل نسبتهم إلى تاگ نسبة ولاء أم لا وحمدي سندي المذكور لقبه گندياك وقد ارتحل بنوه إلى سنينات ورئيسها اليوم ابنه المسمي دمب وال ويسمي أيضا دمب حمد وقد جاءني مريدي وحبيبي وصهري السيد الشيخ عثمان علي حفظنا الله وإياه في

(1) محمد والد بن المصطفى بن خالنا الديماني الأبهمي: مؤرخ ونسابة خبير من إدابهم من بني ديمان ت1212هـ له كتاب الأنساب الشهير أغلبه ضائع.

الدارين من جميع الآفات والاهوال بورقة من جناب العلامة الشيخ محمد باب ابن الصديق التلكوري السلمي وفيها تواترت الأخبار بأن كثيرا من البيضان وكثيرا من تَكْرور أهل فوت أصلهم من البربر الباقين من بقية قوم جالوت الذين أجلاهم داوود عليه السلام من أرض فلسطين إلى المغرب كما أجلا منها غيرهم من بني حام إلى أن بلغوا المغرب.

وفي فوت صنهاجيون أولاد يحيى بن إبراهيم وفيهم فلانيون الذين أتوا مع أبي بكر بن عامر إلى أرض السودان الذين هم التوب وأما أصل هؤلاء الفُلاّن فمن البربر وهم قبائل شتى قدموا إلى هذه البلاد فسكنوا أولا في تيگنت وبنوا فيها القصور وغرسوا فيها الحدائق وعمروها وحرثوا فيها القمح والشعير ولما كثرت فيهم حروب ***بني حسّان***[1] هربوا إلى سواحل نهر سنگال وبنوا قرية دمت وانتشروا في أرض فوت إلى أن قال وفي سنة 464 هـ خرج يحيى بن إبراهيم[2] صاحب يوسف بن تاشفين اللمتوني ملك الغرب بجيش إلى أرض السودان وإلى منهم في الصحراء فغزاهم وكسرهم ثم في سنة 475 للهجرة بعث يوسف بن تاشفين قائده أبا بكر بن عامر[3] إلى أرض السودان فغزاهم وأجلا بعضهم إلى أرض النوبة وبقي قومه في بلاد الصحراء والسودان وتوفي أبوبكر بتاگنت قبره هناك وقيل أن بعض جيش أبي بكر بن عامر دخلوا إلى بلاد السودان فصاروا منهم وتخلقوا بأخلاقهم ومنهم من بقوا ساكنين في أرض الصحراء وهم ژناگ وتجكان وكافة أهل تيشيت وشنچيط وسكن أهل فوت الذين انفصلوا منهم في سواحل نهر سنيگال كما تقدم انتهى المراد مما في الورقة التي أتي بها الشيخ عثمان عال من جانب العلامة الشيخ محمد باب حفظنا الله وإياهم من الشك في الدين والارتياب مع قليل تصرف وحذف للاختصار. قلت إن الذي يوافق ما في هذه الورقة من الممكنات الجائزات

---

(1) **بنوا حسّانْ**: القبائل المنحدرة من حسّان بن المختار بن عاقل بن معقل، الجد الجامع لقبائل معقل العربية ذات **الأصل المضري القرشي الجعفري**، التي جاءت مع الهجرة الهلالية ودخلت موريتانيا منذ القرن 8هـ. وقد نشر بنوحسّان لهجتهم العربية المسماة "كلام أولاد حسّان" (الحسّانيّة"، وحكموا البلاد بإمارات ورئاسات متعددة.

(2) **لا وجود لمثل هذا القائد ولعله ابراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني ت480هـ.**

(3) **هذا الكلام** مناقض لما في المصادر الموثوقة، ولما هو مجمع عليه بشأن تاريخ المرابطين، إذ المعروف أن يوسف لم يكن أميرا على أبي بكر الذي كان أميرا للمرابطين إلى وفاته.

ما قيل إن أهل فوت كانت مساكنهم في أرض الصحراء إلى أن طردهم عنها حروب البياضين وكانت تاگنت من مساكنهم القديمة وقالوا إن معناه في لغتنا ساكنط: القرى القديمة أو ساچنط أي القرى المسكونة وواحد ساسار في كلامنا، وزعم بعض الفُلّان من أورُزْب أنهم هاجروا من ماسنة إلى أن وصلوا فُر فسكنوا فيه مدة فما زالوا يحاربون البياضين ورئيس أوررب حينئذ يسمى كدُ وله عنزة تسمى داگا حمراء العنق أو سوداؤه ويكون جسدها كله أبيض وقد اتخذوها كالصنم فإنهم كانوا يحلبون لبنها ويتمسحون به وهي تحلب في كل الأزمنة وإذا تمسحوا بلبنها وقاتلوا يغلبون كل من حاربهم بزعمهم، فعلم بذلك البيضان فسرقوها فلما علم كد بذلك ارتحل عن فُرُ قائلا : فُرُ هاطي داگ، ومعنى فر السرقة لا غير. فلذلك صار الموضع يقال له فُرُ إلى الان[1] . فارتحلوا إلى جهة سنڨال[2] وكان منهم قوم عازبون مع المواشي فبقوا في تلك الارض الْمُرِتَنِيّةِ[3] فصاروا بيضانا لذلك وهم التوابير[4] كما قيل. ومن عوائد أورُزْبَ إلى الان أن المختتنين منهم يمكثون ثلاث سنين يضفرون رؤوسهم من القفا إلى الوجه ومن الوجه على القفا بأضفار رقاق متخالفة من وسط الرأس ويسمى هذا الضفر عند فلب جيرا من أوررب بلّق ويسمي هذا الضفر عند البياضين تبيس ، وهكذا إلى آخر أمر أوررب. ومن العجب أن صنب كت من ياللب كنكل قد أخبرني بأن أصلهم من التوابير والله تعالى أعْلم.

وفي أرض الصحراء أيضا أسماء أماكن كلها أو جلها من لغتنا ومنها ما هو من أسماء قرانا إلى الان ومنها ما هو كأسماء أشخاص وأسماء قبائل منا ولعلها كانت مساكنهم أولا منها كسك نور وو بركول وكومل وگنار وگوك وكسال وبور في جبل عصاب موضع يسمي يول وفي تاگنت موضع يسمى دكگل وفي أفلّ موضع يسمي دمْ بر وموضع ء اخر يسمي سُككْنّ أيضا وفي ارگيبهْ[5] گنْديگ وفي قرب گيم

(1) كل هذا أسطورة لكنها قابلة للتأويل.

(2) يقصد السنغال الحالي.

(3) المرتنية: نسبة إلى موريتانيا الجزء الأكبر من بلاد البيضان التي احتلها الفرنسيون منذ 1903 وأسموها بذلك الاسم. وأصلها "أتمورتناغ": أرضنا في لسان الأمازيغ وليست من اللاتينية.

(4) التوابير: أصلهم من عرب الهجرة الهلالية المبكرة والغامضة التي وصلت قبل الهجرة الحسانية إلى المجال الصحراوي الحالي.

(5) ارْگَيْبَ: تحريف "الرّقيْبة" تصغير الرقبة: البلاد الواقعة بين غربي الحوض وشرقي العصابة.

موضع يسمي چكتوب وآخر يسمي لگ بُبّ وفي قرب إليك موضع يسمي سبّ سبل وفي أرض الصحراء أيضا موضع يسمي چول وفيها گنگل وانباي وعوينة ولْ اغْلي تنك ويول على طريق تگانت قرب موضع گنار وووَ موضع بين كوب وبود وسلّول موضع في ءافطوط وغير ذلك من الاماكن والله تعالى أعْلم.

قلت قد أخبرني بعض لوناب من قبيلة جه بجيم بين الجيم والياء بأنهم كانوا ساكنين في مُرْتَنِ[1] في موضع يسمي لول فسموا به إلى الان وقد أخبرني فلان بوروب بأنهم أنما سموا بوراب باسم مسكنهم في الصحراء بورَ، وهذا كله قبل نزولهم إلى نهر سنگال والله تعالى أعْلم.

ومن العجب أن من كلام ژناگ[2] الذين هم البربر: تيسُبازْ ومعناه في كلامنا وكلامهم وقت الظهر وعدّهم من الواحد إلى العشرة هذه الكلمات: يون، شنن، كرظ، أكث، شمش، شظش، إشه، إتم، تزه، إنتهي عدهم. ولاكن ليس فيه كلمة توافق عدنا ولكن هذا العد هو عد التوارق بعينه إلى الان والله تعالى أعْلم. قلت ولعل بعض كلمات من كلام البيضان[3] الآن من كلام البربر في ظني ومنها تَلُّ

---

(1) مرتن: موريتانيا بدون تحريك.

(2) ژناگ: هو : صنهاجْ، صنهاجة، تعريب للفظ " الأمازيغي": إِزْنَاگنْ، [بكاف معقودة] وهم مع مصمودة: إِمَصْمُودَنْ، زناتة: إِزْنَاتنْ، يكوّنون المجموعات القبلية الكبرى في المغرب الكبير.
ويذهب الباحث المغربي المأسوف عليه صدقي على أزايكو ضمن بحوثه حول أصول البربر إلى رفض الأصل الأنْسابي لأسماء المجموعات المذكورة، ويقترح تفسير أسمائها بما ينسجم مع نِحْلَةِ العيْش الغالبة على حياة القوم. فيرى بخصوص صنهاجة أنها تعريب للفظ البربري إزناكن*، وهو مركب من: إهن (=إزن)، ومعناه: الخيام المصنوعة من الجلد، وإگن (= المغاورون أو الذين يمارسون الغارات). يقع التركيب إذن على هذا النحو: إژن +إگن = إزنگن، وبما أن التفخيم يعتبر من مَيِّزَات اللهجات الصنهاجية، يمكن أن نفترض أن الزاي (العادية) يمكن أن تنطق مفخمة، قد تعني كلمة إزنگن، إژن: خيام القوم الذين يقومون بالغارات، ومعلوم أن هذا النوع من الأنشطة يمارس بكثرة عند رحل الصحراء.
وفي فرضية أخرى (ب): أژنْ: بعث، أرسل، إگنْ:"فرقة غير نظامية من الرجال تجتمع للقيام بحركة حربية قصد النهب".
ويبدو أن نمط العيش ذاك كان غالبا على حياة الظواعن الصنهاجيين في الصحراء مع اهتمامهم بالتجارة وخفارة القوافل، والسيطرة على الممالح المهمة لدى جيرانهم السودانيين..

(3) كلام البيضان: يقصد اللهجة العربية الحسّانية التي يتكلمها شعب عرب الصحراء الكبرى القاطن أكثره في موريتانيا والمنتشر باقيه في البلدان المجاورة.

للمشرق والقبْلة للمغرب والشرق للجنوب والساحل للشمال، قال بعضهم:

طيبة من مكة تلّ ساحل ... بينهما عشَرة مراحلُ

أن المدينة المنورة في جهة المشرق الشمالي لمكة المشرفة والله تعالى أعْلم. وقال آخر:

ينبوع من طيبةَ گبْلٌ ساحلُ ... بينْهما خمْس منَ المراحلِ

الساحل عند البياضين الشمال ومعني گبل جهة المغرب ومعنى قوله أن الينبوع بين الشمال والمغرب من المدينة المنورة والله تعالى أعْلم. ورأيت ورقة فيها نظم لبعض أهل الحوض يذكر فيها أصول قبائل البيضان ونصها:

الحمد لله وصلى الله ... على نبيه ومصطفاه

[وبعد هذا طلب التقي ... نظما له نسب أهل الحي]

وذاك عباس أبن مامينا الو لى ... نفعنا الله به والمثل

يا من يرد نسب أهل الحوض ... فخذ لضبطهم عن النسخ ارتض

هم عرب والكور والزوايا ... ولحمة من بعد ذاك فعيا

أولاد امبارك من بني حسان ... ابن معقل على التبيان

وقيل حمير وقيل قرشي ... وقيل خارج واللام فانقش

والأم قرشية وكذا ابن نصر ... وبل طلح وأبناء مضر

أبناء مزوك كذا العبيدات ... أبناء الغويز لديك ثابتات

أبناء علوش ورزق فاعدد ... ومنهم يأخيّ عبد الواحد

أبناء ممّ ثم أبنا يونس ... قيل وابناء سكون فقس

قد انتهت نسبة حسان فع ... على المشهور عندنا فاستمع

كنت قريش ثم الا غلال كذا ... تنواجو ثم جمان أخذا

ولعروسيين أ هل الجاه ... وأهل بدبوس خذ ياساه

نوازر القلاقمون اقتف ... إدوعل وثم كل الشرف

ابن محاجب كذا من لايخاف ... كذا القوانين أخي لا تخاف

قد انتهت ما ينسبوا أخي ... لقرشيهم فخذ صفي

روى أن لادما لمتونا ... ومنهم أبناء حمير أخونا

وتجكانت وكذا مسومه ... إ د والحاج وتركز لمتونه

كـذاك تـندغ وجـيجب أبـدوكل أ د وبـلاّ أُدَيْلـبٌ هـم المـثل
والوسـر إقـروقن كـذا الكـارات إقـسيمهم تافلالـت والزبيـرات
كـذا الـشباهين ومـشظوف وثـم يـداس لعـتاريس مـنهم نعـم
أبـناء حـم وسـال أُدَيـيلل أزنـاق بعـدهم فـلا تمـل
ثـم الحباشـة وتقـداوس وزد أبـنا المحامـد وملّـوك يعـد
أولاد بـربوش والخلـف يـا أخـي فـي فـوت أنهـم لَمْـتُونَهْ فانـسخ
قـد أ نتهـى مـا ينـسب ياسـنبر للحميـريين فخـذها يـا حـر
ا لانـصار بارتـيال وبـسات لـوات وقـيل أنهـم لَمْـتُونَهْ لا أفتـيات
نظمـه العـبد الفقيـر المـذنب نجـل سـليمان المـسمى الطالـب

وقوله أبدوكل هم هل تيك في الحوض وقوله إقروقن إقروكن في الحوض أيضا وقوله بُساتْ : إدوبُساتْ[1] ، وقوله كنته قريش ثم الاغلال كذا إلخ[2] .

وأعْلم أن الأغلال[3] قد شاع وذاع بأنهم من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله

(1) إدوْ بُساتْ: المنحدرون من أحمد أبوستّه، المنسوب إلى بوسَتْ في الأندلس،ومنه البُستيون في كتب الأندلسيين أو المنسوب لأولاد بوستّه قبيلة منتشرة بليبيا وتونس، ومنها المعني الذي يزعم نسبته إلى ذرية الصحابي أبي دجانة التي كانت تنتشر في أفريقية وانتقل بعضها مع ابن غانية في جيشه المتعدد الأعراق ومن بين من جاء في الجيش علماء وصلحاء وأعيان من المرابطين والعرب وتزعم قبائل، الدوبسات، تاكاط، أبناء تيدرارين، ياداس، انحدارها من ذرية بني جاب بن عبد الله وهم حسب البكري ذرية أبي دجانة القاطنين مدينة الأنصاريين قرب القيروان قبل خرابها وانتقالهم منها. والظاهر ان المجموعات التي تذكر انتسابها للأنصار تجمع من السلالات الأنصارية العربية المهاجرة ومن التشكيلات المسوفية من كل - أنصار الصحراوية.

(2) هذا النظم غير جيد السبك، وجله جمع للروايات الشفوية التي تنقصها الدقة التاريخية. وهو يجمع الرواية التقليدية التي تكررها القبائل حول أصولها وفروعها لاسيما في بلاد الحوض من شرقي موريتانيا الحالية.

(3) الأغلال: ذرية الزاهد محمد غلي من مؤسسي مدينة شنقيط في القرن 7هـ ولعله المذكور باسم محمد الشنقيطي الوارد في فهرس زروق. ويشكلون اليوم قبيلة الأغلال المنتشرة في موريتانيا. وهم في الأصل يعرفون بالبكريّن من ذرية الصديق وينتشرون في توات ومنها هاجر بعضهم وسكنوا في بلاد التوارق والسودان، ومنهم الحنوشة المنحدرون من الحنشي العالم القادم من "ترنّي" إلى تيشيت، وهم إخوة الأغلال في شنقيط والحوض.

عنه وذلك ممكن من جهة محمد قل الذي هو أصلهم فإن كثيرا من سرخل ينتسبون إلى الصحابة رضي الله عنهم كثيرا ويمكن أيضا أن يكون المنتسبون إلى أبي بكر رضي الله عنه قوم منهم فغلبت نسبة البعض على نسبة الكل والله تعالى أعْلم.

ومسكنهم شنقيط وهم رؤساؤها وائمة مسجدها الاغلال وكان معهم في سكنى شنقيط السماسيد ثم خرجوا بعد ذلك إلى أطار فسكنوا فيها وبقي ادوعلي والاغلال في شنقيط ثم خرج بعض من إدوعلي فسكنوا في تجكجة ثم خرج منها أيضا بعض من الاغلال إلى البادية وصاروا من أهل البادية الآن والباقون من القبيلتين في شنقيط مازالوا على عادتهم القديمة إلى الآن، وقد حج منهم في الزمن الاول قدر ألفين أو ثلاثة آلاف في وقت واحد ولم يزالوا بعد ذلك يحجون مائة وخمسين أو أربعين أو ثلاثين أو عشرين حتى صار الان الحجاج منهم ثلاثة أو أربعة وعلماءهم لا يحصى عددهم إلى الله تعالى والقبيلتان علويون وبكريون فإدوعل أبناء علي كرم الله وجهه والاغلال أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه. هكذا صححه سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي وغيره كما قيل والله أعْلم[1] .

وقيل لَمْتُونَهْ وضعوا السلاح يوم دسد لاط ومعناه يوم جري السفن وهو موضع بين كيهيدي[2] وبالناب في مُرْتنِ[3] وذلك أن أمير بوسي ويسمونه لامط بوسي وهو من سيبوب دينينكوب وهو وستك دكل الذي حارب فرقلل وجاج جيرف وغلبهما ثم توعد فربال وأهل بوسي ومنهم جوب نايرو معهم ول سيبوب أمير ليتام وأمير لَمْتُونَهْ حينئذ المسمي سيدي بن تقْدّي فهزمهم لامط بوسي ستك دكل وأفناهم وشتت شملهم وفرق جمعهم وممن فني يومئذ جوب باير وانتشر من انتشر منهم في البلاد، ومن يومئذ وضعت لَمْتُونَهْ الاسلحة لفناء الكثير منهم ولعل ستك دكل كان معه سيد ول هيب والد حمي سيد وقد زعم سليمان لام تاك أن الذي طرد سيد الكبير والد كلاج سيد عن رق سيبوب وهي الحرائيث فركانت ملكا لهم وسيبوب هو جد السيد الكبير والله تعالى أعْلم.

---

(1) حول ركب الحاج وتاريخ الحج والصلات مع المشرق العربي راجع:د.حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005.

(2) تحريف: رق هيبه: سهل الأمير هيبة، وهو اليوم ولاية من موريتانيا.

(3) يقصد موريتانيا وكانت وقتها مستعمرة فرنسية.

وقيل أن ستگ دگل الذي هو لامط بوسي هو المغلوب يومئذ وكان ممن معه جوب بيرو ول سيبوب أمير ليتام وسيد ول تگد أمير لَمْتُونَهْ فغلبهم بوسياب وفرقهم وفر قومهم ولكن الأول أقرب للأذهان وأليق بالاعْيان والله تعالى أعْلم.

[ذكر قبائل المغافرة من عرب بني حسّان]

وأما ما مرّ من أمر بكّارْ بن أعْمر قاتل شيوخ العرب كُلّا كأولاد أمبارك إلخ.. فإني أريد الان أن أذكر طرفا من أنساب المغافرة[1] الذين في أرض الصحراء. وقد رأيت من أنسابهم نسخا عديدة ولكن الذي لخصت منها مختصرا ماسأذكره فقط الان إن شاء الله تعالى.

فأقول وبحول الله تعالى وقوته أجول واعْلم أن عبد الله واليتيم أبناء كرّوم بن ملوك ابن بزْكَنّي بن عمران بن عثمان بن مغفر بن اُدَيْ بن حسان بن عبد الله بن جعفر الطيار وقيل أن حسان بن حامد بن عقيل بن معقل بن عبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله هذا والد محمد الطيب والد نغماش والِدُ هيْبَ المعروف ومن عبدالله هذا أولاد عبد الله مطلقا ومن أخيه اليتيم الايتام مطلقا ولملوك أخ يسمي عبد الجبار بن بزْكَنّي والد أحمد بن عبد الجبار الذي من أولاد أحمد. عرب اعروف وهم أولاد بلّهْ بن داوود وفائدة بن داوود ونخل بن داوود ومنصور بن داوود ومن أولاد داوود أيضا عروف بن داوود جد أولاد علوش وأولاد زيد بن داوود وأولاد همي وأولاد يونس وأولاد يطة وأولاد ازعيم الگشرات وقيل أن داوود هذا من أولاد عمران لامن أولاد عبد الجبار كما سياتي والله تعالى أعْلم.

ومن بزْكَنّي البراكنة كلهم ولِبَزْكَنّي أخ يسمي هدّاج الذي منه الترارزة[2]

---

(1) المغافِرة: ذرية مغفر بن أودي بن حسّان بن عاقل بن معقل الجد الجامع لقبائل معقل العربية التي جاءت مع الهجرة الهلالية وانزاحت نحو المغرب فالصحراء منذ ق8هـ.، هم عدة قبائل انتشرت في البلاد الموريتانية، وأسست بها إمارات ورئاسات ذات شوكة. أهم كتاب حول أنسابهم وتاريخهم: محمد صالح بن عبد الوهّاب العياسي الناصْري الولاتي ت1271هـ: **الحَسْوةُ البيْسانِيَةُ في علم الأنساب الحسّانيّة**، مخطوط لدينا نسخة أصلية منه ونسخة مرقونة مقارنة بجهد حفيد المؤلف المرحوم الحسن بن صالح بن الرشيد.

(2) الترارزة: ذرية ترّوز بن بركني بن هداج، وتروز أخو بركني، وقد تأسست إمارة الترارزة في جنوب غرب موريتانيا في عهد الأمير علي شندورة سنة 1721 ودخلت في صراعات أهلية مع 1778 وظلت شبه متماسكة إلى الغزو الفرنسي سنة 1903. وكان منها أمراء عظام مثل محمد الحبيب وابنه سيدي.

وقيل أيضا أن هداج من ولد بزْكَنّيي لا من ولد عمران وقيل أيضا أن بزْكَنّي بن هداج بن عمران والله تعالى أعْلم وأما عثمان بن مغفر فهو جد المغافرة الذين هم عند الصحراء والمعروف منهم يحيى بن عثمان جد أولاد يحيى بن عثمان المقيمين بآدرار ومن أولاد عثمان هذا عمران بن عثمان والد داوود بن عمران جد أولاد بلّهْ وأولاد علوش المقيمين بتيشيت وولاتَهْ كما قيل أيضا ومن أولاد عثمان عنتر بن عثمان جد أولاد الناصر ورحّال بن عثمان أيضا جد الرّحاحِله[1] ومن أولاد عمران بن عثمان أيضا الفحفح بن عثمان جد أولاد الغويز وأولاد امبارك ومن أولاد عثمان محمد بن عثمان والرميث بن عثمان وقيل أن محمد بن عثمان هذا هو والد الفحفاح بن محمد والد الغويز بن الفحفاح وامبارك بن الفحفاح والله تعالى أعْلم. وقيل إن تروز بن هداج بن محمد بن عثمان هذا والله تعالى أعْلم. وأما أُدَيْ فمن ذريته الودايا الذين هم بين مراكش وفاس وقال محمد بن أحمد يورهْ لا أدري اسم جدهم ومن ذرية أُدَيْ أيضا ارزك بن أُدَيْ ومرزوك بن أُدَيْ ومن ذرية رزگ عايد الذي منه أولاد عايد ومن ذريته أيضا جعفر بن رزگ ومنه الجعافرة ومن ذريته أيضا سكون بن رزگ ومنه أسْكَاكْنَ ومن ذريته أيضا ياسين بن رزگ وعقابة بن رزگ ورحمون بن رزگ جد الرحامنه ومنهم أيضا المختار بن رزگ قبيلة بالغرب وارحامن القاطنون بالغرب عرب مكناس وأحوازها ومنهم الزبيرات بالصحراء يقال لهم عرب أرْگيطه ولأُدَيْ المتقدم أخ يسمي دُلَيْم[2] والد ذْرع وشْنان وشويخ وأولاد المولات ودُليْم أخو أُدَيْ أبناء حسان وإنما فضلوا بنى أُدَيْ لان أمهم هلالية من بنى هلال وأم دُليْم كانت تخدم حسّان وتزوجها سرا علي زوجته الهلالية وكانت قصيرة ويسمونها دليْماء فولدت دُليْما والدُليْم في لغة البربر القصير فكبر وهو ينكره ليلا

---

(1) المعروف أن قبيلة الرحاحلة هم ذرية رحال بن ارميث بن مغفر.

(2) أولاد دليم: ذرية دُليْم بن حسّان بن محتار بن معقل، يشكلون الفرع الرئيس الثاني من عرب بني حسّان، وينتشرون في الشمال الغربي للصحراء الأطلسية، وهم فصائل محاربة ظلت ندا لبني عمومتها من المغافرة ثم لقبائل الشوكة على مر العهود: راجع حول أنسابهم ورئاستهم الحربية: محمد صالح الناصري الولاتي: الْحُسْوة الْبيْسانيّة، مصدر سابق الذكر.

يغير خاطر زوجته الهلالية فلما شب ظهرت شجاعته ونجدته ومما يدل على ذلك أنهم أرتحلوا وبقيت أمهم الهلالية وبنوها ومعهم دُلَيْم فبينما هي تصلح هودجها اذ هجم عليها العدو ففر عنها بنوها وبقي دُلَيْم يقاتلهم حتى استخلصها منهم وقتل رجالا منهم فلما نزلوا جعلوا يتغدون فأرادت أن تقدم بنيها وتؤخره كما كانت تفعل قال لها والله لا أقدم عليه أحدا منهم وقد فروا عنك فمن يومئذ أقر بوالادة أمه منه فقال ياسوأتاه كتمت ولادتي إياه، هكذا ذكره محمد اليدالي[1] . وأما نسب أبناء عبدالله فقد حسبه محمد اليدالي رضي الله تعالى عنه في قصيدته التي يمدح بها أحمد بن هيبة البرْكَنّي وهي هذه:

قضت حكمة الجبار بالفتح والنصر ... لأولاد أم العز بالعز والظفر
من أختصهم رب الورى بين مغفر ... ببذل الندى والعقل والحلم والصبر
وإرْث العلى والمجد والعز أحمد ... ببذل الندى عن هيْبَ معجزة العصر
وذلك عن نغماش مأمن خائف ... وذلك عن محمد الطيب الذكر
وذلك عن عبد الله قسورة العدى ... وعبدالله عن كروم ء ابائك الغر
وكروم عن ملّوك حلية أهله ... وملوك عن برْكَنّي واسطة الدهر
عن عمران عن عثمان عن مغفر العلي ... عن الدي عن حسان حُلّيتَ بالفخر
سلالة عبد الله وهو ابن جعفر ... شهيد العلي الطيار ذو الفتكة البكْر
هم العرب العرباء من سر هاشم ... صميم قريش ينتمون إلي فهر
وذا نسب ينميه بعضهموا له ... كما لا بن خلدون الولى العالم الحبر
وفي فضلهم جاءت أحاُديْث جمة ... عن أفضل خلق الواحد الصمد البر

وهو أحمد بن هيبة بن نغماش بن محمد الطيب بن عبدالله بن كروم بن **ملوك بن برْكَنّي بن عمران بن عثمان بن مغفر بن أُدَيْ بن حسان بن عبد الله بن جعفر الطيار وقيل أن حسان بن حامد بن عقيل بن معقل بن عبد الله بن جعفر الطيار والله تعالى أعْلم.**

(1) المؤلف ينقل عن نسخة مفقودة من مؤلف لليدالي، لعله تم تغييبه عمدا. والرواية هنا فيها نفَس أسطوري لا يخفى.

وقيل أن بزْكَنّي وتروز أخوان لأب ومن بزْكَنّي البراكِنة وهم وأولاد سيد وأولاد أحمد وأولاد منصور وأولاد هيْبَهْ وأهل يحيى بن عثمان ملوك ءادرار ومن تروز الترارزة كلها. وعن حامد بن سارن تلي عثمان والله تعالى أعْلم أن سبب قيام دولة المغافرة بعد ما كانت للزوايا من قبائل البربر[1] كلمتونة وتجكانت وغيرهم أن رجلا من اللحمة إسمه بُبّهْ[2] كان غنيا جدا فكلف بالزكاة لماشيته فأبى وهرب إلى المغافرة وكانت القوة قد أبتدأت فيهم فمنعوه من الزوايا من قبائل لَمْتُونَهْ ومن معهم فدامت الحرب بينهم أربعين سنة ومن ذلك ظهر أمر المغافرة على الزوايا إلى الآن وقال أن الزوايا قد أمروا عليهم حينئذ أميرا من صلحائهم يسمي ناصر الدين الديماني ويسمي ذلك الشرّ شرّبُبّهْ[3] فما زالوا يؤرخون إلى الآن لشهرته والله تعالى أعْلم. قلت والظن أن قيام دولتهم كان قبل ذلك والله تعالى أعْلم.

وفي كتاب محمد بن أحمد يورة الديماني[4] بعد ذكر ما ذكر من أنسابهم: "هذا ما وصل إليّ من نسبهم والعلم عند الله ودخلوا هذه البلاد وتغلبوا عليها وعلى من كانوا هم حولها من السوادين عام 1020هـ **كش**[5] حين تحارب أو لاد رزگ المتغلبين قبلهم واختلفت كلمتهم وضعفوا كما هو الشان ولله الامر من قبل ومن

---

(1) يقصد صنهاجة الذين أسسوا دولة المرابطين ثم انقسموا على إمارات كبرى واجهت الزحف الحسّاني منذ ق8هـ.

(2) هناك خلط بين حرب **شرّ بُبّهِ الكبرى** (ق8-9هـ/13-14م) بين قبائل بني حسّان بقيادة أولاد النّاصِر، وهي الحرب الرئيسة المنسوبة إلى بُبّا وهو لقب ملوك لمتونة من دولة البدوكلْ ودامت عشرات السنين وانتهت بانتصار أولاد الناصر وبني عمومتهم من عرب بني حسّان على قبائل صنهاجة الصحراء وتسمى أيضا حرب "شرّ بُبّاتْ"!، أما حرب شرّ بُبّه الثانية "الصغرى" فهي التي يذكرها المؤلف هنا وقد حدثت في أواخر ق17م في أقصى جنوب غربي موريتانيا.

(3) حركة ناصر الدين (أو شرّ ببّ الثانية) هي جزء من حركات الزوايا البارزة التي عرفها المغرب والصحراء بعد سقوط دولة السعديين وقبل تمركز العلويين.ومنها حركة ناصر الدين في الصحراء، الدلائيون والحاحيون والسملاليون في المغرب.

(4) راجع: ابن أحمد يورة العاقلي الديماني: إخبار الأحبار بأخبار الآبار، تحقيق أحمد ولد الحسن، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط، 1992، صص 21-22 .

(5) كش: بحساب الجمل 1020هـ.

بعـد"، إلـى أن قـال:" وأولاد أم العـز مـن البـراكنة يطلـق علـى أولاد نغمـاش وأولاد الـسيد وأولاد المخـتار وأولاد أبـيش لأن أمهـم أسـمها أم العـز الفحفاحـية وأبـوهم محمد بن عبدالله بن كروم البرْكَنّي ومن بني تروز أحمد بن دمان وإخوته أبناء دامان وهـم الساس وعتام وعبّلّهْ وزنّون وءاگمتّار وامْحيمدات. ومن أحمد بن دامان هذا ملوك الترارزه الذين يتسرولون بسروال أبيض وأول من تسرول منهم بالابيض اعْلي شنظورة الذي غلبه بنوا عمه أولاد نغماش فاستعان بأمير فاس مولاي اسماعيل فأ عطاه جيشا وسروالا أبيض فقاتل أعداءه وغلبهم وسكن ذلك الجيش معه وصار يقال لهم حلة اعْلي شنذورة[1] إلى الان، ثم التزم التسرؤل بالأبيض فتوارثه الملوك من بنيه إلى الآن وأحمد بن دامان هذا هو والد هدّي والد أعْمر اكجيّل بن هدّي وهو أيضا والد اعْلي شنذورة بن هدي والد أعْمر ولّ اعْلي شنذورة والشرغي بن اعْلي شنذورة قد مكث اعْلي هذا في الملك 25 سنة وملك أعْمر آگجيل 19 سنة وملك أعْمر بن اعْلي شنذورة 31 سنة وقد ملك مختار بن أعْمر هذا تسع سنين ثم اعْلي الكوري ولأعْمر هذا أيضا قد ملك 21 وقد ملك محمد بن اعْلي الكوري 15 سنة ثم ملك أعْمر بن المختار بن الشرغي بن اعلي شنذور 33 سنة ثم ابنه محمد الحبيب قد ملك 53 ثم قتل وهو أول مقتول من ملوكهم وقد قتل عام 1277 ثم ملك ابنه سيدي الملك العادل 11 سنة ثم أحمد سالم بن محمد الحبيب ملك سنة واحدة ثم عل بن محمد الحبيب 13 سنة ثم عمر سالم بن محمد الحبيب 5 سنة وقد تملك عام 1354 ثم أحمد سالم بن اعلي بن محمد الحبيب قد ملك 15 سنة فقتله ابن عمه أحمد بن محمد فال بن سيد بن محمد الحبيب وكان يضاف إلى مرضعته فيقال له أحمد الدّيْد فدخل فرانس[2] في أرضهم وصار الملك لهم.

ومن الساس ملوك أولاد داما ويطلق لفظ أولاد داما على بني ساس وبني عتام وبني زنون وهم في مشرق أرضهم وأما بنو عبّلّهْ فيقال لهم هل عبّلّه كما

(1) لا أساس لهذا الرأي لأن الجيش الذي جاء مع اعلي شندورة، هو فصائل محاربة من قبائل "تكِنه" البيضانية المنتشرة حول وادي نون بالمغرب، وقد انتقلت للصحراء مع قبائل عربية مغفرية مثل الرحاحلة ولبّيدات، وانتصر بهم اعلي شندورة على خصومه من البراكنة.

(2) يقصد الفرنسيين الذي جاؤوا مستعمرين وغازين للبلاد ابتداءا من 1898 ثم احتلوها رسميا سنة 1903م.

يقال هل آكمتار وهل محيمدات وهم مع أولاد أحمد بن دامان الذين جمعوا ملك الكل وهم في مغرب أرضهم ولكني لم أعرف اتصال نسبهم إلى تروز والله تعالى أعْلم.

هكذا أخبرني حامد ابن سارن تلى عثمان والله تعالى أعْلم بحقيقته. وفي *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*(1) تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي(2) نزيل القاهرة حفظه الله تعالى في ترجمة عبد الله بن محمد العلوي وكان يعني عبد الله بن محمد العلوي المذكور حبيبا للأمير المؤمنين مولاي إسماعيل وكان له صديق من الترارزة اسمه اعْلي شنذوره جدّ محمد لحْبيب الأمير المشهور وكان تضطهده أبناء رزگ لشوكتهم في ذلك العصر فأخذه مرة وتوجه به إلى مكناسة الزيتون حرسها الله ولما قدماها ونزلا عند المولى إسماعيل أكرمهما وقال سيدي محمد العالم يرحب بهما.

مكناسة الزيتون فخرا أصبحت ... تزهو وترفل في ملاء أخضر
فرحا بعبد الله نجل محمد ... قاضي القضاة ومن ذآبة مغفر

ثم ذكر للسلطان صولة ابناء رزگ في أرض القبلة فأمدهما بمحلة كبيرة وأمّر عليها اعْلي شنذوره فسار بها إلى أن وصل أرض القبلة فأباد أبناء رزگ ولم يبق إلا مواليهم من ذلك الوقت أنتهى الكلام المتعلق بهذا المحل من الكتاب المذكور(3) .

وفي *الاستقصا* في الخبر عن بني معقل عرب الصحراء(4): "وأما أنسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة والنسابون من بني هلال يعدونهم من بطونهم وهو غير صحيح وهم أعني بني معقل يزعمون أن نسبهم في أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضا بصحيح لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادُيَة

(1) طبع بالقاهرة أول مرة سنة 1329هـ/1911م بعناية مكتبة الخانجي.

(2) نزيل القاهرة المتوفي سنة 1331هـ/1913م. ترجمته في مقدمة الطبعة الرابعة من الوسيط سنة 1989م.

(3) راجع: الشنقيطي: الوسيط... ، صص 1-2.

(4) نقلا عن ابن خلدون: العرب..ج6، صص 69..

ونجعة هكذا ذكر ابن خلدون لكنه لما تكلم على جهينة إحدى بطون قضاعة وذكر أنهم نزلوا بلاد الصعيد وملؤوها قال ونزل معهم في تلك المواطن من أسوان إلى قوص بنوا جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة وأخرجوهم منها فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافرة ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة انتهى كلامه. فعلى هذا لايبعد أن تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا من أرض الصعيد ودخلوا مع بني هلال إلى بلاد المغرب وأوطنوا صحراءه وهم بنو معقل المذكورون والناس مصدقون في أنسابهم والله تعالى أعْلم بحقائق الأمور. ثم قال ابن خلدون والصحيح والله تعالى أعْلم من أمرهم أنهم من عرب اليمن فإن في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهما معقل ذكرهما ابن الكلبي وغيره إلخ . وفي *يسر الناظرين في شرح روضة النسرين* المنسوب للساحلي تنبيه اعْلم أن المغافرة قديما وحديثا ينتسبون لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لكن قال ابن خلدون في تاريخه أن ذلك ليس بصحيح يعني انتساب أولاد حسان لجعفر ثم نسبهم فقال حسان بن عقيل بن معقل ثم وقف لكن مع جزمه أنهم من عرب اليمن يعني قحطان واستظهر أنهم من قضاعة.

فعلى هذا يكون أولاد حسّان وإدَوْعِيشْ من حمير لأن إدَوْعِيشْ لَمْتُونَهْ ولَمْتُونَهْ من حمير هذا ما عليه جمهور أهل التاريخ ما عدى *الحلل الموشية في التواريخ المراكشية* فإنه جعل لَمْتُونَهْ من البربر بن حام والبربر أخو القبط قبيلة فرعون أخو السودان قال الناظم .

القبط والبربر والسودان   أولاد حام ذلك البيان

إلى أن قال وقد ترجم ابن خلدون بني حسان بقوله[1] : " ذوي حسّان عرب سوس يعني أنهم كانوا بسوس فاشتغلوا بالفساد في الأرض فوقعت بينهم وبين أمراء ذلك الوقت حروب فأجلوهم عن السوس إلى تخوم الصحراء. انتهى المراد منه . وحيث ورد ذكر الولي سيدي محمد الكُنْتي الذي منه الكُنْتيون اليوم الذين في

(1) ابن خلدون: العرب... ج6/69-70 طبعة دار الفكر، بيروت، 1399هـ/1979م.

الحوض وفي التگانت وغيرهما نذكر طرفا من أمرهم وفي *الطرائف والتلائد* للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكُنْتي رضي الله عنهم[1] : وأما كُنَاتَةُ[2] فلم يدخلوا تحت ولاية سلطان من زمن عقبة المستجاب إلى يومنا هذا ولا يدخلون تحت ولايته آخر الأبد وإنما هم زوايا من لم يكن منهم في شغل بطلب العلم كان في شغل بطلب معاشه من ركوب الأسفار واقتحام الأخطار.

وفي *النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة* فرانصة للشيخ سعد بُوه[3] رضي الله تعالى عنه في معرض ذم بعض الزوايا الذين صاروا من أهل السلاح:[4] "ومن ذلك كناتة بلغني أنهم حملوا السلاح لدفع التوارگ عن حريمهم فئال أمرهم إلى حرب تجَكانَتْ وآل سيدي محمود وإلى الحرابة المشهورة في ذريتهم نسأل الله تعالى السلامة". وفي *الطرائف* أيضا أن الشيخ سيدي المختار ولد سنة اثنين وأربعين بعد المائة والألف قلت وهو عام بَمْقَشٍ[5] وفيها أيضا أن الشيخ سيدي المختار توفي يوم الأربعاء خامس شهر جمادَيْ الأولى سنة ست وعشرين بعد المائتين والألف عن أربع وثمانين سنة قلت أيضا وهو عام وَكْرَشٍ[6] وفيه أيضا من ذكر نسب الشيخ سيدي المختار رضي الله عنه أنه الشيخ سيدي المختار بن أحمد ابن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيدي عمر الشيخ بن الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكُنْتي بن سيدي اعلي بن يحيى بن عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة المستجاب ابن نافع

---

(1) عالم وشيخ درسة كبرى ت1242هـ وهو ابن الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير المشهور.

(2) يقصد قبيلة كُنْتَهْ!

(3) الشيخ سعدبوه (سعد أبيه) بن الشيخ محمد فاضل القلقمي ت 1917: من كبار المصلحين والأعيان، انتقل من مسقط رأسه بلاد الحوض إلى غرب البلاد واشترك مع صديقه الشيخ سيديّهْ بابه في خطة استدعاء الفرنسيين لرد النهب والسلب عن البلاد وقتها حسب رأيهم.

(4) كان الشيخ سعد أبيه ينتقد نزعة حمل السلاح في البلاد السائبة التي لاسلطان بها ويعتبره مقدمة للتحول إلى حرفة مناقضة لقيم العلم والدين.

(5) بحساب الجمل يوافق: 1242هـ/1729م.

(6) بحساب الجمل: 1226هـ/1811م.

فاتح إفريقية والغرب والمغرب الأقصى وبلاد التَكْرور خليفة عن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه وفيه أيضا وأما الشيخة يعني أمه صاحبة الشيخ سيدي المختار الكُنْتي رضي الله عنهم فاسمها عائشة بنت سيدي المختار بن سيدي الأمين الأزرق بن أحمد بن محمد ابن سيدي أحمد بن الحاج أبي بكر بن الشيخ سيدي أحمد البكاي المذكور في نسب الشيخ آنفا رضي الله عنهم انتهى. وفي *كتاب المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف *بالمسالك والممالك* تأليف الشيخ أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري رضي الله عنه[1] :" ثم المصاقبون أي المقاربون لبلاد السودان بنو چدالة هم آخر الإسلام خطة وأقرب السودان منهم صنغانة بين آخر بلادهم وبينها مسيرة ستة أيام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل وعمارتها متصلة إلى البحر المحيط ويلي مدينة صنغانة فيما بين المغرب والقبلة على النيل مدينة تَكْرور أهلها سودان مسلمون وكانوا على ماساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم وأرجابي بن ربيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليه وحقق بصائرهم فيها وتوفى وأرجابي سنة أثنتين وثلاثين واربعمائة فأهل تَكْرور اليوم مسلمون وتسير من تَكْرور إلى مدينة سلى وهي مدينة على شاطئ النيل أيضا وأهلها مسلمون أسلموا على يدي وأرجابي رحمه الله وبين سلي ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين أولهم إلا مسيرة يوم واحد وهم أهل مدينة قلنبوا وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم ملك غانة وتبايع أهل سلى بالذرة والملح وحلق النحاس وأزر لطاف يسمونها الشكاية والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضأن ولا معز وأكثر نباتهم الأبنوس ومنه يحتطبون إلى أن قال ويلي هذه البلاد مدينة قلنبوا بينهما مسيرة يوم على ما تقدم وهي على النيل وأهلها مشركون ويتصل بقلنبوا مدينة ترنغة وهو بلد

(1) البكري: المغرب، طبعة دسلان، إعادة تصوير مكتبة المثنى، بغداد، د.ت: "ذكر الطريق من درعة إلى غانة".

عريض وعندهم تصنع الأزر المسمى بالشكيات التي تقدم ذكرها وهي أربعة أشبار في مثلها إلى أن قال وحكم أهل هذه البلاد والمذكور قبلها من بلاد السودان أن يخير صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله وحكمهم في الزاني أن يسلخ من جلده انتهى. ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان إلى بلد زافنوا وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب رأسه كرأس زافقو زافنو وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب رأسه كرأس البختي وهو في مغارة بالمفازة وعلى فم المغارة عريش وأحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحرّ المتاع على ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب وهم إذا ارادوا إخراجها إلى العريش تكلموا كلاما وصفروا صفيرا معلوما فتبرز إليهم وإذا هلك وال من ولاتهم جمعوا كل من يصلح للمملكة وقربوهم إليها وتكلموا بكلام يعلمونه فتدنو الحية منهم فلا تزال تشمهم رجلا رجلا حتى تنكز أي تضرب أحدهم بانفها فإذا نكزته ولت إلى المغارة فيتبعها ذلك المنكوز بأجد ما يقدر عليه من السير ليجذب من ذنبها أو عرفها شعرات فتكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكل شعرة سنة لا يخطيهم ذلك بزعمهم وتليهم بلاد الفرويين على حدتها.

ومن غريب ما فيها بركة يجتمع فيها الماء ينبت فيها نبات أصوله ابلغ شيء في تقوية الباه والعون عليها والملك يمنع منها ولا يصل منها شيء إلى غيره وله من النساء عدد عظيم فإذا أراد أن يطوف عليهن أنذرهن قبل ذلك بيوم ثم استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهن كلهن ولا يكاد ينكسر إلى أن قال ومن الغرائب ببلاد السودان شجرة طويلة دقيقة تسمى تورز تنبت في الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض تصنع منه الثياب والأكسية ولا تؤثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب ولو أوقدت عليه الدهر إلى أن قال أيضا قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني لَمْتُونَهْ إلى أن قال وكان رئيسهم محمد المعروف بِتارْشنّي من أهل الفضل والدين والحج والجهاد وهلك بموضع يقال له قنقارة من بلاد السودان وهم قبيل من

السودان بغربي مدينة بانكلابين إلى أن قال ما معناه وهناك شجر يسمونه تادوموت وهو شجر الأراك إلا أن له ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند تشرب حلاوته حمضة نافع للمحمومين انتهى المراد من ذلك الكتاب والله تعالى أعْلم.

وفي تاريخ الشيخ سيديّهْ بابَهْ:[1] " أما إدَوْعِيشْ فهم من لَمْتُونَهْ صرح به العلامة سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي التجكي استطرادا في مؤلف سماه *يسّر الناظرين*[2] وهو أمر معروف عندهم مشهور فيما بينهم يتوارثون انتحال تلك النسبة كابرا عن كابر وتتركه الأوائل من أجيالهم بأيدي الأواخر مع أنهم يعرفون الآن وفيما سلف من الزمان بأژناگ إسما لهم علما مشهورا لا يجهله أحد يعلم وجودهم وهو بعينه الذي عرف بصنهاج الذي منه لَمْتُونَهْ قال ابن خلدون صنهاج هو صناگ بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والالف فصار صنهاج. ذكره في أوائل الكلام على صنهاجة ورسم صناگ هناك دون ألف قبل الصاد ورسمه أصناگ بالف قبل الصاد قال هذا في أوائل الكلام على من يرجع إليه نسب البربر من الأمم الماضية ثم قال في أوائل الكلام على الطبقة الثالثة من صنهاجة ويعرف هؤلاء باسم صناگة حرفت إليها من اسم صنهاجة واشموا صاده زايا وأبدلوا الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والقاف أو بين الكاف والجيم وهي معربة النطق". انتهى المراد. وهنا مواطن إدَوْعِيشْ منذ قرون أرض تگانت وما يليها من جميع جهاتها. قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في آخر شرحه لنظمه *رشد الغافل*[3] : "تگانت بفتح التاء المثناة الفوقانية فكاف معقودة فألف فنون مكسورة فمثناة فوقانية

(1) الشيخ سيديه بابه: النبذة في تاريخ ادوعيش ومشظوف، نسخة هارون بن بابه. وانظر تحقيق الكتاب بعنوان "إمارتا إدوعيش ومشظوف، تحقيق إزيد بيه بن محمد محمود، ط.2، نواقشوط، 1415هـ/1994م، صص 96-وما يليها.

(2) مخطوط معهد البحث بنواقشوط، ورقة1 و2.

(3) مخطوط بخزانة حفيد المؤلف بانواقشوط.

ساكنة كلمة بربرية معناها الغابة وفي كلام ابنه[1] الشيخ سيدي محمد رحمهما الله تعالى ما يدل على أن المغافرة انتصروا على صنهاجة في هذه البلاد بعد حين من دولة صنهاجة بها وفي دولة بكّارْ بن أعْمر وابنه محمد شين هبت ريح دولة إدَوْعِيشْ وأن الشيخ سيدي المختار لقيهما فتشبثا به لذلك والشيخ المختار توفي يوم الأربعاء خامس جمادَيْ الأولى سنة ست وعشرين بعد المائتين والألف كما قاله ابنه في كتابه *الطرائف والتلائد* وقد اشتهر في زمان محمد شين تألب المغافرة كلا أوجلا على إدَوْعِيشْ وحصروهم عند لحنيكات بالقرب من تجكجة وطال الحصار حتى أكلت الإبل شملها من شدة الجدب ثم افرجوا عنهم على أربعين فرسا يدفعها لهم إدَوْعِيشْ ثم افترقت المغافرة بعدها افتراقا لم يجتمعوا بعده وصار إدَوْعِيشْ يغزون كل قبيلة من المغافرة على حدتها فينتصرون عليها حتى افترقت كلمة إدَوْعِيشْ وتنازعوا وفي القرآن "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" وآخر أمير يجتمعون عليه حقيقة محمد ابن امحمد شين ابن بكّارْ بن أعْمر بن محمد خون وهو من أفضل شيوخ العرب واعدلهم واعظمهم ملكا وأشدهم صولة تنازعه أعمامه الرئاسة فانتصر عليهم بعد حروب وجرت بينه وبين قبائل المغافرة أولاد امبارك والبراكنة والترارزة وغيرهم حروب كان النصر له فيها غالبا إلى أن قال وكان عالمه المطاع عنده الذي هو أكبر علماء أرضه أولهم وآخرهم العلامة المحقق في جميع فنون العلم المؤلف في جلها التآليف النفيسة حديثا وأصولا وبيانا وغيرها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم من إدوعلي تجكجه وهي بفوقية مكسورة فجيمين الأولى مكسورة والثانية ساكنة وكاف معقودة ومعناها بلسان ژناگة بيرُ البقر قاله سيدي عبد الله المذكور في أول مؤلف له أسمه *نيل النجاح*، حج ودخل فاس وقرأ العلم بها على الشيخ العلامة الإمام المحقق البارع أبي عبد الله محمد بن الحسن البناني الفاسي المشهور الفقيه صاحب التآليف الحسان مثل حاشيته البديعة على

---

(1) يقصد الشيخ سيدي المختار الكنتي وابنه هو المذكور الشيخ سيدي محمد الخليفة الكنتي.

شرح الشيخ عبد الباقي الزرقاني على مختصر خليل توفي البناني رحمه الله تعالى أواخر ربيع الثاني سنة أربع وتسعين ومائة وألف كما في *الاستقصا* ولازمه سنين وفي كتاب *الوسيط* أنه توفي في حدود الثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى.

"حدّثني[1] السيد الفقيه محمد فال الكور بن أغلال الغلاوي المقدمي رحمه الله تعالى منذ زمان وهو شيخ كبير أن أهل الابار من الزّوايا لم يعطوا ذراعا من الخنط في المدارات لاحد من أهل تكّانت إلا بعد يوم انودن وهو أول أيام الحرب بين أهل تكّانت بعد موت محمد بن امحمد شين وهذا أمر لا يستغربه إلا من عرف الأحوال بعد ذلك ولم يحضر ني الآن تاريخ موته ولكنه بعد صدر من القرن الثالث عشر وسبب موته كان بقربه شيء من البارود فاشتعل فيه فكان فيه حتفه وقد أداخ العرب ولسان حاله ينشد:

إذا تـــم شـــيء بـــدا نقـــصه توقـــع زوالا إذا قـــيل تـــم

ودفن عند اصْبَيْبِيرَ من لجام تكّانت رحمه الله تعالى وكان موصوفا بالعقل والحكمة وتؤثر عنه من ذلك مقالات إلى أن قال ومنها أنه كان إذا رأى أحمد محمود بن المختار بن لَمْحَيْمِيدْ شيخ مشظوف وهو إذ ذاك صبي يقول ما أكرهني بهذا الرأس الكبير ما ذا فيه من السعد، كما أظهره الوجود بعد وكان يحسن القيام على ماله ولا يبذره ويبالغ في ذلك حتى عيره هو وقومه به المغافرة ونسبوهم إلى اللحمة وكان رؤساء المغافرة لا يقتنون المال ويعيبون من فعله وإنما عيشهم مغارم اللحمة والسودان والنهب ونحو ذلك إلى أن قال ولما مات محمد انفتح على إدَوْعِيشْ بل وعلى غيرهم من أهل تكّانت باب الفتن الذي كان قفله فتنازع إلرئاسة ابنه إسويد احمد بن محمد وأعمامه المختار واعْلي وغيرهما بنو محمد شين واشتعلت الحروب بين إدَوْعِيشْ وصارا طائفتين تسمى شيعة إسويد احمد وأخوته وبنيه إلى الآن أبكاك وشيعة عمه المختار واخوته وبنيه إلى الآن اشْراتيت تنابزا

---

(1) الضمير راجع إلى الشيخ سيديه بابه صاحب النبذة التي ينقل منها المؤلف هنا: راجع: 134-135.

بالألقاب من الطائفتين يعيّر أبكاكْ إشراتيت بالظلم والسيبة فيشبهونهم بالسباع المعروفة وتعير اشراتيت أبكاك بأن الحرب أجاءتهم إلى أكل نوع ردي من العلك وقد كان آل سيد محمود من إدوالحاج عبد الله ابن سيد محمود وأخوته وشيعتهم وكنته قبل موت محمد متعادُيْن وكان ميل أخيه محمد إلى آل سيد محمود وميل ابنه أسويد أحمد إلى كُنْته وكان محمد يمنع وقوع الحرب ما دام حيا فبنفس موته ظهر ماكان مستورا وأمكن ما كان ممنوعا فانضم كل طائفتي إدَوْعِيشْ إلى من كانت تهواه وتميل إليه ولم تزل الحروب عائمة مستمرة وربما تقع خلالها سلم حتى صبحتهم الدولة الفرنساوية فعرض الأمر للأمر وشغل زيد عن عمرو. في تلك الحروب صار كثير من إدَوْعِيشْ شيعة لأهل سيد محمود وقطع النظر عن أبناء محمد شين بحيث صار جيشا ورعية لآل سيد محمود يحارب من حاربوا ويسالم من سالموا ولو آل محمد شين وكان ابتداء تلك الهجرة قبل موت محمد وقبل موت سيد محمود لكن إنما كان استفحالها بعدهما فصارت إدَوْعِيشْ بذلك ثلاث طوائف أكثرها شيعة آل سيد محمود واستمر الحال على ذلك إلى هذا العهد وكانوا قبل افتراق كلمتهم من أعظم جيوش هذه البلاد وأكثرهم خيلا ومما يدل على ذلك أن هذه الطوائف الثلاث صارت كل واحدة منهن جيشا على حدتها وقبيلة على حدتها تحارب وتسالم وتجنب الخيل غازية إلى قبائل العرب ولها مملكة مستقلة حتى دخلت عليهم دولة فرانسا وهم على ذلك ومع ماوقع من فساد ذات بينهم وكثرة الحروب فيما بينهم وفيما بين كل طائفة منهم وبين أمة أخرى من سائر الناس أزمنة متطاولة قد أدركت منهم الفرانسة ستة آلاف راجل في فرقهم الثلاث ونحو ألف فارس ولولا جلاؤهم عن الفرانسيس إلى أرض آدرار لما تغير حالهم كبير تغير"[1] . قال السيوطي في *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة* حكي أن المأمون لما دخل مصر قال قبح الله فرعون إذ قال أليس لي ملك مصر فلو رأى

---

(1) الشيخ سيديه: النبذة، مصدر سابق: 146-150.

العراق فقال له سعيد بن عفير لا تقل هذا يا أمير المؤمنين فإن الله تعالى قال "ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" فما ظنك بشيء دمره الله هذه بقيته فقال ما قصرت يا سعيد انتهى المراد منه. ثم بعد مدة في الحرب بين اشويد احمد واعمامه توفي المختار بن محمد شين وهو الذي كان يسامي محمدا من اخوته بل هو وبكّارْ بن إسويد احمد أجود أمراء قومهم فشيخ جل إدَوْعِيشْ إسويد احمد ثم قتل غدرا على يد عبد لآل المختار بني عمه يقال له دمب أخبرني العالم المتفنن محمد محمود بن عبد الفتاح الأبييري رحمه الله تعالى أنه حضر ذلك وهو شاب قال وهو حينئذ قد تم له الأمر فلم يفجأ الناس إلا صوت العمارة فيه ليلا وهو في بيته فكان الحال تنشد:

ياراقـــد الليـــل انتـــبه	إن الخطـــوب لهـــا ســـرى
ثقـــة الفتـــى مـــن نفـــسه	ثقـــة محللـــة العـــرى

ودفن عند انوار من أقّام لُدَيّات[1] من أرض تكانت وهو الأسد الباسل والفارس البصير في طعن المقاتل ومن المتواتر عنه وذكر شاعره في شعره الحساني أنه جرح مرة بضعة عشر جرحا فأصبح مرتحلا محمولا على الأيدي صائلا على أعدائه ثم بعد موته عادت الحرب جذعة وشيخ أبكاك أخاه سليمان بن محمد ثم قتله ابن أخيه محمد بن إسويد احمد في اللعب على الخيل إما عمدا وإما خطأ ثم صار ابكاك طائفتين إحداهما مع أبناء إسويد احمد محمد وبكّارْ والمختار وعال والأخرى مع عميهم عبد الله بن محمد وأخيه عبد الرحمن ثم قتل محمد بن إسويد احمد قتله رجل من كنته كان معه فجرى بينهما شيء أغضبه ثم آل الأمر إلى شياخة بكّارْ بن اسويد احمد بن أبكاك جميعا بل ربما شيخه عامة إدَوْعِيشْ في بعض الأحيان شياخة غير حقيقية وهو أهل لها لعقله وسياسته وكرمه وعزمه وشجاعته ورمايته فلو أراد الله اتفاق كلمة إدَوْعِيشْ لكان عليه، لكنه شيخ ضيعه قومه فما زالت الحروب دائمة عليه منهم وقتل فيها بعض أولاده وربما أرادوا غدره ومع

(1) تفصيحه: أبواب الوديان.

ذلك فقد طالت إمارته حتى فني أقرانه ولم يبق له نظير في رؤساء الأرض وله حروب كثيرة مع أشراتيت وأهل سيد محمود وحروب مع الْبَراكِنة سيد اعْلي بن أحمد ومحمد بن هيْبَهْ ومن حروبه حربه مع الترارزة في إمارة اعْلي بن محمد الحبيب إلى أن قال وحربه عظيمة مع مشظوف عند أگمّونْ في إمارة احمد محمود بن المختار ابن لمحيميد ومع بكّارْ أشراتيت وأولاد الناصر وكنته ومع أحمد محمود أهل سيد محمود ثم افترقوا وارتحل مشظوف راجعين إلى بلادهم حزما من أميرهم ولم يمكن أهل سيد محمود الإبعاد من موضع الوقعة وتفرق عنهم بعض جيشهم راجعا إلى أهله فعلم إدَوْعِيشْ وأولاد الناصر وكنته بغرستهم فرجعوا وأوقعوا بهم وقعة المذْروم انتصروا فيها عليهم إلى أن قال وآخر حروب بكّارْ حربه مع الفرانسيس التي قتل فيها وهو شيخ كبار قد حلب الدهر أشطره ذاق عسره ويسره بأيدي جيش كماند فريريجان[1] في أرض أفلّهْ[2] وكان يتمنى ذلك إلى أن قال وممن يجتمع مع أهل محمد شين في بكّارْ بن أعْمر أهل آگجيّل وأهل سيد احمد ابن بكّارْ وأهل محمد بن بكّارْ وفي أعْمر بن محمد أهل اعْلي بابه وفي محمد بن خونه أهل إسويد وأهل اعْلي بن محمد وأهل محمد بن خونه هم صميم إدَوْعِيشْ وقادتهم والبيت منهم في أهل أعْمر بن امحمد وفي أهل محمد شين ثم في أهل محمد بن امحمد شين ثم في أهل إسويد احمد ابن محمد وسائر القبائل إدَوْعِيشْ"[3] . إلى أن قال: " ومن قبائل إدَوْعِيشْ الكبار أولاد اعْلي انْتونْفه وتعدو قبائلهم كثرة ولكن هاتين القبيلتين أكبرها ومن صنهاجة مشظوف فإنه اسم جد مسوفة إلى أن قال ما معناه ومنهم من يكتبه بالطاء مهملة ففيهم أيضا من يكتبها معجمة على وفق الجاري على الألسنة الآن ولا يخالفه قول تاريخ السودان إن مسوفة هم التوارگ لأن مشظوف والتوارگ لا مانع أن يكونوا جميعا من مسوفة كما

---

(1) من قادة المستعمر الفرنسي الذي احتل موريتانيا.

(2) إقليم في غربي بلاد الحوض شرقي العصابة من شرقي موريتانيا الحالية.

(3) الشيخ سيديه: النبذة،مصدر سابق.

لا يمتنع أيضا أن تكون مسّومَهْ بالميم قبيلة الزوايا المعروفة في تكانت والرقَيْبَهْ وتلك الناحية من مسوفة أيضا ويكون وقع فيها تغيير. "، إلى أن قال[1] : " وبعد كتْبي لهذا رأيت في بعض التقاييد التي طبعها الفرنساويون أن مسُّومهْ من: لَمْتُونَهْ وأنهم أهل تجكانت وإدوالحاج فجدّهما أمْسَمْ جدّ مسُّومهْ. وكانت مواطن مشظوف تگانت وما يواليها حتى أجلاهم منها ما كان ينالهم من إدَوْعِيشْ من أنواع الأذى مع اقتضاء الأتاوات فارتحلوا إلى الحوض في زمان بكّارْ بن أسويد احمد في القرن الثالث عشر فبمجرد احتلالهم الحوض أورثهم الله تعالى الذي بيده الملك ويؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ملك أولاد امبارك في تلك الناحية كلها وغلبوا على من كان فيها من الناس من أستولوا عليه أولاد محمد ومن معهم ومنها يوم أنبيژ على الاغلال. حدثني السيد الفقيه محمد فال الكور بن أغلال شيخ المقدّمين[2] من الأغلال أن الأغلال يبلغون في تلك الحرب أثني عشر ألفا لكن تألب عليهم مع مشظوف أولاد الناصر وغيرهم وحالوا بينهم وبين الماء وانتصروا أيضا على جيش عظيم للحاج عمر السوداني الفوتي عند تاغطافت كما انتصروا في مواطن كثيرة على أولاد الناصر وأشراتيت إلى أن قال وبلغ أميرهم أحمد محمود بن المختار بن لمحَيْمِيد من الملك والعظمة والقوة ما لم يبلغ مثله أحد من أمراء عرب هذه البلاد الصحراوية وبلغ سائر مشظوف من الكثرة وكثرة الخيل والإبل وسائر الماشية ما لم تبلغه قبيلة من قبائل هذه الصحاري إلى أن قال وحدثني الشيخ أحمد بن سليمان الدماني رحمه الله تعالى أنه لقي أحمد محمود قبل خروج مشظوف من تگانت وهو شاب في حياة والده المختار بن المحيْمِيدْ ومخائل ماظهر فيه بعد ذلك لائحة عليه من عزة النفس وإباية الضيم والامتعاض لما يسومهم العرب من الخسف أن الله

---

(1) نفسه:162-165.

(2) يقصد ذرية الشريف سيدي أبي بكر من ذرية موسى الجون الإدريسي، ويعرفون بشرفاء الأغلال لأن جدتهم فاطمة بنت محمد غلّي، وبطونهم: أولاد سيدي ببكر، المقدّمون، الهواشم، وينتشرون في الحوض والقِبْلة وتيرس، ولهم خؤولات في مختلف القبائل: أهل الحاج، أولاد أبييري، الأغلال، ...

يرزق العبد على قدر همته وإذا أراد الله أمرا قدم له أسبابا إلى أن قال وفي آدرار قبيلة أخرى تسمى مشظوف عدادها في أهله والظاهر أنها أيضا من مسوفة ومن صنهاجة كثير ممن في هذه البلاد من الزوايا واللحمة الغارمين أما الزوايا فمنهم من يصرح بتلك النسبة خلفا عن سلف مثل تجكانت وتَنْدَغَهْ وإيجيْجَبَهْ وفي أرض البراكنة قبيلة زوايا أقرب من كيْهيد يقال لها لَمْتُونَهْ لم يفارقها في الماضي والحال كما أن في أرض البراكنة أيضا بالقرب من فدور قبيلة من اللحمة يقال لها في الماضي والحال أگْدالهْ وبعضها في آدرار وحدثني الثقة عن جماعة من أكابر إدوالحاج الشرقيين أنهم من لَمْتُونَهْ ويوافقه ما اعترف به الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكُنْتي[1] أن أولاد الحاج والوتيدات من صنهاجة لكن الشائع عن إدوالحاج الانتساب إلى الأنصار إلى أن قال وكان إدوالحاج أولا في تيشيت ثم خرجوا بعد حرب كانت بينهم وبين ماسنة بتيشيت إلى وادان وإسمه إذ ذاك أنْوالان ومعناه بالبربرية ذو الملاحس التي يأوي إليها الوحش من سباخ اليطرون وهو يومئذ دويرات واخصاص تعمره تيزگّهْ فاستوطنوه زمان دولة ابدوكل.

وأخبرني من يوثق به أن بعضهم الآن في تيشيت وجميع اللحمة يقال لهم أزناگ وتقدم أنه بعينه صنهاجة والمرابط الذي يلقب به كل زاوي ولا سيما إن كان ذا سن أو علم أو فضل قد يكون دليلا على أن أصل الزوايا من صنهاجة لأنهم يسمون بالمرابطين سمى بها مهديهم عبد الله بن ياسين أصحابه الأولين للزومهم رابطته ثم صارت اسما لعامة صنهاجة وتوافقه عبارة الشيخ سيدي محمد حيث يقول أن إدوالحاج قبيلة من قبائل المرابطين انتهى. وبعد كتبي[2] لهذا حدثني عمنا السيد الفاضل العالم العامل سيد محمد بن الداه حفظه الله تعالى أن الشيخ الكبير الشهير محمد بن محمد سالم رحمه الله تعالى حدثه أن جدهم ابراهيم الأموي كان

---

(1) سيدي محمد الكنتي: الرسالة الغلاّويّة، تحقيق د.حماه الله ولد السالم، منشورات مؤسسة مربيه ربه، الرباط، 2007، صص 215-217.

(2) الشيخ سيديه: النبذة.

قاضي جيش أبي بكر بن عمر اللمتوني وكان مجلسه يسمى مجلس القضاء وبه سميت القبيلة المجلس وكان هو قاضي صنهاجة ثم كانت له زاوية يأوي إليها التائبون الذين يريدون الانقطاع للعلم والعبادة وترك أمر الحرب وحمل السلاح وأنه كان منهم أجداد قبائل من الزوايا فصار يقال لهم الزاوية أي أهل الزاوية ونحو هذا هو معنى ما اشتهر أن المجلس أصل الزوايا. وفي كتاب *شيم الزوايا* يقال لهم مجلس العلم وأنهم أصل الزوايا[1] .

ومما يدل على أن أصل كثير من الزوايا واللحمة صنهاجة أنها أول جيل من البيضان في هذه البلاد وأكثره بل لم يتحقق دخول طائفة عظيمة من البيضان سواهم لها دخول استقرار وتملك إلا حسّان بعدهم بأزمنة ولم ينتحل النسبة إليهم أحد من قبائل الزوايا إلا قليل ولم تزل لغة المغافرة العربية المغيّرة إلى الآن وجميع قبائل الزوايا وإِدَوْعِيشْ كانوا يتكلمون بالبربرية الصنهاجية وهو متواتر أو قريب منه وكثير من الزوايا يتكلم بها الآن وإن كان يتكلم بالحسانية معها وبلغني أن من أعظم ما يميز به الآن بين قبائل البربر وبين قبائل العرب في الغرب اللغة فمن كانت لغته البربرية فذلك أظهر دليل على أنه من البربر ومن كانت لغته العربية الوقتية فذلك أظهر دليل على أنه من العرب وممن يصرح الأكابر بأن أصله من صنهاجة من قبائل اللحمة على الخصوص إرالن الذين بعضهم في البراكنة وبعضهم في الترارزة ومنه آرويجات وغيرهم وفي شرح الشيخ محمد بن سعيد اليدالي رحمه الله تعالى لقصيدته التي مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم التي أولها صلاة ربي مع السلام على حبيبي خير الأنام، أن رهط ناصر الدين إمام الزوايا في شربب قيل أنه من لَمْتُونَهْ وانظر إن كان نسب رهط ناصر الدين متصلا بنسب إدابهم المتصل بنسب أولاد ديمان جميعا من لَمْتُونَهْ كما بلغني أن بعض أكابر أولاد ديمان يقول أنهم من لَمْتُونَهْ هل مقابل هذا القيل ما يوجد بأيدي بعض أولاد ديمان من رفع نسبهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أو ما في ابن خلدون من ذكر بني ديمان في

---

(1) الشيخ سيديه: نفسه.

بطون مكلاتة التي هي من بطون نفزاوة ويقال أن أصل مكلاتة من عرب اليمن وبعد كتبي لهذا *بلغني أن رهط ناصر الدين ليس من نسب إدابهم المتصل بنسب أولاد ديمان أصلا* [1] انتهى.

قال الجامع لهذه الورقات المعروف بشيخ موسى قد كتب لي السيد العلامة محمد بن أحمد الإدابهمي نسب أولاد ديمان إلى سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه[2] وهو هذا محمد بن حمد بن سيد بن محمد بن متيلي بن احمد بن الحسن بن أوبك بن ألفغ موسى بن ألفغ أبياج بن مهنض أمغر بن عامريل ابن علي التونكلي بن يحيى بن علي بن يب بن مغميه بن أبي بكر بن يحيى بن سينب بن إبراهيم بن أبي بكر بن موسى بن عيسى اللمتوني ابن عبد الله بن عمر وبن يحيى بن سعيد بن إدريس بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي انتهى. ومعنى أمغر الشيخ الكبير سنا وهو الجد الجامع لبني ديمان وهو أحد الرجال الخمسة الذي هو معنى تشمس[3] في كلام البربر ومعنى مهنض محمد ومعنى التونكلي المتوكل على الله تعالى انتهى عن محمد بن أحمد الديماني الإدابهمي العاقلي.

وفي تاريخ *الشيخ سيدّيه بابا*[4] وفي بعض التقاييد المنسوبة للشيخ والد بن

---

(1) هذا الكلام ليس بصحيح لأن ناصر الدين ينحدر من قبيلة التونكليين التي ينحدر منها ديمان، انظر الشيخ سيديه: النبذة: 178-181.

(2) الظاهر أن هناك نسبان لبني ديمان والتونكليين عموما: نسب لمتوني من الخؤولة، ونسب عربي بكري، وكلا النسبين له حظه من المنطق التاريخي، على أن الانصهار والهجرة جعلت من التحقق من الأنساب أمرا صعبا.

(3) تشمس أو تشمش: كلمة بربرية مركبة من تاء النسبة، و شمش عدد خمسة، ومعناها: المُخَمّسَة: التي كان في أسلافها التزام المذهب الخامس "الأباضية"، وهو اسم لأسلاف بعيدين كانوا متأثرين بهذا المذهب حين كانوا في المغرب الكبير ، وبقي الاسم للمجموعة القبلية الموريتانية التي تلتزم المذهب المالكي اليوم وتشكل تجمعا مهما من قبائل الزوايا الموريتانية.

(4) الشيخ سيديه: ص 182.

المصطفى رحمه الله تعالى أن تاشدبيت وتاگاط وإدگجمله من لَمْتُونَهْ[1] وقد بلغني أن أهل أجفغ أحمد[2] ينتسبون إلى التوارق وغير ذلك مما يدل على أصالة الصنهاجية في الزوايا واللحمة انتهى. وقد نسب الشيخ سيديّهْ بابَهْ جل أهل البلاد الصحراوية إلى صنهاجة كما رأيت إلا أنه قال بعد قوله وغير ذلك مما يدل على أصالة الصنهاجية في الزوايا واللحمة على أن قبائل من الفريقين ينتسبون إلى غيرها منهم المجلس فإن علماؤهم مثل العلماء المحققين السادة آل محمد سالم يرفعون نسبهم إلى بني أمية في أوائل مؤلفاتهم الحسان ذات التحرير والاتقان ففي أول شرح *قرة الأبصار* للعلامة عبد القادر ما لفظه: أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الحليم الكبير المجلسي المالكي الأشعري عبد القادر بن محمد بن سالم بن محمد سعيد بن محمد بن عمر السيد بن أبي بكر بن علي بن يمغدش ومعناه بالعربية السالم ابن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد يفت ومعناه أخيار بن يذر ومعناه باعجام الذال الحسن وبإهمالها يعيش ابن إبراهيم الأموي وإبراهيم هذا يقال والله تعالى أعْلم أنه من ولد عمر بن عبد العزيز انتهى. ونحوه وغيره من تصانيفهم ويقال أنه كانت للمجلس كثرة وعمارة عظيمة حتى أنه يحكى أن المسافر كان يمكنه أن ينزل على حي من أحيائهم كل مرحلة فيها بين تيرس وگنّار وأن أحوالهم تغيرت قبل شرّ بُبّ[3] بأربعين عاما ويقال أن أصل إدغزينب وأُدَيْلك وإتمدّك منهم. وممن ينتسب إلى غير صنهاجة من الزوايا إدوعلي قال العلامة سيديّ عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام عبد الرحمن العلوي التججكي في أول شرحه *نيل النجاح على غرة الصباح* إن إدوعلي ينتسبون لعلي من ذرية الطاهر بن الطيب بن زكرياء بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قال وقد قال بعض أدباء إدابلحسن فيهم:

---

(1) هذه القبائل أغلبها تجمع حول أسرة أو مؤسس، من ذلك قبيلة تاگاط فهي تجمعت حول نواة أنصارية من نسل القاضي محمد بن زياد القادم مع ابن غانية في القرن السابع، وقبيلة إدگجملة نواتها من أجملان الوارد في نسب الأدارسة.

(2) من أعيان أسر الزوايا من قبيلة تاكنيت، وهذه النسبة غير معروفة في الروايات المتداولة.

(3) يقصد حرب "شرّ بُبّهْ" الثانية التي دارت في جنوب غرب البلاد سنوات 1671-1677م.

بـــنو علـــي ذوو مجـــد ومكـــرمة وسـؤدد قـد علـو بـالعلم أزمانـا
لـم يحذ حذوهمو في المجد غيرهمو ولا أحاشـــي مـــن الأقــوام إنــسانا

انتهى. وقد اشتهر أن إدوعلي والأغلال كانوا كلهم في شنقيط ثم خرج منه من خرج إلى تججگهْ من أرض تگانت إلى القبلهْ من إدوعلي وخرج منه من خرج إلى أرض الحوض وغيرها من الأغلال ويرفع الأغلال نسبهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويعرف أهل هذا القطر الصحراوي في المشرق بالشناچطة إما لأنهم من أكثر أهل هذه البلاد حجّا فصاروا أعرف في تلك البلاد وإما لأن شنچيط من أقدم القرى في هذه البلاد. قال شارح *القاموس* شنقيط بالكسر مدينة من أعمال السوس الأقصى بالمغرب أنتهى[1] . قال الجامع لهذه الورقات المعروف بشيخ موسى وحيث ورد ذكر شنقيط هنا نزيد استطرادا قول الشيخ العلامة الصالح بن عبد الوهاب الحوضي في تأليف له يذكر فيه أسماء البلاد والمواضع وهو قوله: "وكل قرية بصحراء تَكْرور مثل أروان وأبي جبيهة وولاتة وتيشيت ووادان وشنچيط وتججگهْ وتقبهْ وتارنيّ فأهلها من مسوفة أنتهى[2] . وقوله أيضا: " شنچيط اسم قرية بالمغرب الأقصى شمالي بلاد السودان من ناحية تَكْرور[3] معروفة خرج منها جماعة من العلماء والزهاد منهم الحافظ محمد بن المختار بن الاعمش وأحمد بن أحمد بن الحاج والقاضي عبد الله ابن محمد بن حبيب وحافده سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي وابن أخيه سميه سيد عبد الله بن الفقيه سيدي أحمد بن محمد بن القاضي وأحمد بن الخليفة العلويون الشنجيطيون الفقهاء والعلامة عبد الله بن

---

(1) الكلام للشيخ سيديه باب: النبذة، صص 185-189 .

(2) يقصد أن كل هذه المدن أسستها وعمرتها مجموعات من أصول مسوفية صنهاجية، لكن ذلك لا يتناقض مع المساهمة التي قامت بها الجماعات العربية التي أسست تلك المدن تأسيسا ثقافيا ودينيا.

(3) يقصد بلاد التّكْرور: الاصطلاح العام للبلاد الصحراوية والسودانية الإسلامية الذي أطلقه المشارقة على حجاج هذه النواحي ولو كانوا من العرب أو البربر أو الزنوج من مختلف الشعوب. فتأمل!

أحمد بن الحاج حمي الله والطالب محمد بن أبي بكر بن الهاشم تلميذ ابن الاعمش والطالب محمد بن احمد والشيخ أحمد بن الوافي الغلاويون الشنجيطيون الفقهاء وغيرهم". وفي *تاريخ السودان*[1] :" اسمها شنييط بالياء المثناة من تحت بدل الجيم". وهي في لغتنا اليوم بالقاف المعقودة بدل الجيم أو الياء شنقيط وهي المراد بقول الحرمه بن عبد الجليل العلوي فيما كان بينهم وبين كنته :

أتت كنْت شنجيطا يريدون هدمها   فألفوه من إحياء كباد أعسرا

وكباد بفتح الكاف والباء الموحدة المشددة وبعد الألف دال مهملة رجل من أشراف كنته قتله إدوعلي رحمه الله تعالى في تلك الحروب وكان بينهم وبين قومه كنته بسبب قتله ما كان مما يطول ذكره هـ . وقوله أيضا وأروان أرض بصحراء المغرب الأقصى من جهة بلاد السودان هي المراد بقول الشيخ العلامة المختار بن بون الجكن:ي

حدَتْ حُداة بني يحيى بن عثمانا   إبْلي بزيز فزمّور فوارانا

وإنْ بقينا حدَتْها غير خائفة   حداتها بين اذلّيم ودامانا

وكان المختار بن بونهْ هذا من تجاكانت من زاوية المغرب الأقصى المشهورات بالعلم والدين وكان إماما علامة مبرزا في علم العربية وعلم الكلام ولد يد طولى في غيرهما من العلوم وأخذ عنه كثير من مشاهير علماء المغرب الأقصى[2] وهو ناظم الألفية الحمراء الممزوجة بألفية الإمام محمد بن مالك السوداء المعروفة بالخلاصة في النحو وناظم *وسيلة السعادة في علم الكلام* ومذهب أهل السنة وكان شاعرا مجيد وكانت بينه وبين محمد بن حبّ الله المعروف بالمجيدري ومولود بن أحمد الجويد من علماء إيديعقوب ملاحات ومن شعره، قصيدته الميمية التي خاطب فيها إيد يعقوب من مشاهير تشمس من زاوية

---

(1) السعدي (عبد الرحمن): تاريخ السودان، نشر بعناية هوداس وتلميذه بينوه، باريس، 1901.

(2) من كبار خريجي محضرته: حرمة بن عبد الجليل من قبيلة إدوعلي، غالي بن المختار فال من قبيلة إدوبسات.. وغيرهما!

المغرب الأقصى بقوله:

فلاتنكروني آل يعقوب وأذكروا ليالي أجلو ما على الناس أظلما

ومن شعر المجيدري في ألفيته الحمراء قوله:

لخِسّتها لم تستقلّ بنفسها فصارت علندى بالخلاصة توقف
وفاعْلم وفادر وانتبه واقف جلها وفيها من التعقيد ما ليس يوصف

وقوله في *وسيلة السعادة* عند قول المختار فيها في قبول التوبة من الكفار: لقوله:

قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما أغبروا: أي ما أسلفوا وقدموا.

وبدّلت قول الله قل للذين في وسيلتك الشأمى وذلك منكر
فإن كنت قد ابدلته متعمدا فتبديل قول الله عمدا يكفِّرُ
وإن كان جهلا كان أقوى دلالة على أن من يقفوك بالعلم أخسر

وفيما كان بين المختار وبين الشيخ سيدي المختار يقول عبد الله بن سيدي محمود الحاجي:

إن أبن بون له سر وأنوار والشيخ سيدنا المختار مختار
أف فأف لمن أمسى حليف هوى له على أحد الشيخين إنكار

ولعبد الله المذكور قبل ذلك في المختار بن بون وكان شيخه وقدم إلى تكانت وافدا:

ما كنت أحجوا مني المذنب أن تطلع الشمس من المغرب
حتى أتى ابن بون في موكب لم يبق في الأفاق من غيهب

وفيها وقع بين المختار ولد بونه وبين الشيخ سيدي المختار من الجدال ولعل الشيخ كان قد توعده فيه بالسلب والعياذ بالله تعالى يقول المختار ولد بونه:

أتسلبني والله ما شاء مثبتي إذا صرت في توقير عرضك مفرطا
وكونك ذا جاه وعز ورتبة علت في قلوب الناس لم يمنع الخطا
وكوني لم أذكر كذكرك لم يكن ليمنعني التوفيق من مانح العطا

انتهى ما أردت كتبه هنا.

وفي *تاريخ الشيخ سيديّه بابه* قال الشريف محمد المرتضي في شرح

القاموس: "ولاتة كسحابة مدينة بالمغرب الأقصى بينها وبين شنقيط عشرون يوما فيها قبيلة من العرب يقال لهم المحاجيب". وممن ينتسب إلى غير صنهاجة من الزوايا كنته قال الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيد المختار رحمهما الله تعالى في كتابه المسمى *بالطرائف والتلائد* أن والده المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله وسرد نسبهم إلى عقبة المستجاب بن نافع فاتح إقليم إفريقية والمغرب الأقصى وبلاد التَكْرور خليفة عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وممن ينتسب للصنهاجية اتوابير وغيرهم وقد انتصر المغافرة على صنهاجة في هذه البلاد بعد حين من دولة صنهاجة بها وكانت دولتهم حين فسادها في أيدي أبْدُوكَلْ قبيلة من صنهاجة وهم حينئذ المتغلبون على الصحراء ومن فيها إلى السودان فانتصرت المغافرة عليهم في زمن سيدي محمد الكُنْتي ولكن هبت ريح دولة بعض صنهاجة وهم إدَوْعِيشْ في زمن الشيخ سيد المختار الكُنْتي كما تقدم والله تعالى أعْلم. ومن الزوايا عدة قبائل أخرى تنتسب إلى قريش أهل البيت وغيرهم وقبائل أخرى تنتسب إلى الأنصار وإلى غيرهم من العرب فلم أجد شيئا اعتمد عليه في ذلك كله. وقبائل من الزوايا واللحمة تنتسب إلى حسان فما صح من ذلك كله فذاك وإلا فالظاهر أن الأصل والغالب الصنهاجية لما تقدم والله تعالى أعْلم إلى أن قال قال الله تعالى :"ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".

قال الطبري قوله لتعارفوا يقول ليعرف بعضكم بعضا في النسب وإنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابية وبعدها لا لفضيلة لكم في ذلك ولا قربة تقربكم إلى الله بل أكرمكم عند الله أتقاكم وعن مجاهد: لتعارفوا قال جعلنا هذا لتعارفوا بأن فلان بن فلان من كذا وكذا وقوله إن أكرمكم عند الله اتقاكم يقول تعالى ذكر إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم أشدكم اتقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لا أعظمكم بيتا ولا أكرمكم عشيرة وفي الحديث إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إن أكرمكم

عند الله أتقاكم انتهى المراد من هذا المحل. وقال في موضع آخر في تقبيح الحروب التي كانت تقع كثيرا بين الزوايا قديما وقبيل دخول الفرانسيس ارضهم وكالحرب التي وقعت بين تجَكانَتْ في قريتهم تنيگي من أرض آدرار حتى صار يضرب بها المثل فيقال أخلى من تنيگي. حدثني أفلواط بن محمد الجكني وهو من أهل العلم والأدب قبل هذا القرن بيسير وهو شيخ كبار أنها كانت على غاية من العمارة بالدين والدنيا حتى أنه كان فيها ثلاث مائة شويبة فارقة كل واحدة منهن تحفظ موطأ مالك وإن سبب الحرب أن فتى من أعزائهم سفيها اعترض يوما في طريق القرية التي بين دورها ومد رجليه وقال لا يمر اليوم أحد إلا تحتها فمرت جارية فأمرها بذلك فلما فعلته وضع ساقيه على عنقها بشدة فوقع فوها على الأرض وهي صلبة فسقطت ثنيتاها فحملتهما إلى خالها فجاء مشتملا على سيفه فضرب ساقيه فقطعهما فاشتعلت الحرب حتى آلت الحال إلى ما آلت وأن تجَكانَتْ أرَگشاش[1] كانوا ركبا تجارا إلى تلك الناحية فبلغهم الخبر فاستوطنوها وكذلك وقع لركب منهم كان تجارا في السودان أهل سنغان فهو الذي منه بابوات وحدثني السيد الفاضل القاسم بن المختار بن ميلود الجكني أنه ما في الدنيا جكاني إلا وهو خارج من تنيگي وقد بلغني أن آثار تنيگي باقية الآن وأن في أول هذا القرن أو قبله حاول إحياءها رجل من تجَكانَتْ فلم يتيسر ذلك وربما زعم العامة أن منهم من مات وأن ذلك من الجن وحدثني أحد الثقات عن أحد ثقات تجَكانَتْ أهل قرية تقْبةْ من أرض الركيز ان أهل تنيگي بعد خروجهم منها أقاموا حينا من الدهر بتُقْبةْ انتهى. وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن:

الحرب أول ما تكون فتية	تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها	ولّت عجوزا غير ذات حليل

(1) أركشاش: كثبان رملية ووديان غربي لحمادة ، وهو يقصد فريقا من قبيلة تجكانت كانوا ركبا قرب أركشاش.

شـــمطاء ينكـــر لـــونها وتغيّـــرت مكـــــروهة للـــــشم والتقبــــيل

إلى أن قال ومن نوادر أحمد بن محمد الأمين التاگناني أنه كان يوما معي إذ جاء مرابط من تاكنانت فلما قام قال لي أحمد أن هذا المرابط خرج في سرية من تاگنانت إلى إدَ - آغ - زينب[1] أيام الحرب بين الطائفتين فانهزمت وتفرقت فجاء إلى خيمته وهو لايعرفها من الفزع عطشان جائعا فسقوه وقال لهم كثر الله خيرنا وخيركم وأراد المسير عنهم فامسكوه وقالوا يا أبتاه هذه خيمتنا وهذا حمارنا الأبيض فجعل لايصدقهم ويجذب نفسه منهم وهم يمسكونه ويبكون انتهى[2] وقال في محل آخر أيضا وقد أشتهر أن إدَوْعِيشْ وسائر الصنهاجيين في هذه البلاد الصحراوية آدرار وتكانت وأرض الترارزة وأرض البراكن وما يتصل بها كلهم من جيش أبي بكر بن عمر اللمتوني المذكور قال العلامة السني الذي لا يخاف لومة لائم في الحق الشيخ ابن حامن الغلاوي الشنجيطي رحمه الله تعالى في رسالة له تكلم فيها على مسئلة حرف الجيم أن صنهاجة خصوصا لَمْتُونَهْ منهم هم الذين فتحوا هذه البلاد وأدخلوها الإسلام أعني *بلاد آدرار وتكانت والقبلة والساحل والحوض إلى بلاد السودان فهذه هي بلاد التكْرور* انتهى[3] . فإن صح ذلك وهو الظاهر فيكون وصولهم إلى هذه الخطوة في الصحراء في القرن الخامس فاحتلال صنهاجة بالصحراء أمر قديم حسبما تقدم وعلى كل تقدير فقد كان فيها قبلهم أو معهم أمم من السودان كما يؤخذ مما تقدم وآثارهم الآن باقية كمواضع القرى وقدور الطين المنكسرة والصحيحة التي يعرف السودان الآن السمات المرقومة عليها لمن هي من الأمم السودانية التي هم الآن وراء النيل السوداني

---

(1) تسمية صنهاجية معناها: أبناء زينب الصغرى، وهم ينتسبون لعبد الله الزينبي الجعفري القادم مع أبي بكر بن عمر من أغمات في ق5هـ وسكنت ذريته مه ذرية زميله ابراهيم الأموي وسيعرف الجميع بالمدلش تحريف مجلس العلم القبيلة الزاوية الشهيرة.

(2) الشيخ سيديا: ص 225.

(3) الشيخ سيديه: 11-112 والتكرور المقصود هو بلاد شنكيطي في التعريف المحلي، أما التكرور في المفهوم العام فيشمل مابين النيل والأطلسي من بلاد السودان والصحراء.

الصاب في البحر الأخضر عند مدينة اندر المسمى أبجك أو دونه، ومن الخرز وغير ذلك مع السماع الفاشي بذلك وإدراك من أدركنا من الأكابر لبعضهم في أرض إدَوْعِيشْ وقد حدثني بعض أهل بوصيابه من فوته أنّ أجدادهم كانوا في آدرار وحدّثني أحد أماثل أبصينت أن أوائلهم مكثوا قرنين عند لبطيح من تيجريت وأن ذلك في تواريخهم وحدثني بعض أماثل أنْتيكان أن أسلافهم مكثوا نحو قرن ونصف عند تندكسم وأن ذلك في كتبهم ثم مكثوا مدة عند اندربكه قرب الركيز إلى كثير من أمثال هذا وتدل عليه المغارم التي كان إدَوْعِيشْ والمغافرة يقتضونها من قرى السودان الموالية لهم والأراضي التي كانوا يأخذون على من حرثها كائنا من كان قدرا معلوما من الزرع وغيره من أجل أنها كانت للسودان الذين كانوا يؤدون إليهم الإتاوات وفي كتب التاريخ كابن *خلدون والاستقصا* ما يقرب من ذلك قال في *الاستقصا* وتلخيص القول في سودان المغرب والإشارة إلى مماليكهم ودولهم من لدن الفتح الإسلامي إلى هذا التاريخ أن هؤلاء السودان من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق النسابين والمؤرخين ويجاور البربر بأرض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل السوداني فيه وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادَيْن أوسينين مهملتين مضمومتين ثم بعدها أمة أخرى يقال لها مالي ثم بعدها أمة أخرى يقال لها كاغو ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتَكْرور ويقال لها أيضا سغاي ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنو المجاورة لإفريقية من جهة قبلتها ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر وهكذا إلى آخر المشرق أمم لا يحصيهم إلا خالقهم فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا في صدر الإسلام من أعظم أمم السودان أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم وكانت حاضرة ملكهم هي غانة مدينتان على ضفتي النيل السوداني من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرانا إلى أن قال صاحب *الاستقصا* ثم أهل مملكة غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم في المائة الخامسة واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جهة الشمال مما يلي البربر

وزحف إليهم الأمير أبوبكر بن عمر اللمتوني فاتح المغرب ومستخلف يوسف ابن تاشفين عليه فلما رجع الأمير أبوبكر إلى الصحراء غزى بلاد السودان وفتح منها مسيرة ثلاثة أشهر واقتضى منهم الإتاوات وحمل الكثير ممن لم يكن أسلم قبل ذلك على الإسلام فدانوا به ثم اضمحل ملك أهل غانة بالكلية وتغلب عليهم أهل مملكة صوص المجاورين لهم واستعبدوهم وصيروهم في جملتهم ثم أن أهل مالي كاثروا أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الأمم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا ماكان بأيديهم وبأيدي أهل غانة ثم فتحوا بلاد كوكو وأضافوها إلى ملكهم وصارت دولة مالي متصلة فيما بين غانة في المغرب وأرض التَكْرور في المشرق واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان إلى أن قال وكل هؤلاء الأمم كانوا على دين الإسلام قديما وكان فيهم الصلحاء والعلماء والأدباء والشعراء انتهى المراد من تاريخ الشيخ سيديّهْ بابَهْ بن الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي الكبير رضي الله تعالى عنهم وعنا بهم آمين قلت قوله ناسبا إلى العلامة الشيخ بن حامن الغلاوي الشنقيطي أن صنهاجة خصوصا لَمْتُونَهْ منهم هم الذين فتحوا هذه البلاد وأدخلوها الإسلام أعني بلاد آدرار وتكانت والقبلة والساحل والحوض إلى بلاد السودان فهذه هي بلاد التَكْرور انتهى.

قلت لا أدري هل ما ذكره من كون البلاد الصحراوية البيضانية هي بلاد التَكْرور التي يذكرها كتب التاريخ قديما أم هذه مسماة بتلك لما انتقل أهلها إليها سموها باسم بلدهم الأول[1] ، والله تعالى أعْلم.

قلت أيضا ورأيت في تأليف سيدي بن أحمد ابن حبت الغلاوي الشنجيطي في ذكره الخارجين من مراكش وبلاد السوس إلى بلاد التَكْرور ينسب كل من كان ساكنا في صنهاجة من العرب وغيرهم إلى ثلاث فرق واحدة من العرب وأخرى من القبط وأخرى من البربر وأنها تبلغ سبعين قبيلة فمن العرب لَمْتُونَهْ وجزولة وبنو

(1) راجع معنى بلاد تكرور في السابق.

طابخة وبنو حسان ابن معقل ومن القبط بنو يفرن وبنو مرين وبنو زناقة بقاف معقودة وكثير من الخلق ومن البربر مغراوة وقدالة بقاف معقودة وكثير من الخلق ثم قال ولما كانت صنهاجة أكثرها أهتممت بتعريف من ينسب إلى العرب لأنه المطلوب شرعا لأنهم خالطوهم وصاهروهم لينالوا بذلك رفعة وجاها عند العجم لأنهم يعظمون ولد البنت فسرى في العرب لسان العجم وتبلبلت الألسنة وتولد من ذلك كلام حسان وبقى كلام القبط على حاله ينسب لأزير وبقي كلام البربر ينسب لآزْناق وكلام العرب ينسب لحسان بن عقيل بن معقل بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب وأما لَمْتُونَهْ وجزولة وبنو طابخة فقد نسبهم البعض للبربر بن حام بن نوح عليه السلام ووافق في ذلك صاحب *الحلل الموشية في التواريخ المراكشية* والذي عليه الجمهور أنهم من نسل تبع بن حمير إلى أن قال وأول من دعي صنهاجة إلى الإسلام ولي من نسل تبع بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وإسمه عبد الله بن ياسين ومن ذريته *آل باب* بالتفخيم وأول من ملك من صنهاجة يحيى بن عامر بن معمر اللمتوني ثم أبوبكر بن عامر ثم يوسف بن تاشفين وتواصلت من لَمْتُونَهْ ثلاثون ملكا حتى غلبت الاسمية على صنهاجة فسميت لَمْتُونَهْ. الذين قال الشاعرهم:

قوم لهم شرف العلى من حمير   وإذا دعوا لَمْتُونَهْ فهمو هموا
لما حووا علياء كل فضيلة   غلب الحياء عليهمو فتلثموا

وفي هذا مخالفة لما تقدم من تاريخ الشيخ سيديّهْ بابَهْ والذي تقدم أولى وأصح وأصدق والله تعالى أعْلم.

ثم قال وقد أهتم أبوبكر بن عامر بالخروج إلى جهاد بلاد التَكْرور التي حدها من زمور إلى تنبكت وإلى البحر المحيط وما يصب فيه من البحور وأهلها هم المسمون بالشناجطة لأن أول ما بني فيها من المدائن مدينة *آبّير* بُنيت عام ***قص***[1] هو شنجيط الأولى وكل قبيلة أولها إدَ فهي خارجة من آبّير وأما شنجيط

(1) قص، بحساب الجمل: 160هـ.

التالي فقد بناه الأغلال وإدوعلي عام ستين وست مائة قال الراجز:

شنجيط الأولى بنيّت في عام قَصْ وأما الأخرى عام صخْ قدْ تُقْتنصْ

ولما عزم أبوبكر بن عامر على الخروج راود قوما على الخروج معه من نسل عقبة المستجاب تبركا بهم وهم أربعة رجال محمد بن عبد الله جدّ مدلش وابن أخيه عبد الرحمن بن أبي بكر جدّ تركز وسيد محمد الكنتي جدّ كنته وعبد الله جدّ إدغزينب[1] . قلت وفي هذا النسب بعض مخالفة لما مر في تاريخ الشيخ سيديّهْ بابَهْ والذي تقدم أحق وأصدق والله أعْلم وسار بالرجال الأربعة في جيشه ومعه كثير من ملوك لَمْتُونَهْ الذين قال فيهم ابن الخطيب:

قد طلعت بمغرب لَمْتُونَهْ في دولة عزيزة ميمونه

تجمع دينا وعفافا وكرم لم يدر قوم فضلها حتى انصرم

منهم أبو بكر حليف الدين ويوسف هو ابن تاشفين

فلما وصل الجيش جبل لحمادة في أرض الساقية بات ولا ماء معه فصارت فرس الولي عبد الرحمن بن أبي بكر تنبش الأرض بيدها وتصهل فضرب عبد الرحمن موضع حافرها بقوسه فتفجر الماء من ذلك فسمي الركاز وسمي الماء بالفريصة ثم ارتحل ونزل بالمالحة وهي مدينة عظيمة فيها آسوانك وإفلان وكثير من البربر وهي مسيرة يومين من وادان فقاتل حتى ملكها عنوة ثم نزل وادان وفيها ترود وأسوانك وملكها عنوة أيضا ثم جهز جيشا إلى آبير وفيه طوائف من الخلق فيه أجناس من السودان وغيرهم فقاتلهم قتالا شديدا حتى سالموه وأسلموا كلهم إلى أن قال ثم ارتحل إلى بلاد تاقنت بقاف معقودة قاصدا ما على الجبل حتى نزل بالبطحاء المتدلية من جانب الجبل الغربي وعلى ظهر الجبل ملوك قنقارة بقافين معقودتين فحاصروهم حتى مات رئيسهم أدار فوق الحقف الذي فوق البطحاء

(1) هذه الرواية غير ممكنة تاريخيا لأن أبابكر بن عامر توفي 468 أو 480هـ والرجال الأربعة أجداد لقبائل تكونت في ق8هـ على أقل تقدير، فلعل الرواية تعني القائد المرابطي يحيى بن غانية المسوفي الذي أشعل الثورة ضد الموحدين(584-630هـ) وجاء إلى الصحراء بجيش فيه أخلاط من الشعوب وأجيال من العلماء والأعيان.

فانهزموا وطردهم جميعا إلى البحر وسباهم واسترقهم وقسم السبي والمال وجعل الجيش ثلاث طوائف واحدة من العرب للجهاد وأخرى زاوية تتعلم وتعلم وترزقان من بيت المال وطائفة لإصلاح المال الذي هو الغنيمة[1] وأمّر على العرب ابن أخيه عثمان ابن يحيى بن عامر اللمتوني وهو جد إدَوْعِيشْ وهم أهل محمد بن خونه وأبناء اعْلي انتونفه وتغده وبقى فيهم من زي لَمْتُونَهْ ضفر الرؤوس وهي الحالة المسماة بالقطاية بقاف معقودة التي لا يفعلها إلا من كانت إدَوْعِيشْ أخواله انتهى المراد منه. قلت وفي تَنْدَغَ قبيلة تسمى تَنْدَغَة الأبيار ومسكنهم بين مساكن جيجبهْ أولاد أبْيار وأصل الشيخ سيديّه من هؤلاء تَنْدَغَهْ والمهاجر منهم إلى أولاد أبْيار جده محمد بن محم[2] وكانت حلتهم من تَنْدَغَهْ هذه مشهورة بحلة أربعين جيدا، وسبب هذا اللقب فيهم أن سائلا وقف عليهم وهم في مسجدهم ليلا وطلب منهم قضاء دين عليه وهو تافوكيت وهي في ظني بقرة ولدت مرة واحدة أو مرتين فقط وهي في كلامنا هاك بإمالة كاف عجمية فاضمر كل واحد منهم في قلبه أنه هو الذي يقضي هذا الدين عنه ولم يبدها له فلما أصبح ناداه كل واحد منهم فاعطاه مطلوبه وساق بقره راجعا بها إلى أهله وهي تسعة وثلاثون بقرة عدد من في ذلك المسجد تلك الليلة فلما بعد عن الحلة لا قاه واحد من تلك الحلة وكان غائبا عنها في سفره وسأله من أين أصبحت فقال أصبحت من عند حلة تسعة وثلاثين جيدا وأخيره خبره معهم فقال له أرجع معي إلى تلك الحلة فرجع معه إليها فلما وصلاها أعطاه تافوكيتا[3] أيضا فتمت له أربعون تافوكيتا وذهب وصار كلما سأله سائل من أين أصبحت أو من أين جئت أو من أين وجدت هذا المال يقول من حلة أربعين جيدا

(1) إلى هنا ينتهي الجانب الأسطوري من رواية المؤلف عن ابن حبت في نبذته المذكورة. وكل تلك الفتوحات والقبائل خليط متنافر غير دقيق وبعضه لم يظهر في عهد المرابطين والبعض الآخر كان في بلاد أخرى.

(2) المعروف أن أجداد الشيخ سيديه كانوا من عرب البراكنة لكنهم سكنوا في قبيلة تندغة وتواشجت بينهم الأرحام.

(3) تافوكيتا: العجلة بلغة صنهاجة.

فيخبره بخبره معهم فجرى ذلك لقبا لهم إلى الآن. هكذا أخبرني واحد منهم وهو مريد الشيخ سيد المختار بن الشيخ عبد الجليل التَنْدَغي رضي الله عنهم.

ورأيت في *الوسيط*[1] ما يخالف ذلك في ترجمة محمد بن محمد العلوي في تعداد شعره قال ومنها يخاطب قومه وكانوا يلقبون بحلة أربعين جوادا:

يا أربعين جوادا إن حسبكم ... لطف المهيمن فلترضوا بما فعلا

ولتذكروا الرزء لا ضاعت أجوركم ... بخاتم الرسل تنسوا خاتم الفضلا

قلت ولعله سيد فاضل منهم مات وأراد أن يعزيهم فيه قلت ايضا ويمكن أن يقال أن هؤلاء لقبهم أربعون جوادا وأولئك لقبهم أربعون جيدا وفي اللفظين بعض تغاير[2] والله تعالى أعْلم.

وفي *الوسيط*[3] أيضا الشيخ سيديّهْ بن المختار بن الهيب الابييري ثم الانتشائي ونسبه الأصلي يرجع إلى تَنْدَغَة ثم أن فخذه أولاد انتشاييت كذلك وإنما سكنوا في أولاد أبييري وتواشجت بينهم الأرحام ثم أن الله أعْلى به أولاد أبييري وغيرهم وهو العَلم الذي رُفع على أهل قطره واستظل به أهل دهره وما أقول في رجل اتُفق على أنه لم يظهر مثله في تلك البلاد اشتغل في شبابه بالعلوم وبرع فيها بملازمته لحرم ابن عبد الجليل العلوي وكان يخدمه خدمة العبد لمولاه فجازاه الله تعالى بذلك حتى أن تلاميذه كانوا لا يدخلون عليه إلا حبوا على ركبهم إجلالا له وحدث من رآه في زمن اشتغاله عليه قال أرسل حرم المذكور إلى التلاميذ أن يذهب أحدهم إلى المنهل ليسقى البقر فإن العبد القائم بأمره غير موجود فلم ينتدب لذلك إلا الشيخ سيدي فلما رجع بالبقر جعل يقرأ مع التلاميذ على ضوء النار فأرسل إليهم أيضا أن يحلب أحدهم البقر فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي ثم أنه رجع بعد حلب البقر وجعل يقرأ أيضا فوافى رسول من حرم أيضا بأن يحضر

---

(1) الوسيط، ص48.

(2) المؤلف هنا لم يفهم أن تفصيحها "أربعون جوادا".

(3) الشنقيطي: الوسيط، صص 240-243.

أحدهم قري الاضياف النازلين عنده فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي ولما تضلع
من علمه شد الرحل إلى الشيخ المختار الكُنْتي بأزواد من مسيرة شهر وأكثرها غامر
ثم وصل إليه ولازمه ستة أشهر ثم مات الشيخ فبقي عند ابنه سيد محمد المعروف
بالخليفة لقيامه مقام أبيه فلازمه عشرين سنة يخدمه فيها حتى برع في معرفة الطريق
وعلم الأسرار ثم رجع إلى بلاده فنزل أولا في تَنْدَغَ أصله القديم فلم يكترثوا به ثم
رجع إلى قبيلة أولاد ابيير فتلقوه بما هو أهله وأكرموه واعترفوا بفضله فلم تزل
فضائله تبدو حتى أذعنت له الزوايا وحسان وصار مثل الملك بينهم فلا يعقب أمره
وكان أهلا لذلك كرما وحلما وعلما ولم تزل الدنيا تنثال عليه ويفرقها في الناس
وقدم مراكش في أيام المولى عبد الرحمن وأظنه كان متوجها للحج فرجع بسبب
المرض في الحجاز ونال حظوة عظيمة من السلطان وحدثني الفاضل عبد الرحمن
الجزولي المعروف في مراكش بابن التلمود وكان أبوه كاتبا للمولى عبد الرحمن،
إنه لما قدم إلى مراكش وجد المولى سيد محمد بن المولى عبد الرحمن ألكن
لايبين الكلام فتفل في فمه فانطلق بالكلام وكان يبحث عن الكتب في مراكش
ليشتريها فإذا أراد أن يقضي الثمن يسلم إلى البائع ما بقي عن المحاسبة بالغا ما بلغ
وكانت العرب في أرض شنقيط تجعله حرما آمنا فيجتمع عنده أحدهم بمن قتل أباه
أو أخاه فيجلسهما على مائدة واحدة وإذا بلغ الجاني نواحي البلد الذي يقيم به أمن
على نفسه، ولم يمض عليه يوم إلا وعنده آلاف من الناس يطعمهم ويكسوهم
ويقضي جميع مئاربهم حتى لقي الله ولا يسأله أحد حاجة إلا أعطاه إياها بالغة ما
بلغت وكان تلامذته يريدون أن يقللوا من ذلك بما امكنهم وسأله يوما شخص
حمارا فقال اعطوه الحمار الفُلاّني فقالوا إنه غائب فقال أعطوه الجمل الفُلاّني
فقالوا إن الحمار قد حضر فقال أعطوه إياهما معا وجاء أحد أبناء شيخه فأعطاه
جميع ما يملك من الدنيا ثم عاد إليه بعد مدة ففعل ذلك ثلاث مرات وشكى إليه
إنسان سوء معاملة أمرأته إياه فقال له ما مالك فأخبره بأن عندهم شيئا من الغنم
وحمارا وأمة وقال أن هذا لامرأته فدعا بأحد تلامذته وأمره أن يعطيه غنما وحمارا

وأمة وقال إنها سيسهل أمرها وشكي إليه تلامذته المكلفون بالاضياف كثرتهم فقال انحروا من الإبل ما يكفي فقالوا إنها مهازيل وليس فيها من السمان إلا ناقة روى من لبنها إثنان لكثرته فقال أنحروها فإنها ستشبع مائة وكان يبلغه أن الطريق منقطع في الجهة الفُلانية لعدم عمارتها فيحفر فيها الآبار ويبعث المؤن الطائلة لقرى المارين وفضائله أكثر من أن تذكر رحمه الله وكان مجيدا وما رويت له من الشعر إلا القليل إلى أن قال في *الوسيط* وله قصيدة بديعة يمدح بها ولي الله الشيخ المختار الكُنْتي[1] وتستخرج منها ثلاث قصائد لكل منها بحر أعني أنها كلها في بحر الكامل ثم تقرأ أشطارها الأول فتكون قافية من بحر المديد ثم تستخرج من أوائل أشطارها الثواني قافية من بحر البسيط وليس في حفظي إلا مطلعها وهو:

طلعت ببرجك للبرية أسعد   أيام جاد بك الزمان الأجود إلخ. .

إلى أن قال ورأيت من تآليفه شرحا على لامية الأفعال لابن مالك وبلغني أنه شرح مقصورة ابن دريد وأخبرني بعض الثقات أنه مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألفا ونحو ذلك رحمه الله رحمة واسعة.

---

(1) **المختار بن أحمد بن أبي بكر بن الوافي الكُنْتي**: عَلَمُ البلاد الصحراوية في العلم والورع، وأبرز علماء وصلحاء الصحراء الكبرى (ولد سنة1729-1730 الموافق 1142هـ وتوفي زوال الأربعاء 29 مايو 1811م / 1226هـ عن عمر بلغ 84عاما، ودفن قبر بئر: أبو الأنْوار الذي كان يسمى أبو الْمِرْحَاْن في بلاد أزواد [شمال غرب مالي حاليا]. عُرف بالشيخ سيد المختار الكبير. درس في أحياء قبيلة كل - السوق التوارقية، وعلى يدي الشيخ سيدي علي بن النجيب، ثم أكمل درْسه بمطالعات واسعة أمدها ذكاء وقاد وطموح عجيب. له المصنفات الجليلة التي فاقت على المائة، إضافة إلى عشرات الرسائل والتقاييد في مختلف الفنون والمواضيع والإشكالات. كانت للشيخ الكُنْتي حظوة سياسية حاسمة في المنطقة مكَّنْتَهْ من التقريب بين مختلف الفرقاء شمال عقفة النيجر (التوارق - الرماة...) وفي صحراء شنقيط (الإمارات والقبائل المحاربة) كما كانت له صلات ودية مع أمراء إدَوْعيش ولاسيما محمد بن أمحمد شين. ترجم له عديدون منهم ابنه وخليفته الشيخ سيدي محمد في كتابه: الطرائف والتلائد.وكذلك هارون بن بابه:كتاب الأخبار، ابن حامد، موسوعة حياة موريتانيا: وابن الأمين، الوسيط:361، بول مارتي، كُنْتَهْ الشرقيون:39-75. البرتلي: فتح الشكور: 152-153. ولد الحسن، الشعر الشنقيطي:29. راجع عملنا: الرسالة الغلاوية، من مقدمة التحقيق.

قلت والذي رأيت لبعض علماء شنجيط في تاريخ وفاته ووفاة غيره من السادات قوله:

إن سـيدي ذا انـدى والمعانـي ... والمـساعي شـرفه ذو الجـلال

باعتـزال الـدنا وشـرف فـضلا ... نجلـه الباهـي الـسنيّ الخـلال

ثـم بعـد الـبدرين للـناس بـاد ... شـرف العبقـري نجـل مـتال

يعني أن الشيخ سيدي مات عام شرف 1284 [ومات ابنه العلامة سيد محمد الخليفة عام وشرف 1287] ومات العلامة ابن متال عام باد شرف 1287 والله تعالى أعْلم . قلت أيضا وفي عام موت العلامة الشيخ سيدي كان موت شيخ مشائخنا الشيخ محمد الفاضل الحوضي رضي الله عنه وفي ذلك قال شيخنا الشيخ سعدبوه:

وشـيخنا لمـا استـضاء ... وشـرف اشـتاق لقـيا ربـه بوسـرف

ووزع العلـوم والـباطل زع ... تاريخـنا لعمـره برمـز زع

رضي الله تعالى عن جميعهم وعنا بهم آمين.

[العلاقة مع الفرنسيين وبداية الاستعمار]

قلت أيضا ورأيت للشيخ سيدي هذا براوة كتبها إلى *مس فضرب*[1] أمير أندر في ذلك الزمان جوابا لبراوته ونص براوة الشيخ سيديّهْ هذا بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله الملك الحق العلي العظيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على دينهم القويم هذا وإنه من عبد ربه الغني به سيدي بن المختار بن الهيبهْ طهر الله منه الجيب وستر له العيب وأصلح الشهادة والغيب إلى فضرب أمير اندر الذي خفى عليه كثير من حقيقة الخبر سلام على من اتبع الهدى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى أما بعد فأعلم يا فضرب أن مكتوبك وصل إلينا وقدم به حامله علينا فنظرنا فيه فإذا هو مشتمل على أسلوب من الكلام لم يوجهنا بمثله قبلك أحد من الأنام لما فيه من الجراءة والتوعد بالانتقام إن لم نرد إليك ما نهب أولاد أحمد من مالك ومال عيالك لزعمك وقولك في مكتوبك أن أولاد أحمد ينتمون إلينا ويطيعوننا ونحن ننصرهم وهذا خطأ منك وجهل لحقيقة ما بيننا وبين أولاد أحمد إذ نحن قبيلة من الزوايا وأولاد أحمد قبيلة من بني حسان والزوايا وبني حسان فريقان متباينان في الديانة والطبيعة والأمانه فلا تصح حقيقة الإنتماء والطاعة والنصرة من أحد الفريقين للآخر لكن قد يوجد منهما إظهار المصادقة والنصرة بالقول لا بالفعل من كل منهما للآخر ويوجد أيضا من بني حسان طلب البركة والحجاب عند الزوايا وقد يقع وجود الصدقة والهدية لبعض الزوايا من بعض بني حسّان وتقع المداراة لبعض بني حسّان وبعض الزوايا وهذا كله لا يسمى بالانتماء ولا بالطاعة ولا بالنصرة حقيقة لأنه يبلغ مبلغا يحمل أحدا من بني حسّان على قبوله لبعض الزوايا أن يفعل فيما بيده كل ما يريده لاسيما في

---

(1) مس فضرب: هو "ليون سيزار فيدرب" *Leon Cesar Faidherbe* التحق بمستعمرة السنغال سنة 1852 وخاض معارك سياسية وحربية ضد مارات البيضان شمال النهر في البلاد الموريتانية.

مثل أسترداد غنائمهم ومنهوباتهم من أموال أعدائهم المعادَيْن لهم في الأموال والأبدان وأحرى منهوباتهم في المعادَيْن لهم في ذلك في الأديان وهذا هو الحق الذي لاغبار عليه ومن يقل سواه فلا عبرة بقوله ولا يلتفت إليه لأنه من الأمور الهينة الجليه التي يعلمها الخاص والعام والرفيع والوضيع من البرية فنحن وغيرنا من الزوايا لايد لنا على بني حسان فلو كانت لنا عليهم يد وكانوا يسمعون ويطيعون لنا في جميع ما نأمرهم وننهاهم عنه لتركوا الانتهاب والإغارة على غيرهم من السودان المسلمين وقد نهينا كثيرا من سفهاء بني حسان عن ذلك فلم يسمعوا ولم يطيعوا واستمروا على ذلك ولم يرجعوا والعياذ بالله من الظلم وارتكاب كبائر الإثم إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ثم إذا تبين لك يا فضرب أمير اندر المغيب عنه كثير من الخبر بما ذكرناه من أحوال الزوايا مع بني حسان وعدم طاقتهم على التصرف فيما بأيديهم وما نهبوه من أعدائهم وتبين لك أن ما واجهتنا به من الجراءة وسوء الأدب بعيد عن سبيل العدل ومصادفة الصواب لزمك الرجوع على نفسك بالملام والانتقام بسبب ما أرتكبته من الخسة وقبائح الآثام ولزمك أيضا أن تجتهد فيما يصفي خواطرنا وخواطر تلامذتنا عليك وعلى من ينتمي إليك لأن الأمراء يانفون عن كل ما فيه مذمة ويجتهدون كل الاجتهاد في اغتنام الخصال المهمة ويحجزهم كمال عقولهم عن ارتكاب ما يوجب انحطاط المراتب إذ العقل إنما سمي عقلا لأنه يعقل صاحبه عن المعاطب وسيئات المكاسب ثم إن كان الذي حملك على ما واجهتنا به في مكتوبك من الجراءة وسوء الأدب رأي نفسك وعقلك فما أعظم غفلة نفسك وانطماس نور عقلك عما تدوم به إمارتك وتصلح به دولتك وعمارتك وإن كان الذي حملك عليه رأي غيرك وسعايته إليك بالنميمة والكذب والغيبة فينا فقد غشك وخانك وأراد أن يفسد عليك عهدك وأمانك وأوقع نفسه في موجبات خزيه في الحال وأهانته في المآل بسبب سعايته لأن الكذب والغيبة والنميمة من أكبر الكبائر وأعظم المناكر وقد جاء في القرآن العظيم والحديث الصحيح الكريم من النهي والوعيد بالعذاب الشديد في شأن مرتكبهن ما

ليس فوقه من مزيد أما القرآن فقول الله تعالى "ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم" وقوله تعالى "ولايغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" وأما الحديث فكقول النبي صلى الله عليه وسلم "لايدخل الجنة نمام" وفي رواية أخرى قتات وهو النمام وقوله عليه الصلاة والسلام ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى يارسول الله صلى الله عليه وسلم قال "المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرءاء العيب" وقوله عليه الصلاة والسلام "إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنى" وفي رواية أخرى "أشد من ثلاثين زنية في الإسلام" وقوله عليه الصلاة والسلام إياكم والكذب فإنه من الفجور وهما في النار أي صاحبهما في النار وقوله عليه الصلاة والسلام فيه أيضا الكذب باب من أبواب النفاق وقول عائشة رضي الله عنها ما كان من خلق أشد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب والهماز العياب المغتاب والمعتدي الظالم والعتل الغليظ الجافي والزنيم الدعي والغيبة هي ذكر أخيك بما فيه مما يكره أن لو سمعه والنميمة هي نقل الكلام للغير على وجه الإفساد والكذب معناه ظاهر فنسأل الله سبحانه أن يعيذنا وجمع المسلمين من النميمة والكذب والغيبة وجميع المعاصي الكبيرة والصغيرة وأن يعيذنا ايضا من جميع المكاره الدنيوية والأخروية أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ثم لتعلم يافضرب أنك إذا أخذ الله بناصيتك ومجامع قلبك إلى تصديق ما ذكرناه في هذا المكتوب وسطرناه وسالمتنا وسالمت جميع تلامذتنا وجميع المسلمين المتعاهدين مع النصارى في هذه الأرضين ماداموا على العهد وانبرام العقد توجهنا إلى الله تعالى وسألناه أن يهديك ويرشدك إلى الوجه الذي يصرف عنك أشأم الرذائل والنقم ويسوق إليك أعظم الفضائل والنعم وما من ذي عقل سليم ورأي مستقيم إلا وهو يعلم أن أشام الرذائل والنقم هو الكفران والطغيان والعصيان وأن أعظم الفضائل والنعم هو الإسلام والإيمان والإحسان وأنت إن كنت من العقلاء الذين تابى لهم عقولهم ألا يحبوا إلا أنفع الأشياء ويبغضوا أضر الأشياء فأعنا على نفسك بالانقياد إلى ما نريده

لك من أنفع المراد وذلك بأن تنظر بنور عقلك فيما بين الإسلام والكفر يتبين لك أن الإسلام خير من الكفر لأنه نافع والكفر ضار إذ الإسلام مما يوجب الخلود في النعيم المقيم والكفر يوجب الخلود في العذاب الأليم والعاقل يمنعه عقله عن اختيار الضار الذي يوافق هواه عن النافع ولو لم يوافق هواه بخلاف الأحمق فإنه يختار الضار الذي يوافق هواه عن النافع الذي يخالف هواه ولا يكون شيء من ذلك كله إلا بإرادة الله تعالى وقدرته والله سبحانه خلق الجنة فاعدها دار خلود لأوليائه وهم المؤمنون وخلق النار فأعدها دار خلود لأعدائه وهم الكافرون فإذا علمت هذا علم يقين واستنار به قلبك واطمأنت له نفسك وانشرح له صدرك فأعلم أن فضيلة الإسلام قد أظلتك وأن رذيلة الكفر قد أنى دفاعها عنك قال تعالى "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء" وحينئذ فأعلم أنا ندعوك إلى الإسلام ونامرك به أمرا جازما لتنجو به من النار وتخلد به في الجنة خلودا ملازما والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فاسلم تسلم ويوتك الله أجرك مرتين وتفز عنده بما فيه لك قرة العينين وانبذ عنك شهاب الكفر بدخانه واستضئ بضياء الله تعالى إسلامه وإيمانه وإحسانه تتحف بمغفرته سبحانه لجميع ما مضى من ذنوبك ورحمته ورضوانه لأن الإسلام يجب ما قبله وينشر الله على العبد رحمته ونعمته وفضله فإذا أسلمت كان لك جميع ما ذكر وأكثر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الفضل العظيم وأنواع الثواب المقيم وإذا امتنعت من الإسلام بعد ما دعوناك إليه وأمرناك ورغبناك فيه وبينا لك فضيلته وكرامته فإنك يكون عليك إثم اتباعك مع إثمك ويتضاعف بذلك العذاب عليك في الانتقام منك بدليل ما قاله نبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه الذي أرسل به إلى هرقل عظيم الروم يدعوه فيه إلى الإسلام ولفظ المكتوب في كتابه هذا في صحيح البخاري رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك

بدعاية الإسلام أسلم تسلم ويوتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعلك إثم الارسيين أي الإتباع و"ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون انتهى. فلما فرغ هرقل من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ثم بعد ذلك قال لقومه يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعون هذا النبي فامتنعوا وإنما قال لهم ذلك لما يعرفه من الكتب السالفة أن التمادَيْ على الكفر سبب لذهاب الملك ثم وقع له بعد ياسه من أيمان قومه من تجهيز الجيش إلى مؤتتة وتبوك ما يدل ظاهره على الكفر لكن يحتمل مع ذلك أنه يضمر الإيمان ويفعل هذه المعاصي مراعاة لمملكته وخوفا من أن يقتله قومه إلا أن في مسند أحمد أنه كتب من تبوك إلى النبي صلى الله عليه وسلم إني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو على نصرانيته من القسطلاني باختصار فنسأل الله سبحانه وهو القريب المجيب السميع لعدوة المضطر المنيب أن يثبتنا وجميع المسلمين على ديننا المخصوص عند ربنا بالكمال والتمام لقوله تعالى اكملت لكم دينكم وقوله أن الدين عند الله الإسلام بفضله وكرمه وأن يأخذ بناصية فضرب ومجامع قلبه إلى الإسلام ومجامع قلوب أكابر قومه مثل حجم وإبراهيم إلمان وأمثالهم من أهل اندر من كل من له عهد مع المسلمين صحيح مع السلامة لنا ولجميع المسلمين والعافية ودوام جلائل النعم السابغة الضافية أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم الكبير ثم إذا أخذ الله بناصيتك يافضرب ونواصي أكابر قومك إلى الإسلام فأول ما يقوله كل واحد منكم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ثم تقبلوا على أداء بقية قواعد الإسلام من إقام الصلوة وإيتاء الزكوة وصوم رمضان وحج بيت الله لمن استطاع والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قلت وبهذه البراوة تعلم عدم علم الشيخ رحمه الله بامر السادات من فرانس حيث دعى مس فدرب فيها إلى الإسلام والتوبة على يديه مع اعتقادهم وجزمهم بأنهم على دين متين من الإيمان بالله تعالى وعدم ظلم الخلق شفقة عليهم وخوفا من خالقهم تعالى ومن دلائل ذلك إيثارهم العدل في رعيتهم واجتنابهم الجور ولا يجتمعون عليه أبدا وإن جار بعض الفسقة منهم واطلعوا على جوره أزالوه بالفور وضربوا على يده بما يرتدع به غيره من التنكيل به ولله در بعض أهل الرجاء حيث يقول:

افعل بما شئت أن الله ذوكرم — وما عليك إذا أذنبت من بأس

إلا اثنتين فلا تقربهما أبدا — الشرك بالله والإضرار بالناس

هذا مع وفور علومهم أيضا لأنهم أهل الكتاب الأول وفيهم البطارقة والمطران والأساقفة والقسيس والجاثليق والشمامسة وتفسيرها كما في *روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر* للعلامة أبي الوليد محمد بن الشحنة: "قال ابن سعيد المغربي والبطارقة للنصارى بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب عندنا والمطران القاضي والأساقفة المفتون والقسيس المقرأ والجاثليق إمام الصلاة كالخطيب عندنا والشمامسة القوام والمؤذنون انتهى المراد منه. ومع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتفى منهم بعض قدرته على البعض المنهم بأداء الجزية فقط دون الإسلام وقد أباح الله نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل الرهبان وغير ذلك من الأحكام التي تخصهم دون غيرهم من المجوس ونحوهم من أهل الأديان الباطلة فالرأي طلب الخلة والصداقة منهم لا غير وما دينهم إلا أخت ديننا وقد عد صلى الله عليه وسلم ممن يؤتى أجره مرتين من أسلم من أهل الكتاب إذ لة لم يكن إيمانه الأول معتدا به لم يؤت أجره تأمل. والله تعالى أعْلم. وقال الجينيدي رضي الله عنه لا يبلغ الرجل درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ومن معنى ذلك قول ابن العربي الحاتمي المعروف بالشيخ الأكبر رضي الله عنه :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

وقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أُدَيْن بدين الحب أني توجهت ركائبه فالدين دينيّ وإيمان

وكأنه رضي الله عنه وافق كل أحد في دينه واعتقاده في الله تعالى وقد قال في بعض أشعاره أيضا:

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

قلت لأنه ما ثم موجود غير الله تعالى وما من إله إلا الله قل إن الأمر كله لله انتهى والله تعالى أعْلم.

[دخول الاستعمار الفرنسي]

وهذا أيضا تقييد لطيف حسن ظريف قيده العلامة البشير[1] العالم العامل المشهور وهو من قبيلة أولاد ديمان من فخذ إدكْبَهَنّ والتقييد المذكور يتضمن شرح حال شيخه الشيخ سعدبوه[2] وحال الشيخ سيديّهْ بابَهْ مع ما جرى بينهما وبين أمراء انْدر[3] من سادات فرانس حين أرادوا طلوع مس كبُلان[4] إلى أرض البياضين[5] ونصه:" الحمد لله الذي شرع تبيين الأمور لأهلها ليعلم فرعها من أصلها ويظهر لذوي العقول السليمة حرامها من حلها ويعلموا قبل حلولهما بمقتضياتها ويستنتجوا نتائجها بعلم مقدماتها والصلاة والسلام على أنصح العباد للعباد وانفع أهل الأديان وأجرئهم على الأعداء وعلى آله الذين دوخوا الأعداء وملكوا البلاد وبعد فإني لما حضرت ما جرى بين شيخنا الشيخ سعد أبيه وبين النصارى وعلمت كثرة القيل والقال في الناس وأن كلهم يتكلم على غرضه أحببت أن أقيد ما جرى بينهما على التحقيق ليعلمه أهل البصائر من المسلمين ليتفكروا في هذا الأمر العظيم ويسألوا الله سبحانه لعله أن يرد عنهم هذه الداهية أو يرشدهم إلى الرأي فيها وذلك أنهم أي النصارى بعثوا إليه كتابا في وسط رجب من سنة [كسش]1325 ونصه "الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده أما بعد فإنه من أمير أندر الذي بيده أمور إفريقيا الغربيه إلى الشيخ سعد أبيه السلام التام الطيب العام موجبه أني قدمت أيضا

---

(1) بل الصحيح أن صاحب هذا التقييد هو محمد فاضل بن محمد ناجم وهو من كبار تلاميذ الشيخ سعد أبيه.

(2) الشيخ سعد أبيه: ت1917 بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، رحل إلى غرب البلاد وانتشر صيته وتلاميذه لاسيما في السنغال، كانت له صلة ود وصداقة مع الشيخ سيديه بابه، واتفقا على قبول دخول الاستعمار لما في ذلك من مصلحة راجحة حشسب رأيهما.

(3) انْدرْ: هو مدينة سان لويس السنغالية الحالية.

(4) يقصد الإداري الاستعماري *Copolani X* الذي كان مدشن استعمار موريتانيا مات مقتولا سنة 1905 على يد مجموعة من المجاهدين يتقدمها الشريف سيدي بن ملاي الزين ورجال من قبيلة إديشلي واعتبر الفرنسيون أن تدبير العملية تم بتوجيه من الشيخ الغزواني رئيس الطريقة الغظفية في آدرار.

(5) موريتانيا في حدودها الاستعمارية الأولى التي تشمل موريتانيا الحالية ومايلاصقها من الشرق والشمال.

للإمارة على هذه البلاد وإني أحب أن أجعل العافية في جميع أرض البياضين التي في نواحي سنكال وأول ما لا بد منه لقبائل مثلكم ساكنة أرض الصحراء لا حمى لها ولا قدرة وما شأنها إلا العبادة والعافية والأمان وذلك لايمكن إلا بالمعية مع الدولة الفرانسيسية التي لها القدرة الوافرة على جعل العافية وبيدها إعطاء العافية والأمان واليوم فإني أحب أن تزول الحروب الواقعة بين القبائل لتستقيم التجارة وتأتي القوافل في أمن وأمان ويشتغل الكل في منافعه غير خائف على كسبه من أهل الفساد وإني أحب أن أكون حميي للمظلوم وأن أنصره وأجازي أهل الخير بالإحسان كما أعاقب أهل البغي والفساد وهذا ينبغي له عون أحد مثلك من أهل الخير والجاه والبركة تهتدي به الناس وقد أخبرني كثير من المقدمين من الطلبة أنك ذو جاه وذو بركة متوارثة من شيخ عن شيخ حتى ينتهي إلى عبد القادر الجيلاني وقد ثبت عنهم ودك لنا وسعيك في مرضاتنا ولذلك أطلب منك أن تأتي أندر عاجلا بلا تأخير لأتحدث معك في هذا الأمر وإني متيقن أن لك من العقل ومن الخصال الجميلة ما يحملك على مساعدة كل من نيته إصلاح الرعية من أهل الملك نصارى كانوا أو مسلمين وعليك بإذاعة هذا في طريقك أي أن تخبر كل من رأيت بأني أريد أن أقف مع من كان من أهل عهدنا وهم أهل الخير والإحسان وأن أهجر أعداءنا وهم أهل الشر والفساد وكل من أتانا يكون مبجلا ومكرما ويعان على اتباع دينه لأني أكون أبا للجميع وليخبر الحاضر بالغائب ليلا يخفي وليلا يجهله أحد وأعْلم بأن الملك بيد الله يوتيه من يشاء ومن أطاعه فقد فاز والسلام" بحروفه فلما وصل الكتاب إليه مكث أياما يخمر الرأي في أمره ثم بدا له أن يسير إليهم لعل الله أن يردهم على يديه أو يشترط عليهم شروطا للمسلمين لعدم علمه بمن يقوم لهم ذلك المقام من الزوايا ولأنه له يد عند النصارى بإستخلاص قومهم من آدرار بانقاذ اثنين منهم قبل ذلك من القتل فلما وصل إليهم في خامس رمضان من السنة المذكورة ألتقى مع أميرهم الذي يقولون أنه مقدم إلى أرض المسلمين فلما تم السلام بينهما تحاورا محاورة طويلة ملخصها أنه لما صرح الرومي له بأنه يريد الخروج لا محالة تغير وجه الشيخ وظهر عليه الغضب قبل أن يجاوبه فقال له الرومي أني أرى في وجهك الغضب والإنكار مما قلت لك فما السبب فقال والله أنه لكثير وإني لجدير بذلك فقد لبثت نحو عشرين سنة وأنا قائم بينكم وبين

المسلمين ولا أقبل لهم مضرتكم وقد منعت صاحبكم موسى سلي من بني دُلَيْم بعد أن اشرفوا على قتله ومنعت أعْمر سالم من قتل صاحبكم فبير وانقذت سيدكم وصاحبكم موسى ابلا انش ومن معه من سجن أهل آدرار بعد ما عزموا على قتلهم أو تغريبهم إلى سلطان الغرب وما حملني على هذا كله إلا المحافظة من سبب يدخلكم أرض المسلمين أو حجة تحاربونهم بها لظني أنكم لا تظلمون ولذلك لم أرض أنكم تظلمون فقال له الرومي إنا لا نظلم ولكننا نريد رفع الظلم عن الزوايا التي في نواحينا وقد عيرتنا قبائل منا فقالوا بأننا حولنا أمم ضعاف لاسلاح لهم ولا حامي لهم ومعهم أقوام لهم سلاح يظلمونهم وينهبون أموالهم ويفسدون تجاراتهم وقد أجمع رأينا كلنا أن ندخل تلك البلاد لنرفع تلك المظالم ونردع اللصوص كما كتبنا لك فقال إن كنت داخلا في رأيكم أولي عندكم يد تريدون أن تكافؤها لي فلا تدخلوا بلاد المسلمين فإن ذلك يثير الحروب في البلاد ويكون أشد عليها من فساد بني حسّان فقال الرومي له طب نفسا ولا يتشوش خاطرك فإنا لا نريد إلا الإصلاح وتعمير الأرض ورفع الظلم فقال ليس هذا برأي عندي ولا صواب لأمور كثيرة ذكرها فقال إلرومي ارجع اليوم إلى منزلك وخمر رأيك وتأمل قوتنا على رفع الظلم وما نبث في البلاد من الخصب والعافية وقس على ما فتحنا من البلاد ولاتظن أن لنا نية غير ما قلنا لك فخرج من عندهم وبات في منزله حزينا فلما كان من الغد التقى معهم في مكانه بالأمس فقال له الرومي ما تحصل عندك في هذا الأمر فقال لم يحدث لي بعدكم رأي ولاعزم فقال الرومي ما الذي نفرك من دخولنا بلاد المسلمين وقد شاهدت البلاد التي فتحنا وما جرى فيها من الخصب والعافية بعد ما كان فيها من الفساد والشدائد فقال أني أكره ذلك لأربع الأولى شدة نفورنا من سطوة الملك ولو كان من المسلمين لعدم مؤالفتنا لذلك والثانية تخالُف الأديان والثالثة إن من لم يكن مسالما من حسّان إذا بلغه خروجكم نهب أموال الزوايا وافسدوا أرضهم قبل تمكنكم منها والرابعة المغرم على المسلمين فقال الرومي أما الأولى فإن ملكنا رفيق ودولتنا خفيفة بالنسبة إلى غيرنا من الدول وإنما عقابنا لمن تحت حكمنا بمنزلة تأْدَيْب الوالد للولد وأما الثانية فإنا لا نتعرض لأحد في دينه وأما حسان فإنا نكفيك أمرهم بحيث لا يحصل منهم ضرر وأما الرابعة فلا يكون إلا ما تحب وارجع إلى بيتك فإذا كان آخر النهار التقينا معك أنت والشيخ سيدي عند

الملك في خوب فلما كان بعد العصر أتاه رسولهم فركب إليهم وركبت معه فدخلنا البيت الذي كانوا يلتقون به فوجدنا الشيخ سيدي هناك فسلم عليه شيخنا وجلسنا في بيت آخر حتى صلينا المغرب هناك فخرجنا جميعا إلى دار الملك ومعه الوالي الذي كان يتكلم مع شيخنا فسلم الملك على الشيخين سلاما عاما ثم قال أما الشيخ سيدي فإني أعرفه وقد اجتمعت به قبل وأما الشيخ سعد بوه فلم ألقه ولكن أمره وعهده وإحسانه علينا شائع في جميع دولتنا ثم قال إني أظن أنكما تعلمان ما أريد منكما فإني شق علي ما بلغني من الفساد الواقع بالقرب مني وفي جواري وقد بدا لي أن أزيله بدخولي بالحكم في تلك البلاد فإن هذا قد ضربنا وبغيرنا فلا بد من إزالته وإني أريد منكما أن تعيناني على هذا الأمر الذي مصلحته عامة فأريد أن تذهبا مع نائبي هذا إلى بلادكم فإنه بمنزلة نفسي وعهده عهدي حتى تفهما الناس مقصدنا كيلا يشوشوا منا ولتعلموا أن هذا نفعه عظيم عليكم وعليهم وسوف يحمد كل من نفر من هذا عاقبته فلا بد أن تبذلا جهدكما فسبق الشيخ سيدي بالجواب فقال له إنا لم نأت هنا إلا لمرضاتكم ومساعدتكم على ما تريدون وسوف نبذل فيه الجهد مع الإشارة عليكم فيما تحبون فيه الرأي وإنما قال ذلك مداراة لهم لعمله أنه لا بد لهم من ذلك ولاسبيل إلى التخلص من شرهم إلا الموافقة فقال الملك هل بقي شيء من الجواب كأنه يلوح على شيخنا أن يتكلم فقال أما أنا فلست أخالف الآن ما قال الشيخ سيدي إذ هو إمام المسلمين وبابهم فقد أمتثلتم فيه وآتوا البيوت من أبوابها فما فعلتم في إحضاره إلا الصواب وأما كلامي ورأي فقد قلته لكم فلم تستصوبوه ولم تقبلوه وأما عهدي معكم فقد فرغ الكلام فيه منذ نحو ثلاثين سنة فلا أتكلم فيه وأما الزوايا فإمامهم الشيخ سيديّهْ فحين ساعدكم على ما أردتم لم يسعني إلا مساعدته ومساعدتكم وإني أقول لكم إني لا أقدر على طول السفر معكم لضعفي عن ذلك والشيخ سيديّهْ مثلي في الضعف قال ذلك حذرا من طول السفر معهم فلما خرجنا أخذ الملك بيد شيخنا وقال له عسى ولعل أن يكون هذا السفر من أسباب صحتك كأنه يداعبه بذلك فلما كان من الغد دخلنا على الأمير الأول فتكلم مع شيخنا في شأن السفر إلى أن قال شيخنا له أنه ما حملني على ماقلته لك بالأمس من قولي لك لا أساعدكم على الأمر لكذا وكذا لعلمي أن الشيخ سيدي يهاب أن يقول لك ذلك وجعل يكرر له ما قال له في الخلوة أمام الحاضرين ليعلموا أنه

أغلظ له في القول ومن جملة ما قال له أي شيء حملكم أن ترسلوا لي فإني لست بخريت أدلكم على البلاد ولست ذا جيش تريدون مني الإعانة ولست بمسموع القول عندكم فتستشيروني فأي فائدة في مجئ إليكم فلم يجبه الرومي بفائدة ومما قال الشيخ لما ألح عليه في هذا الأمر أنه ليس من أهل هذه البلاد ولا تكلم له فيها فإنه أجنبي فيها وأهله في الحوض وإنما يتكلم في البلاد أهلها فقال الرومي لا تقل هذا فإنا نقدر أن نتركك من هذا الأمر ولا يلحقك منا إلا الخير ولكن الأحسن للمسلمين أن لا تفسخهم في هذا الأمر لتقوم لهم بالعهد وتكون بعد دخولنا في البلاد وجيها مشفعا في جميعهم عندنا ونكافئ لك فيهم مالك من اليد عندنا ثم أن النصراني أمرنا بالانصراف فبقي هو وشيخنا وحدهما فقال الرومي له إن الملك البارحة وجماعته أعجبهم كلامك ولكن لم يخف عليهم تغير وجهك فأي شيء بقي في قلبك فقال في قلبي شيء لا يخفى مثله في الوجه وهو جعل المغرم على الزوايا وعتق عبيدهم عليهم وعدم أمنهم على تبديل دينهم فمثل هذا لايطاق صبره فأطرق الرومي طويلا فقال له سألتقي مع الملك ولا أظنه يفعل لك إلا ما تحب فقام من عنده وقد قال له قبل هذا اليوم أكتب لنا ما تحب أن تشترط علينا من الشروط فنحن نساعدك عليه فكتب لهم أنه يريد أن يلتزموا له أن لا يجعلوا مغرما على الزوايا وأن لا يظلموهم ولا يتركوهم يظلمون ولايتعرضوا لهم في دينهم. هذا ملخص ماوقع على سبيل الاختصار وإلا فشيخنا قد عارضهم بأكثر من هذا حتى أنه أخذ بيد ابن الحاج ابن المقداد الذي هو الترجمان أمامنا وقال له سألتك بالله هل تعلم أني ما قصرت في شيء من نصرة المسلمين والذب عنهم فقال نعم أشهد بذلك ثم التقى أيضا مع الشيخين في يوم آخر ومعهما الشيخ سيدي بن الشيخ أحمد بن اسليمان فقرأ عليهم كتابا يوهمهم أنه كتاب فيه العهد فلما تأملوه لم يجدوا في مضمونه إلا ما في الورقة التي أرسلت لشيخنا من أنه لايريد إلا العافية ورفع الظلم ونحو ذلك مما تقدم فيها فقال شيخنا هذا ليس بشيء فإنك تعتقد إننا من كبراء المسلمين وتريد أن نخرج من عندك بما لا فائدة فيه ونترك الأمر ملتبسا فإن كنت تريد العافية كما قلت وعدم تشويش البلاد وقلت أنك جعلتنا تبصرة لما تحصل به العافية فأكتب لنا هذه الأمور الأربعة أي أن لا تأخذ مغرما على الزوايا ولا تأخذ عبيدهم ولا تتعرض لدينهم ولاتتخذ منهم جندا فإنك إن لم تفعل فلا بد

أن تخرج الزوايا من البلاد إلى آدرار وبكّارْ أو إلى تخوم الصحاري والموت ضيعة أحب إليهم من هذا وربما يحمل بعضهم السلاح.

فيلتحق بمن يحاربك من حسان ولاتظن أني أنا ولا الشيخ سيديّهْ نؤثر فيهم إذا لم نأتهم بما يحبون. فقال لهم نعم أكتب لكم كل شيء إلا مسألة العبيد فإنها أعظم عندي من أن ألفظ بها فإنه ليس في شرعنا إنسان يمشي على رجلين يباع ويشترى فقال له لم يحصل إذا شيء فإن الزوايا ليس عندهم عبد له ثلاثة أرجل ونحن لم نلتزم شريعتكم وإنما نحن على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أباح الله لنا على لسانه ملك العبيد وبيعهم وشراءهم ثم أنهم تحاوروا طويلا في شأن العبيد فتكلم الوفد كله في مراجعة الرومي ومن المراجعة أن قال له الشيخ سيديّه أن الشيخ سعدبوه ما حمله على كثرة مراجعتكم في الأمر وجدالكم فيه إلا شدة تهمة الزوايا له في شأنكم فقد أغروا به أمير آدرار وأباحوا عنده دمه لما سعى في استخلاص قومكم منه حتى أرسلت أنا إليهم أن مثله لايتهم في أمر المسلمين وأن الذي فعل هو عين السداد حتى ألجؤه إلى أن التزم ما أرادوا كله وقال لهم نعم أكتبه لكم وأضع عليه طابعي غدا فقاموا من عنده وقت الغروب فلما كان من الغد أخرج لهم نسخا عدة عليها طابعه ونص ما فيها لتعلموا إيها الزوايا أن أمير اندر الذي بيده أمور الإفريق الغربي أمرني عن إذن من الدولة الفرانساوية التي لم تزل معروفة بالعدل والإحسان أن أضع العافية في أرضكم الفقيرة إليها وأن أصلح من شأنكم ما تيسر إصلاحه وذلك لا يمكن ما دامت الحروب واقعة في أرضكم وأعلموا أنكم تظلمون في كل ساعة بنهب أموالكم ومع هذا لايحتمي لكم أحد فقد ضاعت دنياكم وضاع تعلمكم وعبادتكم التي لاينبغي لكم أرتكاب غيرها كما أمركم به دينكم واليوم فإني آتيكم بالعافية التي لا بد لأرضكم منها مع أني لا أقرب أموالكم ولا دينكم وأذب عن أنفسكم وأمكنتكم وآباركم ولا أقرب ولا أتخذ منكم جندا ولا عسكرا للحرب ولا أجعل مغرما على رقابكم ولا أقربه وأما الأرض فإنها لله ومن أحيى منها شيئا فله الإنتفاع به والفائدة إني حبيب لكم لرغبتكم في العافية والتكسب وإن الشيخ سعد بوه والشيخ سيدي أمرهما أمير أندر أن يذهبا معي إلى أرضكم وسيقولان لكم حقيقة أمرنا وما هو عزمنا ونيتنا والمطلوب منكم أن تقولوا للشيخين المذكورين حقيقة أمركم وها أنا أذهب إلى أرض اترارز وكل من أتاني

يكون في أمن وأمان حتى يذهب من عندي على أي وجه شاء ولا يصدر له مني سوء ولست لأحد منكم عن أحد لكوني خاليا من الحظوظ النفسية لا أحب إلا العافية ولا أطلب غيرها ومن آثر الشر على الخير فقد عاداني وسأبذل جهدي في مضرته والمعية المطلوبة منكم أن تكونوا مع الفرانسيس لأن الأمر لها وهي التي تقف لكم جميعا رجالا ونساء وتجعل العافية في أرضكم والدليل على حسن نيتي إني جاعْلي في هذه الورقة طابع نفسي وهو طابع يعرفه أهل مكة وأهل المغرب الأقصى بل المسلمون جميعا وهو الذي يؤكد العهد بين افرانسيس والمسلمين بلفظه. فلما تبين لشيخنا أنهم خارجون لا محالة وأن الشيخ سيدي خارج معهم مساعدا وعبد الرحمن بن محمد فال بن متال ساعدهم بكتاب يأتي نصه إن شاء الله وغيرهما من بعض رؤس الزوايا أستصوبوا خروج النصارى لشدة ما لاقوا من إذاية حسان واستشار هو في الخروج معهم واستخار بعد أن أظهر للنصارى الامتناع فاستنتج من ذلك أن الصواب في الخروج معهم لحسن ظنه أن الشيخ سيدي وعبد الرحمن وغيرهما لم يساعدوهم إلا لمصلحة ظهرت لهم للمسلمين وعلم أنه إن لم يفعل لم يرد ذلك النصارى بل ينتج عداوتهم وذلك أيضا هو الحامل على مساعدة من ساعدهم فقال ما قيل في المثل الحساني ليد الما صبت تكطع حبه.

وانشدوا في المعنى.

وكم من يد قبلتها لضرورة وكان مرادَيْ قطعها لو تمكنا

فسافر معهم حتى نزلوا عند أحمد سالم بن اعْليي وكنا نظن أنه منتهى سفرنا معهم فقال الرومي أنه يريد الذهاب إلى المكان فامتنع شيخنا من ذلك غاية وتعلل بكل علة من مرض وقلة مايعد للسفر وغير ذلك من الأعذار فلم يلتفت إلى شيء من ذلك بل قال إن كنت تريد أن لا تفسد بلاد المسلمين ولا تتفرق فيها جيوشنا وسرايانا تنهب الأموال وتسبي النساء ولا ينقطع المعنى الذي بيننا وبينك فسر معنا وإلا فأنت أمرك بيدك تقدر أن تذهب متى شئت ولا يصدر لك منا ضرر ولكن لا ينبغي لمثلك أن لا يكون نفعه وجاهه مقصورين على نفسه بل بالشأن أن تقوم في مصالح المسلمين كلهم ولا نفعل فيهم ما يسوءك وهذه المنقبة لا تنال بالاضطجاع فلم يزل يلح عليه والشيخ سيدي يقول له أن الصواب في مسيره معهم أيضا إلى المكان فلما نزلوها جعلوا يرسلون إلى من حواليها من الزوايا ويكلمونهم

بمثل ما تقدم من أمر العافية إلى أن ذكر لهم ركب من أهل شنكيط بالقرب منهم فكلموا الشيخ سيدي والسالك بن باب أن يكتروا لهم إبل الركب يحملون عليها أمتعة لهم على مسيرة نحو ثلاثة برد فامتنع الركب من ذلك فلما بلغ أميرهم الامتناع قال إنه يرسل بعض خيله تأتيه بالإبل قهرا فأتى بعض الركب شيخنا وأعلمه فقام بالفور ودخل عليه وأنا معه فابتدره النصراني وقص عليه الخبر فأنكر عليه غاية وقال ألم تقل كذا وكذا من العافية وأنك تحترم المسلمين لنا فاليوم تفعل هذه الفعلة وأنا والشيخ سيدي معك فلا يأمنك أحد بعدها وكلما دخلت بلدة فرّ منك أهلها وأيضا لم تدخلني في أمر هذا الركب حتى أوافقك معهم فقال إني قد أدخلت الشيخ سيدي والسالك في أمرهم ولم أعلمك لظني أنه أمر يسير فلما أمتنع أهل شنقيط أن يكتروا لي إبلهم لموضع قريب واعوضهم ما هو خير لهم علمت أنهم مصرون على عداوتنا وذلك دأبهم وأنت تعرف ذلك من سرائرهم فقال أما ما في الضمائر فلسنا نتكلم فيه ولا أقول لك سائرهم فقال أما ما في الضمائر فلسنا نتكلم فيه ولا أقول لك سرائرهم ولكن هذا الفعل بمعزل عن إصلاح البلاد وعن جبر خواطرنا فقال بل ذلك هو عين الإصلاح وهو الذي كان يفعل نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يأمر الناس بما فيه السداد لهم فإن امتنعوا جبرهم عليه وبالسيف وأما نبينا عيسى عليه السلامان فإنه كان إذا ضرب على الخد يمكن الضارب من خده الآخر ويقول اضربني ايضا ونبينا طال عهده وتغير بعده الدهر فليس حلمه وتجاوزه بممكن اليوم وقد رغبنا في فعل نبيكم فقال له قد جئتنا من جهة نحبها ومن اقتدى بها فقد عارضنا بمايفهمنا ولكن هذا الذي تريد ليس من فعله صلى الله عليه وسلم بل إنما يجبرهم على ما فيه إصلاح آخرتهم وأما دنياهم فلا يقول للرجل لا بد أن تبيعني أو تكريني وإلا أخذت منك قهرا فقال نعم وأنا أيضا أريد إصلاح آخرتهم فإن نقل متاعي إليّ يعينني على التمكن في البلاد حتى أضع العافية وأردع اللصوص فيتفرغ المسلمون لإصلاح معاشهم وتجاراتهم وذلك هو الوسيلة إلى إصلاح آخرتهم فلا محيد لي عن ما كان يفعل نبيكم ولم يزل يزخرف هذه السفسطة حتى أطال فقال له شيخنا والله لا يحملني حب مساعدتك أن أقول لك أن هذا من فعل نبينا وأما نبيكم فلم يحدث بعده فيكم من هو خير منه كما أنه لم يكن فينا مثل نبينا صلى الله عليه وسلم فلوح للرومي أنه ترك الملتين جميعا ولم يزل

يعارضه حتى ترك أخذ الإبل عنوة وقال أكثرها لي بما قلت أنت فإني أمضيه ولكن قال له إن الملك لا بد له من بعض السطوة في بعض الأحيان ليلا يعتقد الناس ضعفه وإن الزوايا من جاءني منهم يطلب العافية والعهد فحبا وكرامة ومن أبى أخذت له العصى حتى ألجأه إلى إصلاحه". هذا من آخر ما جرى بينهما في أواخر رمضان من السنة المذكورة. ونص كتاب عبد الرحمن لهم لما كتبوا إليه أن يقدم إليهم بعد التسمية والحمدلة والصلاة :

"هذا وإنه السلام التام الطيب العام من عبد الرحمن بن محمد فال بن متال إلى أمير اندر إنه ورد علينا كتابك فتلقيناه بيمين التبجيل والاحترام تمسكا بما فيه من إصلاح الحال في البلاد فاجتهد في ذلك وزد فيه وأعْلم بأن البلاد قد ضاعت وضاعت سلع أهلها مدفونة خوفا عليها فقد لعبت بها أيدي أهل الفساد وكذلك ما ذهبت به أربابه لتبيعه لتنتفع به فمزقته أيدي أهل العداء أيضا فلم يصل إليكم لتشتروه ولم يبق لربه فشمر أيها الأمير عن ساق جدك لتنزل البركة ويرتفع الفساد وأعْلم أني لولا ما أنا فيه من شدة المرض لقدمت إليكم في أسرع ما يكون حتى أخاطبكم في الأمور محل الحاجة ثم في أوائل شوال كتب النصارى سؤالا فقهيا وأرسلوه إلى شيخنا فأعرض عن جوابه ونصه سؤال: هل ينبغي للمسلمين أن يجاهدوا النصارى في أرض هم بها غير متعرضين لهم في شيء من دينهم بل يساعدونهم على اتباع الدين بنصب القضاة وما اشبه ذلك وهذا مع علم المسلمين أن لا قدرة لهم على الجهاد كأهل الجهة القبلية من أرض المغرب؟

فأرسلوه إلى الشيخ سيدي فكتب فيه الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي وسائر ساداتنا النبيين وجميع عباد الله الصالحين الجواب أنه يتعين على المسلمين في هذه الحالة أن يهادنوا النصارى ولا يقصروا فيما يجلب لهم العافية منهم ولا يتعبوا أنفسهم بالمحاربة لهم كما تشهد له قواعد الشريعة ونصوصها قال الشيخ خ في مختصره وللإمام المهادنة لمصلحة إن خلا عن كشرط بقاء مسلم وإن بمال إلا لخوف ولا حد وندب أن لا تزيد على أربعة اشهر وإن استشعر خيانتهم نبذه وأنذرهم ووجب الوفاء وإن برد رهائن ولو أسلموا كمن أسلم وإن رسولا إن كان ذكرا.

قوله لمصلحة أي مستوية فيها وفي عدمها فإن كانت المصلحة فيها فقط

تعينت وفي عدمها امتنعت كما في عبد الباقي والخرشي قوله وإن بمال الصواب رجوع المبالغة للمفهوم ومعناه فإن لم يخل عن شرط فاسد لم يجز وإن كان الفساد بسبب إعطاء مال من المسلمين فيمتنع إلا لخوف منهم فيجوز. ابن عرفة المازري ولا يهادن الإمام العدو بإعطائه مالا لأنه عكس مصلحة شرع أخذ الجزية منهم إلا لضرورة التخلص منه خوف استيلائه على المسلمين وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم لما أحاطت القبائل بالمدينة سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في أن يبذل للمشركين ثلث الثمار لما خاف أن تكون الأنصار ملت القتال فقالا إن كان هذا من الله سبحانه وتعالى سمعنا وأطعنا وإن كان رأيا فما أكلوا منها ثمرة إلا بشراء أو قرا فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزمهم على القتال ترك ذلك فلو لم يكن الاعطاء عند الضرورة جائزا ما شاور فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد نقل ابن الغازي كلام المازري من أصله فانظره وهذا أحسن ما يقرر به كلام المصنف.

من البناني قوله ولا حد أي وليس لها حد واجب فلا ينا في قوله وندب أن لا تزيد على اربعة لاحتمال حصول زيادة قوة للمسلمين أو نحوها وهذا حيث أستوت المصلحة في تلك المدة وغيرها وإلا تعين ما فيه المصلحة قال عق ونحوه في خش وفي السوداني قوله إلا لخوف أي إلا لأجل خوف فيجوز للإمام حينئذ أن يدفع المال إليهم لأن المسلمين صاروا كالأسارى في أيديهم كما يجوز فداء الأسارى من أيديهم بمال وقال الشيخ خ أيضا في مختصره وللعنوي إحداث كنيسة إن شرط وإلا فلا كرم المنهدم وللصلحي الاحداث وبيع عرضتها أو حائط لا ببلد الإسلام إلا لمفسدة أعظم أي من إحداث الكنيسة فيجوز ارتكابا لأخف الضررين كما في عق وخش وفي السوداني قوله لا ببلد الإسلام إلا لمفسدة أعظم أي لا يجوز لهم إحداث الكنيسة في بلد الإسلام ولو اعطوا ملء الأرض ذهبا إلا لأجل مفسدة شيء اعظم من إحداثها فإنهم يتركون أن يحدثوها في البلاد ارتكابا لأخف الضررين وهو واجب إجماعا وهو قاعدة مشهورة وسنة مأثورة إلى غير هذا مما هو كثير في شروح خليل وغيرها من كتب الفقه جار على منهاج واحد من تعيين مراعاة المصلحة وارتكاب أخف الضررين ومن المعلوم مع ذلك أن وجوب الجهاد ساقط

مع العجز قال الله تعالى "ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذي لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم" وفي مختصر خ على كل ذكر مكلف قادر إلى غير ذلك مما هو كثير أيضا في هذا المعنى من النصوص *ولا يخفي عجز أهل هذه البلاد عن مقاومة شوكة النصارى على من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد من كل جهة كعدم اتفاق الكلمة وعدم بيت المال المحتاج إليه في كل شيء وعدم السلاح المساوي أو المقارب لسلاح النصارى* وغير ذلك وكما أنهم معذورون في ترك جهادهم بل متعين عليهم فهم أيضا معذورون في *عدم الهجرة عن أرضهم التي دخلوها عليهم لأجل الضعف عنها من كلهم أو جلهم حسبما يعلمه العارف بالأحوال ولعدم أرض لائقة بهم أمنا ومعاشا يهاجرون إليها* كما لا يخفى أيضا وقد قال الله إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله غفورا رحيما قال النفسي حيلة في الخروج منها لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا ولا معرفة لهم بالمسالك وقال البيضاوي واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل ونحوه لغيرهما من المفسرين وعسى إن كان لإطماع فهو من الله تعالى واجب لأن الكريم إذا أطمع انجز قاله النفسي وغيره هذا كله مع أن حال النصارى على ما ذكر في السؤال من عدم التعرض للدين ومن الإعانة عليه ببناء المساجد ونصب القضاة والقيام بكثير من غير ذلك من المصالح ككف المتلصصين والمحاربين وجعل السلم بين القبائل المتحاربة في هذه البلاد السائبة إلى غير ذلك ومن المعلوم شدة الحاجة إلى ذلك فلعل الله تعالى أرسلهم رحمة لعباده ولطفا بهم فهو أهل لذلك والمرجو لما هنالك وقد قال الله تعالى "لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين" تبروهم تكرموهم وتحسنوا إليهم قولا وفعلا قاله النفسي وقال الله تعالى "إلا أن تتقوا منهم تقاة" ففي الجلالين وغيره أنه يجري في كل بلد ليس الإسلام قويا فيها وقال الله سبحانه وتعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" قال النسفي قالوا وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء

من جهة الظلمة وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق فله أن يستظهر به وقيل إذا كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعرض عليه في كل ما رأى وكان في حكم التابع له ونحوه في البيضاوي وغيره والله سبحانه وتعالى أعْلم. قيده عبد الله الفقير إليه سيدي بن محمد بن سيدي عفى الله تعالى عنه آمين لخمس ليال خلون من شوال عام عشرين وثلاثمائة والف هـ. بلفظه وطلبوا من شيخنا أن يسلمه وقال الرومي نحن عادتنا بل عادة أهل مكة والمدينة أن كبير القوم لا يتولى تعب الكتابة بل يكتب غيره ويسلم هو نحن نريد أن تسلم أنت ما كتب الشيخ سيدي فكتب نصرة منه للشيخ سيدي وحرصا منه على اتفاق كلمة المسلمين ما نصه:" ما كتبه الشيخ عمره الله معافا أعني الولي ابن الوليين العالم ابن العالمين الشيخ سيدي مسلم صحيح وما حمله على كتبه والبحث هنا إلا ما جعل الله في قلبه من الرأفة والرحمة بالمؤمنين والسياسة وحسن التدبير وراثة من آبائه الكرام رضي الله عنه وعنهم وعنا بهم فمن علم أن النصارى في أوفر عدد وعدة قد هدموا الدول القوية الوافرة العدد والعدة في مشارق الأرض ومغاربها وعلم أن الشيخ عمره الله معافا ورضي عنه وعن سلفه أولى بوراثة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم من غيره سلم مكتوبه هذا لا محالة ومن أتهم الشيخ فليات بالافعال لا بالأقوال وإلا فحجته داحضة وتهمته باطلة والسلام وكتب أيضا:

قل للمحاول شأو الشيخ سيدي لا ... تتعب لنفسك ذات الزيغ والاود
أتى بنبذة علم لا نظير لها ... كالدر إن برزت في سالف الأبد
لأنها جمعت آي الكتاب وما ... سن الرسول لنا في يومنا وغد
فاشدد يديك على نصوصها وعلى ... نقولها واحكها في كل ما بلد
شافه ولا تتكلم حال غيبته ... يا ناقلا جاهلا واكشف عن العضد

ثم كتب الشيخ سيدي:

إن هذا التسليم يا ناظريه ... أحسن الشيخ فيه سعد أبيه
بان في نثره الصواب وأما ... نظمه فالبيان قد بان فيه
حاسديه رويدكم قد تعبتم ... أقصروا عن مداه يا حاسديه
وانتقاص الشبيه غير شبيه ... في العلا كلها بغير شبيه

قال جامعه عفى الله عنه ما كتبته هنا بعضه حضرته وبعضه أخبرني به شيخنا مع أني قليل الغيبة في هذه الأسفار عما وقع والله يعفو عما طغى به القلم من عبار عبرت بها عن عجميتهم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم انتهى.

قال الجامع لهذه الورقات موسى بن احمد المعروف بشيخ موسى كمر وقاه الله في الدارين وحفظه من كل شدة وضرر وبهذا تعلم وفور عقول الفرنسيس وفرط حلمهم وصبرهم لمن تحت حكمهم وبه أيضا تعلم منزلة هذين الشيخين في العقل فالشيخ سعدبوه ولي مجذوب غائب في الله تعالى لا يعرف غيره ولا يعرف للدنيا أمرا إلا ما لا بد منه فهو معذور وإلا فمراعاة أمر الزوايا بالنسبة إلى مراعاة أمر الفرنسيس كلا شيء إذ لو كان مراده في ذلك الدنيا فقط لقدم أمر الفرنسيس إذ الدنيا كلها بأيديهم ولأن العقل يقتضي تقديم أمرهم لأنهم لا يعزمون على أمر إلا بعد أن قضاه الله تعالى وأراده لوفور عقولهم وفرط ذكائها لأنهم كانوا في اندر سنين عديدة والزوايا في أماكنهم تلك ولم يعزموا الدخول عليهم في بلادهم إلا ذلك الوقت ولكن الشيخ سعدبوه رأى خوف عوام الزوايا وظن أنه إن شفع لهم في مثل هذا الأمر العظيم يشفع فيهم مع استحالته وبعده عقلا لأن الزوايا قد دهشوا جدا من الخوف في وقت طلوع الجيوش الفرانساوية إليه وجعلوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه وأهل بيته ومما قال بعضهم عند طلوع مسب كبلان عليهم في بلادهم:

بافضل من ثوى في مكتين	وزينب والبتول وأم تين
وبالعمين عمي خير هاد	وعثمان المصاهر مرتين
وبالسبطين منبع كل فضل	وبالطيار جعفر عم ذين
وبالحبين والعمرين ندعو	وندعو بالإمام أبي الحسين
لنكفي كل ذي ضر ونكفى	مضرة كبلان وكفتين

ومما قال بعضهم أيضا حين رأى جيش يمر بوج شافد كنتن وال برك وشافد كنتن الآخر نسيت اسمه، طالعين مع جيوشهما إلى أرض البياضين مع كبلان:

دفعت جيش اليمرين ذين	بجيش طه سيد الكونين
والعمرين وبذي النورين	وبأبي السبطين والسبطين
ثم تلوت مرج البحرين	يلتقيان بينهم وبيني

ومما قال بعض أولاد ديمان:

بالـزوايا قـد ضـاق رحـب الـبلاد	وتـنادى بأكلهـا كـل نـادي
مـن نـواد حـسان شـرقا وغـربا	وتـنادى بـسباء أي تـنادي
وتلقـى رأي الـرواجل بـؤجا	بقـبول ونـصرة وانقـياد
والنـصارى أطغـى وأشـد باسـا	وهـي تغـر إصـبيص جـند الفـساد
والـزوايا مذبذبـين حـيارى	يالـرب الـسما ورب العـبادْ

إلى غير ذلك مما قالوا في هذا الخوف الشديد والجزع المديد والله تعالى أعْلم. وأما الشيخ سيدي فولي كامل وسالك عاقل وعالم عامر رضي الله تعالى عنهما جميعا ولذلك قدم الفرانسيس هذا الشيخ على الشيخ سعدبوه في المرتبة عندهم بعد ما كان المقدم عندهم الشيخ سعدبوه وكان له عندهم التقديم التام عند الخاص منهم والعام وكان للشيخ سيدي حينئذ ثلث التقديم مثلا بالنسبة لتقديمهم الشيخ سعد بوه ثم صار للشيخ سيدي بعد ذلك التقديم كله ولم يبق للشيخ سعد بوه من التقديم إلا ثلثه مثلا ولكنه تدارك ذلك عند محاربة أخيه الشيخ ماء العينين لفرانس فطلبوا منه أن يؤلف لهم في ذلك تاليفا فألف تأليفا في نصر فرانس سماه *نصيحة العامة والخاصة في تحريم محاربة فرانصة* ولكن بعد ماصرد السهم ولم يحظ عندهم كحظوته الأولى ولم يلتحق بمرتبة الشيخ سيدي عندهم إلى الآن رحمة الله تعالى علينا وعليهما ورضي عنا وعنهما وأرضانا وأرضاهما وجعل الجنة مأوانا ومأواهما ومثوانا ومثواهما آمين آمين آمين بجاه النبي الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر ومراجع

ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم): القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص16 ملحق بـ: فرج محمود فرج: أضواء على إقليم توات في القرنين 18-19، الجزائر، 1977.

ابن خلدون: العرب. . . ج6/69-70 طبعة دار الفكر، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

أبوبكر بن علي الصنهاجي المكنّى بـ"البيذق": أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة المُوّحدين، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971، ص62، 85، 92. وفي تلمسان: حي المرابطين الذي بنوه: تاكرارت.

أحمد باب التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد الهرامة، كلية الدعوة بطرابلس ليبيا، 1989، 2 في 1 ج، صص 29-31.

أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954، مجلد 1، ج 2، ص 23.

أحمد مولود ولد أيده: مدن موريتانيا الوسيطة، رسالة دراسات عليا، تونس، ص145.

الأستاذ محمد حمام: المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، الرباط: 2004، ج1، ص48.

بوبه بن محمد نافع وآخرون: موريتانيا القديمة، نواكشوط: جامعة نواكشوط، 2000 صص80-81.

ت. ليفسكي: "<u>دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب</u>"، ضمن: تاريخ افريقيا العام، منشورات اليونسكو، باريس، 1994، ج3، (309-348)، صص 309-313.

تاريخ السودان، لمؤلفه عبد الرحمن بن عامر السعدي الأنصاري ، نشر

بعناية هوداس وبينوه، راجع طبعة سنة 1981 بباريس. الباب الثامن، ص 25.

جيهان "د": البربر الأصليون، صص 436-438.

حسن الوزان "ليون الإفريقي": وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، طبعة ثانية، 1983، ج2، 164.

د. حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا من العصور القديمة حتى الاستقلال، مرقون.

د. حماه الله ولد السالم: تحقيق الرسالة الغلاوية للشيخ الكنتي، منشورات مربيه ربه، الرباط، 2006، ود. حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا، الرباط، 2007.

د. حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2005.

الدكتور عامر صمب: الأدب السنغالي العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1398هـ/1978م، ج1، صص149-160. وهي ترجمة وافية منقولة عن مصادر شفوية موثوقة وأصول مكتوبة صحيحة.

الشيخ سيديّه بابه: نبذة عن تاريخ قبيلتي إدوعيش ومشظوف كتبها الشيخ سيديّهْ بابهْ بن سيدي محمد بن الشيخ سيديه الكبير ت 1342هـ/1924م.

عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى: العبر. . (بيروت: دار الفكر، 1399هـ/1979م)، ص 198.

عبد الودود ابن انْتهاهْ الشمْسدي ت1920م: نيْل الأوْطار، مخطوط.

القبلي: مراجعات حول الثقافة والمجتمع في المغرب الوسيط، الدار البيضاء: توبقال، 1987، ص17.

هويثي ميرندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، المترجم عبد الواحد آكمير، الرباط: دار النجاح الجديدة، 2004، ص131 وما بعدها.

فهرس المحتويات

HISTORY OF AL-BIDAN TRIBES

by

Al-šayḫ Mūsā Kamra

Edited by

Dr.Ḥamāhullah wild al-Salīm